

التذكرة فى الوعظ

لابن الجواد

تحقيق
طه عبد الرؤوف سعد



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل
سبحان الله ماتعقت الليالي والأيام، والحمد لله عدد الشهور والأعوام،
ولا إله إلا الله لا تتصور عظمته الأوهام .
والله أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، مدهر الدهر، مدبر
الأمر، ومقدر اليوم، واللية، والسنة، والنهار، والعالي فوق كل شيء بالسلطان
والقهر والجلال .

كل معبود دون الله باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل .
كيف يكون غير الله معبوداً سواه، وكل من تحت عرشه يرجوه ويخشاه ؟
أليست الشمس والقمر والنجوم مسخرات ؟ أليست السموات والأرض وما فيها
بحكمته مدبرات ؟ أليست الأهلة بتسخيره على أقطارها دائرات ؟ أليست
العقول في فلوات تيه (١) معرفته حائرات ؟

سبحانه سبحانه ، مأعظم شأنه .

سبحانه سبحانه ، مأدوم سلطانه .

عبد تَولاهُ الإله بنفسه وسقاه من كأس المحبة مافيها

من صفا مع الله صافاه، ومن أوى إلى الله آواه، ومن فوض أمره إلى الله

(١) الفلاة : الأرض التي لا ماء فيها و «التيه» المفارقة وهي التي لا علامة فيها يهتدى بها .

كفاه، ومن باع نفسه من الله اشتراه، وجعل ثمنه جنته ورضاه .
وعد صادق، وعهد سابق، «ومن أوفى بعهد من الله» (١) .
لا يزال العبد خائفاً على نفسه حتي يدخله الله حماه، ومن أراد أن يعلم
هل هو من أولياء الله؟ فليتنظر كيف ولاؤه لمن وألاه، وعداوته لمن عاداه؟
من سلك سبيل أهل السلامة سلم ، ومن لم يقبل مناصحة الناصحين
ندم.

لا رزية كرزية (٢) من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين .
لا بلية كبلية من مات مصراً على مخالفة رب العالمين .
الحياة كلها في إدامة الذكر، والعافية كلها في موافقة الامور ، والنجاة
من الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فوز من زحزح عن النار
وأدخل الجنة .
ليس الميت من خرجت روحه من جنبه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا
لربه من الحقوق عليه .
الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والوحشة
وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهي نعمة .
الغفلة عن الله ما قدحنا شيء غيره، ولولا الجهل بعظمة الله ما زغنا عن
أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإساءة فيما بيننا
وبين الله ما استوحشنا من كتابه.

كونوا كما أمركم الله، يكن لكم كما وعدكم .
أجيبوا الله إذا دعاكم، يجيبكم إذا دعوتهموه .
اعطوا الله ما طلبه من طاعته، يعطكم من رحمته ما طلبتموه .
مثل العبادة بغير إخلاص، مثل الصدقة بلا ناظر .

(١) سورة التوبة الآية : ١١١

(٢) «الرزية» : المصيبة والمراد بها هنا المعصية

تسمية الله في ابتداء كل أمر، نجاح ذلك الأمر^(١)
استهداء الله في كل مسلك أمان للسائر من الضلال.
أيها الناس: من أكرم على الله منكم لو أكرمتكم أنفسكم بالتقوى، من
أولى بالله منكم لو أحكمتكم فيما بينكم وبينه عقد الولاء، من أقرب الى الله
منكم لو آثرتم القرب على النوى .
لو عرف الانسان قدر نفسه ما دساها^(٢) بمعصية الله، ولا دنس عرضه
بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه.
ولا يؤنس في وحشة القبر إلا العمل الصالح، ولا يطفئ لهب النار إلا
نور الإيمان، ولا يثبت القدم على الصراط المستقيم إلا الاستقامة في السلوك .
الرب خالق، والعبد مخلوق، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة
الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذي أنزله عليه فاعملوا بالكتاب، وتابعوا السنة،
تخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة.
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) يقول ﷺ «كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتى أو قال أقطع» .
(٢) أى أو بقها بالكفر والمعصية .

المجلس الأول

نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذى أيسر ما يستوجب شكر الشاكرين ، وقطرة من بحار كرمه
نعم جميع العالمين ، تملأ القلوب فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته ، وتحير القلوب
دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته .

قتل ملك (١) الأرض كلها بعبوضة دخلت أنفه ، وأغرق الذى قال :
«أنا ربكم الأعلى» (٢) بقطرة أوردته حتفه ، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك
الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء .
يجوع الملك العظيم من ملوك الارض ساعة ، ثم يلقى كسرة فتملاً قلبه
سروراً .

ويتلى الأسد الضارى بذبابة يسقط على عينه ، فيظل فى قبضته أسيراً .
ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم ، فيخر منجلاً (٣) عقيراً .
«وما كان الله ليعجزاً من شيء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان
عليماً قديراً» (٤) .

(١) يقال إنه النمرود وهو الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك .

(٢) سورة النازعات الآية : ٢٤ وهو فرعون .

(٣) «منجلاً» : منكسراً .

(٤) سورة فاطر الآية : ٤٤

إذا اكْتَفَتِكَ عِظَامُ الْأُمُورِ
وَصَيَّرَكَ الِهِمَّ فِي قَبْضِهِةٍ مِنْ
هِنَالِكَ فَـأَرْجِ الْكَرِيمَ الَّذِي
عَلِيًّا كَبِيرًا عَلِيمًا قَدِيرًا
هُوَ الْمُنْشِئُ الْخَلْقَ مِنْ قَبْضَتِهِ
وَعَبْدًا سَعِيدًا وَعَبْدًا غَنِيًّا
لَهُ الْفَضْلُ وَالْعَدْلُ فِي حُكْمِهِ

لولا الخالق لم يكن المخلوق شيئاً مذكوراً، ولولا الرازق لم يملك
المرزوق فتيلاً (٢) ولا نقيراً (٣). كم من نعمة قد أنعم الله بها علينا، وكم من
חסنة قد ساقها الله إلينا : عافانا في أدياننا من الكفر، وفي أبداننا من الضر،
وأخرجنا من أصلاب آبائنا مسلمين، وأنشأنا بين إخوان مؤمنين، وجعل لساننا
الذي نتكلم به أفصح الألسنة لهجة، وطريقنا الذي نسلك به إليه من أوضح
الطرق محجة .

قبأى شكر نقابل نعمة علينا، وبأى جزاء نكافىء إحسانه إلينا .
سبحانه، سبحانه .

ماقام أحد من خلقه بحقيقة شكره، ولاأثنى عليه مثني من عباده كما أثنى
هو نفسه، ولاقدره مخلوق حق قدره، لأن ذلك كله موقوف على المعرفة به،
وهو بحر مابلغ أحد إلى قعره .
سبحانه، سبحانه .

مأسبغ أنعمه، وأعدل أحكامه .

لو أننا شكرنا كما في وسعنا لأوسعنا مزيداً، ولو اتخذناه كما ينبغي له رباً

(١) «النايات» : مصائب الدهر

(٢) «فتيلاً» : الفتيل : التافه من الأشياء .

(٣) «نقيراً» : التقرة التي في ظهر النواة .

لاصطفانا لنفسه عبيداً، ولكننا لكشافة الحجاب وقفنا مع الأسباب .
 كم مدّع لتوحيد وهو مشرك بربه، وكم قائل أنا عبد الله وهو عبد بطنه،
 يعصى ربه فى إطاعه نفسه، ويبيع رضوان الله برضا مخلوق مثله .
 كم بين متبع للهوى - هوى نفسه - قد اتخذ إلهه هواه .
 وبين ممثل أمر ربه يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله .
 أما يستحى المدعى لمحبة الخالق، أن يكون محباً لمخلوق أحسن منه فى
 معاملة الحبيب أدباً؟ وأصح منه فى دعوى المحبة نسباً؟
 روى مجنون ليلى يعد موته فى المنام، فقل له : ما فعل الله بك؟ فقال:
 غفر لى، وقال لى: اذهب، فقد جعلتك حجة على كل من ادعى محبتي .

أهلونا لوصلهم ثم صيدوا	ليروا صبرنا فما إن صبرنا
ثم جاءوا بالقرب بعد بعاد	ليروا شكرنا فما إن شكرنا
عذرونا فى كل شىء سوى	السلو عنهم فإننا ما عذرونا
لو عرفنا جيبنا ما سلونا	ولكن قدره ما قدرنا
لو سعدنا بوصله ما شقينا	لو غنينا بفضله ما افتقرنا
لو رويننا من حبه ما ظمنا	لو سلكننا فى طريقه ما عثرنا
هو نعم الحبيب لكننا بئس (١)	المحبون لم نطع إذا أمرنا
شفرة من حنان ما قربنا لى	لما فى مرضاته ما سمرنا
لو ذكرنا ما كان منه	ومنا لخزيننا ما ذكرنا

(١) «بئس»: تصغير الفعل الماضى بئس .

الزهد فى الدنيا الفانية وطلب الآخرة الباقية

ينبغى للعبد المؤمن بربه إذا نظر الى زهرة الدنيا، فدعته الى نفسها، بروئقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال : إليك عنى يا سريعة الزوال ! إنما تصلحين للتشويق الى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فان، وتلك جوهر باقٍ، فلتفرق بين الدارين عقول الرجال .

* * *

خلَّ عَنْ الزَّوَالِ وَالْفَنِّ	بَاءَ وَيَمِّمْ نَحْوُ الْجَنَابِ الْعَالِى
مَنْزِلِ الْكَرَامَةِ وَالْأَنْسِ وَالْبِ	رٍ وَنِيلِ الْمُنَى وَنِيلِ السُّوَالِ
تِلْكَ وَاللَّهِ قَسْوَمٌ شَرُّهَا	بِنَفِيسِ التَّفْسُوسِ وَالْأَمْوَالِ
حِينَ زُفَّتْ إِلَيْهِمْ خَطْبُوهَا	ثُمَّ سَاقُوا لَهَا الْمَهْوَرِ الْغَوَالِى
قَاتِلُوا دُونَ خُدْرَهَا فِى هَوَاهَا	بَصْفَاحٍ (١) بِيضٍ شَرِّ غَوَالِى
ثُمَّ حَامُوا عَنْهَا وَحَامُوا عَلَيْهَا	بِرُودِ الْأَوْجَالِ وَالْآجَالِ (٢)
فَامْتِطُوا عِزِّ مَعْشَرٍ رَغِبُوا فِي	أَنْ يَحْلُوا سَامِيَاتِ الْمَعَالِى
سَادَةِ قَادَةِ حِمَاةٍ كَمَا	مَحَبِّ مَزَلِ فَحَوْلِ وَرَجَالِ
لَبَسُوا لِلرَّدَى دُرُوعَ اصْطِبَارِ	وَلَقَسُوا بِهِ بَعِزَّةَ الْأَبْطَالِ
خَشْيَةً أَنْ يَفُوتَهُمْ مَا رَجَوْهُ	مِنْ جَنَابِ الْمَهِيْمِ الْمُتَعَالِ
لَمْ يَزَالُوا فِي السَّيْرِ حَتَّى أَنَاخُوا (٣)	بِمَحَلِّ الْإِكْرَامِ وَالْإِجْلَالِ
مَقْعَدَ الصَّدَقِ فِي جَنَابِ مَلِكِ	ذِى اقْتِدَارٍ وَعِزَّةٍ وَجَلَالِ

* * *

صفات الفائزين من المؤمنين

أين خطَّاب هذه العرائس ؟ أين هذه النفائس ؟ هم الذين مدحهم الله فى

(١) «بصفاح» : بسيوف صفاح .

(٢) «الأوجال» الخوف .

(٣) أناخ الجمل : أى أبركه فبرك : والمعنى استراحوا

محكم القرآن، فى أول سورة المؤمنين (١)، وآخر سورة الفرقان (٢)
تلك والله صفات الفائزين بالرضوان، والخالدين فى نعيم الجنان،
الحائزين رغائب البر ومواهب الإحسان.

اللهم بما أنعمت عليهم، فارزقنا ما رزقتهم فى الدنيا، من طاعتك
وذكرك، وفى الآخرة من نعيم جنتك، ولذة النظر الى وجهك، وألحقنا بهم،
وأدخلنا فيهم، واجعلنا منهم، ولا تجعل نصيبنا منك ما عجلته لنا من مواهب
الدنيا، بل ادخر لنا عندك ما ادخرته لأهل سلامة العقبى.
واجعل الآخرة خير لنا من الأولى، وإذا أقررت أهل الدنيا بالدنيا، فأقر
أعيننا بموجبات المغفرة والرحمة والرضا.

يا من عاد يمنع ركنه العائدون، سبحانك، ما أعظم شأنك .
يا من دعت الملبون - سبحانك ما أعظم شأنك - يا من مد إليهم أكفهم
السائلون - سبحانك ما أعظم شأنك، يا من تقوم السماء، والأرض بأمره - يا من
ينقاد الصعب الدلول بحكمه، يا من يفرق المحسن، والمثنى من عدله - يا من
يفتقر الغنى، والفقير إلى رزقك سبحانك ما أعظم شأنك - يا من خضعت
الأعناق لعزته، يا من توجهت الوجوه إلى قبلته، يا من اعترفت الخليقة بربوبيته،
سبحانك ما أعظم شأنك، يا من له مافى السماوات والأرض كل له قانتون، يا من
دعا إلى حج بيته على لسان خليله فلباه فى الأصلاب الملبون يا من اعكف على
باب فضله العاكفون . إليه بالدعاء والسؤال يجأرون، وبرحمته فى الدنيا والآخرة
يتعرضون ومن مخالفة أمره يستغفرون، وبأذيال عفوه يتمسكون . سبحانك ما
أعظم شأنك .

سبحانك، ما أوضح برهانك .

سبحانك، ما أقدم سلطانتك .

سبحانك، ما أوسع غفرانك .

(١) يقصد قول الله تعالى: قد أفلح المؤمنون .. راجع الآيات (١ - ١١)
(٢) يقصد الآيات : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا .. الآيات (٦٣ - ٧٧)

سبحت لك السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها،
والبحار وحيتانها، والسادات وعبيدها، والأمطار وزعوذها، والملوك وماليكها،
والجيوش ومعاركها، والديار وأطلالها، والأسود وأشبالها . .
كلُّ معترفٍ . .

فإنك لفطرته خالق، ولفاقته رازق، وبناصيته آخذ، وبغفوك من عقابك
عائذ، وبرضاك من سخطك لائذ، إلا الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب، فالقضاء
فيهم نافذ .

يا مالِكاً هو بالنّواصي آخِذ	وقضائُه في كل شيء نافذُ
أنا عائذُ بك يا كريم ولم يخب	عبد بعزِّك مستجير عائذُ
أرجوك يا سؤلى فتحيًا مهجتي	والخوف من عملى لكبدى فالذُّ فأنا
إن لاذَ غيرى بالأُنَام وظلمهم	لذى بظليل ظلك لائذُ
فامنن على بتوبةٍ يحا بها	ذنب نظرى فى القيامة قائذُ

مجالس الذكر ولحظات القرب من الله وساعات الغفران منه تعالى

فى مثل هذه الساعة يرجى الغفران، ويتوقع الإحسان، ويطلب من صاحب
الأمر الأمان .

لو كشف عن الأبصار حوابك الانتشار، لعاينتهم الرحمة، تنزل فى هذا
الوقت كالأمطار الغزار .

كم لله في مجالس الذكر من عينٍ محرمة على النار، كم قد وضع فيها عن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويعطى كل سائل مأسأله، ومبلغ كل أملٍ ما أمله، من كرم ذي الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذي لا يتعاضم ذنب غفره لجانيه، ولا فضل وهبه لسائليه. فأحضروا في هذه الساعة قلوبكم، واغتسلوا بمياه التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم فإنه يغفر ذنوب المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم، فإنه يقبل عذر المعتذرين، واستنصروا على من بغى عليكم، فما أسرع نصرته إلى المنتصرين .

من كان مقيد الجوارح عن محارم الله فهو رأس الخائفين .
ومن كان لا يسكن بقلبه إلى شيء سوى الله فهو سلطان العارفين، فارغبوا في القرب من الله .

لله در أقوام عكفوا بقلوبهم عليه، وتقربوا بذبح نفوسهم إليه، لا يسمعون في محبته عدل العاذلين، ولا يعتذرون بالإلفاق في سبيله ينحل النحالين .

أبغضوا كل من سواه ليكون منهم دانياً، وخرجوا من كل شيء ليدخلوا إليه، وطمعوا (١) عن كل شيء ليقدموا عليه، وهجروا كل حبيب في طلب وصاله، وأعرضوا عن كل قريب طمعاً في إقباله .

فلو قيل لهم : من معبودكم؟ لقالوا: الله. ولو سئلوا: ما مقصدكم؟ لقالوا: الله. فالله سبحانه هو معبودهم الذي يعبدونه، ومقصودهم الذي لا يستقرون دونه

* * *

لربى عبادٌ وحده يعبدونه	يرومونه لا يستقرون دونه
هو السند الأقوى استندوا به	هو القصد الأقصى يقصدونه
إذا اعتمد المضطر في الخطب (٢) غيره	فليس لهم إلا هو يعتمدونه
إذا حسد الناس الملوك بملكهم	فليس لهم في الناس من يحسدونه

(١) طمعوا : ساروا ورجلوا .

(٢) «الخطب» : رشدة الأمر

لأنهم حلّوا ضَمَائِرَ مَسَالِكِ
مَحَبَّتِهِ الْقَوِيَّاتِ الَّذِي يَقْتَتِنُونَهُ
مَتَى فَاتَهُمْ مِنْ وَصْلِهِ قَدَرُ ذَرَّةٍ
لِهَذَا اصْطَفَاهُمْ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَنْ
تَوَلَّاهُمْ دُونَ الْوَرَى (٢) فَوَلَّاهُ
فَمَهْمًا أَرَادُوا عِنْدَهُ يَجِدُونَهُ
وَتَوْحِيدَهُ الْوَرْدَ (١) الَّذِي يَرُدُّونَهُ
فَبِالرُّوحِ زَالَ الْقَدَرُ الَّذِي يَفْتَدُونَهُ
سِوَاهُمْ فَهَمَّ طَوَالَ الْمَدَى يَعْبُدُونَهُ
طَرَّازَ (٣) عَلَى ثَوْبِ التَّقَى يَرْتَدُونَهُ

دَعَاءٌ وَثْنَاءٌ وَابْتِهَالٌ لِلَّهِ تَعَالَى

هَذِهِ سَاعَةٌ رَفِيعَةُ الْقَدَرِ، مَنِيرَةُ الْفَجْرِ، قَدْ أَثْنَيْنَا فِيهَا عَلَى اللَّهِ بِالْأَبَدِ، وَجَلَوْنَا
فِيهَا مَحَاسِنَ آلَائِهِ .

وَالرَّبُّ سَبْحَانَهُ قَدْ أَشْرَقَتْ عَلَيْنَا أَنْوَارُ قَرْبِهِ، عَلَى الْقُلُوبِ، وَرَجَوْنَا مِنْ سَعَةِ
عَفْوِهِ غَفْرَانَ الذُّنُوبِ .

فَمَدَّوْا أَيْدِيَكُمْ لِنَسْتَقِي سَحْبَ رَحْمَتِهِ الْمَمْطَرَةَ، وَنَسْتَكْسِي مِنْ رِضْوَانِهِ
الْحُلْلَ الْفَاخِرَةَ.

وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَصَارِمًا (٤)، فَلْيَكُنْ مِنَ الْآنَ عَلَى
مَوَاصِلَتِهِ عَازِمًا.

وَمَنْ كَانَ مَصْرًا عَلَى مَكْرُوهِ، فَلْيَقْلَعْ عَنْهُ.

وَمَنْ كَانَ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا فَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ.

وَمَنْ كَانَ مُشَاحِنًا لَجَارِهِ، فَلْيَقْصِدْ حَسْنَ الْجَوَارِ، فَلَا حَقَّ بَعْدَ حَقِّ الْقَرَابَةِ
أَعْظَمَ مِنْ حَقِّ الْجَارِ .

(١) الْوَرْدُ: الْمَاءُ الْمُرْدُودُ الْمَطْرُوقُ .

(٢) «الْوَرَى»: الْخَلْقُ.

(٣) الطَّرَازُ: الرِّسْمُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الثَّوْبِ .

(٤) أَيْ مُقَاطَعًا مُخَاصِمًا .

طامعة: يا حيُّ يا قيُّوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا كثير الخير،
و يا دائم المعروف، يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً، ولا يحصى غيره أحداً .

يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل: نسألك مما كتبت على نفسك من
الرحمة، ومما فى خزائن فيضك، ومكنون غيبك، أن تضاعف صلواتك على
سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسائر عبادك الصالحين .

اللهم اعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أشْر^(١) النفوس، وأذهب عنا
وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا، وأجرنا من
الشیطان الرجيم .

اللهم طيبنا للقائك، وأهلنا لولائك، وأدخلنا فى المرحومين، وألحقنا
بالصالحين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا
من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، ورزقنا مرافقة الذين أنعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم اغفر لنا ماضى من ذنوبنا، واحفظنا فيما بقى من أعمارنا، وكلما
عدنا بالمعصية فعد علينا بالتوبة منها .

وإذا ثقلت علينا الطاعة فهونها علينا، وذكّرنا إذا نسينا، وبصّرنا إذا عمينا،
وأشركنا فى صالح دعاء المؤمنين، وأشركهم فى صالح دعائنا، برحمتك يا أرحم
الراحمين .

لخالقنا الحمد على ما منَّ به من الفضل وأنعم، وله الحمد عدد ما أسبغ
على خلقه من النعم، وله الحمد كما يستوجب على جميع الأمم، وله الحمد
كما أثنى على نفسه فى القدم. وله الحمد كما أجراه على السنة حامديه،
وألهمهم حمداً تضيق عنه الآفاق، ولا تسعه السبع الطباق، كما يحب ويرضى،
ينقضى الليل والنهار ولا ينقضى، لا تحصى السفرة الكرام، ولا تنفد الليالى
والأيام.

وكيف لانحمد خالقنا الذى لم يشاركه فى خلقه أحد، ورازقنا الذى

(١) الأشر: البطر .

لو عددنا نعمه لم يحصرها العدد.

كنّا أمواتاً فأحيانا، وفقراء فأغنانا، وهو الذى أطعمنا وأسقانا وكفانا وآوانا، وأرسل إلينا رسولا وأنزل علينا قرآنا، وأجرى على جوارحنا طاعته، وكتب فى قلوبنا إيمانا .

فله الحمد على ما أولانا، إن رحمنا أو عذبنا، وإن أسعدنا أو أشقانا.

* * *

المتقون محبوبون فى الدنيا فالحن فى يوم القيامة

– السلطان العادل وجنده: يحاربون الأعداء، ويفتحون الأمطار، ويغنمون الأموال، فيكون ذلك لهم لذة فى دنياهم ومثوبة فى آخرهم .

– والعلماء الذين يعلمون الناس علوم الدين: فهم فى الدنيا بين الناس مكرمون، وفى الآخرة على هداية الخلق إلى الله مأجورون.

– والمؤدبون أولادهم بالآداب الحسنة، والعلوم النافعة: فالوالد يحسُّ حال ولده، فهو أبيض الوجه، قرير العين فى الدنيا، رفيع المنزل، عظيم المثوبة فى الآخرة.

– والمعامل للناس بالصحة والسلامة فى مجاورتهم ومعاشرتهم، فهو فى الدنيا أبيض الوجه، وفى الآخرة عظيم الأجر.

– والموسع على عياله من صالح كسبه: فهو مسرور لحسن حالهم فى الدنيا، ومأجور على إحسانه إليهم فى الآخرة.

– والمتقربون إلى الله تعالى بقربان الأضاحى، وسائر مافيه النفع المتعدى: فهم لا يزالون يسمعون من الناس حسن الثناء، مع ما ادخر الله لهم من حسن الجزاء .

– والزاهد العابد، الذى قد أقبل على ربه، وأعرض عن شهوات نفسه: فهو فى الدنيا حبيب القلوب والأرواح، وفى الآخرة مبعوث فى زمرة أهل الفوز والصلاح.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر .
 طوبى لعبد إذا أحسن إليه ربه حمد وشكر، وإذا أساء إلى نفسه تاب
 واستغفر.
 كلما قضى عليه بمعصية اغتم وحزن، وكلما وفق لطاعة فرح واستبشر.

يا من بغير رضاه لا أستبشر
 حزني على ما فات منك ملابسي
 وإذا اغتذى قلب بطيب مطاعم
 وإذا تقرب ناسك بضحية
 يا مالك الرق الذي لغيبك
 مالي هجرت ولم أزل بك عائداً
 وكسرت بالإعراض منك ولم يزل
 إن كنت تعطى السائلين لفقرهم
 أو كان بالجرم الكبير جرمتي (١)
 مثلي يسامح بالذنوب لأنني
 هبني أتيتك بالجرائم كلها
 أترى بقربي من جنابك أظفر
 أغدو بها بين الوري أتبختر (١)
 فغذاء قلبي أنه لك يذكّر
 فضحيتي أني لنفسي أنحر
 حقاً على كل الموالى المفخر
 إني إذا عن الوصال وأهجر
 قلب الكسير بباب جودك يجبر
 فأنا إلى جدواك منهم أفقر
 فأنا الشهيد بأن عفوك أكبر
 من أن تؤاخذ في أذل وأحقّر
 أنت الذي كل الجرائم تغفر

مقارنة بين حال الغافلين المستهترين والمستيقظين الآمنين

لك الغافلين من الحمقى والشباب، في لبس مبغضات الثياب، وتناول
 ألوان الطعام والشراب، واللهو بين الرياض والأنهار مع الأخدان (٣)، الأتراب
 ولك المستيقظين في إنفاق الأعمال الصالحة لإحراز الثواب، والاهتمام

(١) أتبختر : أفتخر

(٢) « جرمتي » : رأى وصممتني بالذنب .

(٣) « الأخدان » الأصدقاء .

بأمر العاقبة لكريم المآب، وإنقاذ نفوسهم من سوء الحساب، وأليم العذاب، والفوز بمفاز ذى حدائق وأعنان، ولذة العارفين فيما يقربهم من جناب العزيز الوهاب. لا تهتمون بما تحت العرش وما فوق التراب، لأن ذلك كله مخلوق والاهتمام بالخالق أوجب عند أولى الألباب.

إذا أعجبتك الدنيا برونق رائقها، فاجعلها سبباً للشوق الى رياض الجنة وحدائقها. وإذا بهرتك الجنة بنعوت ذرايبها ونمازقها، فاجعلها حادياً لتحذوك الى جنات خالقه.

* * *

رؤيا منامية عن الجنة ونعيمها

رأيت يوم الجمعة فى المنام، ونحن فى انتظار الصلاة، قائلاً يقول:
إنما يصلح العبد لحضرة الله، بعد أن يجعله فى الجنة، بين حورها وولدائها وسائر نعيمها، ثم تراه غير ملتفت إلى شىء من ذلك، فحينئذ يرسل جبريل فيدعوه الى الحضرة.

لعمري إن جنة عدن عظيمة القدر، ولكن حضرة الله أعظم ما فيها.
وجنة الفردوس لذيذة الوقع، ولكن ألد منها النظرة الى وجه بانيتها.
كما لا يشبه الله تعالى شىء من خلقه، كذلك لا يستغنى بشىء من رزقه، قدر هذا الكلام فوق همة القائل والسامع، وما منا إلا من هو فى نيل هذا الأمر طامع، فنعوذ بالله أن يكون طمعنا غروراً، ونسأله ألا تكون حقيقة الزيادة فى حقنا زوراً.

لولا رجاء كريم، وعدل، ما طمعنا أن نزور، لكن وعدت وليس وعدك زوراً. نستغفر الله العظيم.

طريق الخشية والتعظيم، طريق مأمون العثار سليم، فعظموا الله العظيم، بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.

بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.
وأطيعوه بقدر ما تحمله قلوبكم وأجسامكم.
واسألوه أن يجعل نعمه عليكم عوناً على طاعته، وبلاغاً إلى جنته، وباعثاً
على محبته وسابقاً إلى ما أعدّه لأوليائه في دار كرامته.
وأشركوا الأرامل والأيتام في ما تصطفونه لأولادكم من شهيّ الطعام.
وأحسنوا مجاورة الجيران، ومصاحبة الإخوان.
واملاًوا أوقاتكم طاعات وقرباً، ولا تتخذوا دينكم لهواً ولعباً.
واعلموا أن سرور المؤمنين يوم يعبرون القناطر، ويأمنون المعائر، فذلك يوم
عيدهم، وطالع شعورهم .
وما داموا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور، وأى سرور لمن الموت معقود
بناصيته، والذنوب راسخة في آنيته، والنفس تقوده إلى هواها، والدنيا تتزين في
عينه بمشتهاها، والشيطان مستبطن فقار ظهره، ولا يفتر عن الوسوسة في
صدره، ونفسه، وماله، بعرضه الحوادث، لا يدري في كل نفس ما عليه حادث.
ومن ورائه المغير ، ومساءلة منكر ونكير، ويوسد التراب إلى يوم النشور،
والقيام في يوم، ولا يبلغ وصف أهواله، ولا شرح أحواله، ما لا يسع المؤمن به
أن يستقر له قرار، ولا يخلد إلى هذه الدار، ولا يكون له هم في هذه الدنيا، إلا
التقرب بأنواع القرب، واجتناب الفواحش والريب، وإقامة الدين الذي في إقامته
النجاة، وفي تضييعه العطب.

المجلس الثانى أربع أعمال مهلكة صاحبها

إخوانى :

سبح المسبحون بحمد الله اللطيف الخبير، ما بلغوا من تعظيمه مثقال ذرة.
واجتهد العارفون فى العلم بصفات العلى الكبير، ولم يشربوا من بحر
معرفة مكىال قطرة.

وشمر المجتهدون فى طلب القرب من جناب العزيز الحكيم، ثم ماتوا وفى
قلوبهم من القرب حسرة.

وكيف تدرك عظمة من لا يحاط به علماً، أم كيف يتناسى القرب من
جانب من ليس لارتفاعه منتهى، ولا وراءه مرمى.

إله انتظمت الأمور بتدبيره، وتقدرت العلوم بتقديره، ومهد بساط المكان
لأجسام العالمين ووطأ، ومد رواق الزمان بحركات العالمين وعاء، وصرفه فصولاً
مختلفة الطبائع : ربيعاً، وخريفاً، وصيفاً، وشتاء.

أربعة أعمال قطعت أعناق الرجال:

- أولاً : الكفر -

- أولها : الكفر ! وهو قسمان :

كفر الشك: كفر فرعون، حين قال «لَعَلَّى أَطَّلَعَ إِلَى إِلَه مُوسَى وَإِنِّى

(١) سورة القصص . الآية: ٣٨

وكفر السخط: كفر إبليس، حين قال : «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَىٰ» (١).

وجميع أقسام الكفر مشتقة من هذين القسمين.
وكفر السخط بليته أعظم البليتين، لأن الشاك قد يؤمن إذا اتضح اليقين.
وأما السخط فعلى بصيرة كفر برب العالمين.

- ثانياً : البدعة

- ثانيها : البدعة! وهي قسمان:

مكفرة، ومضللة. فمن سلم منهما فقد سلم إسلامه وهداه، ومن ابتلى بإحدهما فقد حاد عن طريق الإسلام أو تاه عن سبيل النجاة.

- ثالثاً : الغفلة

- ثالثها: الغفلة عند ذكر الله! فإن المعصية إلى الغافل أسرع من انحدار الصخرة إلى المكان السافل.

- رابعاً: حب الدنيا

- ورابعها : حب الدنيا! فإن مثل المحب لها، ولو كابد العبادة، كمثّل ناشر الأرز، يرفع رجلاً ويضع أخرى ومن مكانه لا يبرح.
وكذلك الذى شغل بحب الدنيا قلبه، وبالعبداء جوارحه، تراه طول عمره يتقرب الى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه.

* * *

أنت الأميرُ على الدنيا بزهدك في حطامها وطريق الحق مسلوكة
وأنت عبد لها ما دمت تعشقها إن المحب لمن يهواه مملوك

* * *

(١) سورة الإسراء . الآية : ٦٢

زاد المحبين إلى الله رب العالمين

المحبون لله قوم شغلهم حبه عن حب سواه، فهم في قبضة محبته أسراء، وعلى كل من دونه أمراء.

إذا علت أصوات العباد، إذ غلت أسعار الأقوات، وجدوا من ذكره قوتاً غازياً، وإذا مرضت أمزجة أبدانهم صادفوا من كتابه دواء شافياً
وإذا خافت السبل سلكوا إليه طريقاً أميناً، وإذا انقطعت الأسباب أمسكوا من يقينهم حبلاً متيناً، واشوقاه إليهم، بل والهفاه عليهم .

* * *

لا تحسبوا أن عنكم صبرٌ فـا لطف بك وقلبي حشوهُ جمر
وقد بليت بما لا أشتهي العمر با لله ارحموا عبرتي (١) قد مستى الضرر

* * *

تضرع العبد بالدعاء عند نزول البلاء

لو أن بنا حياة لأحسننا بما نحن فيه من جهد البلاء.

ولو أحسننا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من الدعاء، وقرحت أجفاننا من البكاء، ولكنا طردنا، فما أحدٌ على نفسه حزيناً، ونمنا ملء عيوننا، وضحكنا ملء أفواهنا، كأن لم يأكل الكلب لنا عجيناً

وكان من الواجب على قوم حرمو لذة مناجاة الله، وطردوا عن مجالس أولياء الله، أن يحثوا على رءوسهم التراب، ويخرجوا إلى الصعيد يجارون.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

(١) العبرة : الدمعة .

(٢) سورة الأنعام . الآية ٤٣ .

فابكوا على أنفسكم بكاءً طويلاً، ولا تقيّلوا إلى الدنيا أيها العباد، فما
اتخذها عاقل مقيلاً .

* * *

تَبَتَّلْتُ (١) رُوحِي لَكُمْ فِي الْحُبِّ تَبَّ شَيْلاً مُرْتَلّاً ذَكَرْكُمْ بِالْمَدْحِ تَرْتِيلاً
حَتَّى أَصِيرَ بَعِيدَ الطَّرْدِ مَقْبُولاً بِاللّهِ عَلَيْكُمْ اسْمَعُونِي نَعَمْ لَمْ تَسْمَعُونِي لَا

* * *

الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ فِي الْقُرْبِ مِنْ جَنَابِ اللَّهِ

وَالْخَوْفُ وَالذَّلُّ فِي الْبَعْدِ عَنْهُ تَعَالَى

مَنْ لَمْ يَعْتَزْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِيلاً، وَمَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِكِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ
عَلِيلاً.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الدَّهْرُ فَقِيرٌ.
وَمَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِالْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ، فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ عَبْدٌ، وَفِي قَبْضَةِ اللَّهِ كُلُّ
أَسِيرٍ.

وَمَنْ لَمْ يَتَتَرَسْ بِتَرَسِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، أَصَابَهُ كُلُّ رَامٍ.
وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِ بِحِمَايَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْمِهِ سِوَاهُ حَامٍ.

* * *

جَفَنِي الْقَرِيحُ عَلَيْكُمْ وَأَقَعَ دَامِي الْمَاءُ مِنْ سَحْبِ عَيْنِي هَامِعٌ هَامِي (٢)
وَمَذْهَجْرْتُمْ وَكُنْتُمْ عِزِّي السَّامِي غَشَانِي الذَّلُّ مِنْ خَلْفِي وَقَدْ أَمِي

* * *

(١) «التَّبَتُّلُ» : الانقطاع عن الدنيا.

(٢) هَامِعٌ هَامِي.

هذا جزاء من دُعي الى العزيز الغفار، فما أجاب الداعي .
ونذب الى السعى فى فكاك رقبتك من أسر النفس والشيطان فقصرت به
المساعى .

الله يحيى القلوب الميتة بذكره كما يحيى الارض

سبحان من بهرت عظمته عقول العارفين .
سبحان من زهرت أنواره لبصائر السالكين .
سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين .
انظر الى آثار رحمة الله ، كيف يحيى الارض بعد موتها، وملبسها قبل
ليل بهجتها، بعد سلبها وفوتها .

كذلك ينظر الى القلوب الميتة فيحييها، والى المهج الصادية فيرونها .
ينظر الله سبحانه الى الارض كل سنة فى آخر فصل الشتاء، وقد لقيت
من شدة البرد جهد البلاء، فغريت أشجارها، وخرست أطياريها، وهمد حسيها،
وأوحشت آنيتها، وعبست مباسمها، ودرست مراسمها، فيتداركها البر الرحيم
بألطافه، فإذا هى قد اخضر يابسها، وأقتر عابسها، وطفحت أنهارها، وصدحت
أطياريها، وهب نسيمها الراكد، وحى رميمها الهامد . فاصغ أيها اللبيب تسمع
الفهم والفكرة ، الى ما تقوله الناشئات بلسان العبرة، فإنها تقول بلسان الحال :
سبحوا بحمد الكبير المتعال، واستدلوا بقدرته على إحياء الأرض الموات، إنه قادر
على إخراج الأموات بعد الشتات .

يأْمُرُضاً عَنْ عَرْضِهِ وَحَسَابِهِ	لَا يَسْتَعِدُّ لِيَوْمٍ نَشْرُ كِتَابِهِ
مُتَعَلِّلاً بِعِيَالِهِ وَبِمَالِهِ	مُتَلَهِّياً فِي أَهْلِهِ وَصَحَابِهِ
مُتَنَاسِياً لِمَمَاتِهِ وَضَرِيحِهِ	وَنَشُورِهِ وَوَقُوفِهِ وَمَنَآبِهِ
الْقَوْلُ قَوْلٌ مُّصَدَّقٌ وَالْفِعْلُ	لِ فَعْلٍ مُّكَدَّبٌ بِثَوَابِهِ وَعَقَابِهِ
مَنْ قَالَ قَوْلًا ثُمَّ خَالَفَ قَوْلَهُ	لَهُ بِفِعَالِهِ قَفْعَالُهُ أُولَى بِهِ

باب منه

برد العزيمة يؤثر في الأعمال والنيات، كما يؤثر برد الشتاء في ناضر النبات.

يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابساً، ويسقع مفتر الزهر فيعود عابساً..
فكذلك برد العزيمة، يجعل العامل عاطلاً، والنابة خاملاً.
فإن لم يكن بدء من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات
ضعفك عن الحسنات.

* * *

حفظ رأس المال مقدم على الربح

إذا فأتك الريح الذي كنت ساعياً لإحرازه حتى تُثمر مالك
فكن مُحَرِّزاً من رأس مالك أصله لعلك تنجوا لعلك ولا لك

* * *

باب منه

لولا التفريط في حفظ الأصول، لكان لكل ساع إلى النجاة وصول،
ولكل واقف على الباب دخول.

وإنما الوصول إحكام العمل، بإحكام العلم المنقول، مما أنزله الله في كتابه
وشرعه على لسان الرسول.

شريعة رسول الله ﷺ سفينة مأمونة، من اعتصم بركوبها نجا، ومحجة من
سلك طريقها وصل إلى نيل المنى، لأنه ﷺ مؤيد بالعصمة فما ينطق عن
الهوى.

* * *

شَرِّحُ الرِّسُولَ سَفِينَةً مَأْمُونَةً
وَمَحْجَةً لِّلْسَالِكِينَ فَمَنْ يَسْرِفِيهِ
شَمْسُ الظَّهْيَةِ فِي نَهَارٍ صَائِفٍ (١)
هَذَا وَلِلَّهِ مَقَامُ الْفَحُولِ الْأَبْطَالِ
قَوْمٌ سَمَتْ بِهِمُ الْعَوَارِفُ وَالنَّهْيُ
قَوْمٌ أَبَتْ بِهِمُ الْمَفَاخِرُ وَالْعُلَى
لَمَّا رَأَوْا الْمَعْجَلَ (٣) هَهُنَا
وَرَأَوْا نَعِيمَ الْخُلْدِ حَظَّ نَفْسِهِمْ
كَتَزَ مَتًى ظَفَرَتْ بِهِ كَفَّ امْرِئٍ

مَنْ يَعْتَصِمُ بِرُكُوبِهَا يَوْمًا نَجَّى
هِيَ عَلَى نَهْجِ الْهَدْيِ بَلَغَ الْمُنَى
مَنْ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا فَقَدْ اهْتَدَى
وَمَنَالُ أَصْحَابِ الْهَمِّ الْعَوَالِي
أَنْ يَرْغَبُوا فِي كُلِّ فَنٍ قَالِي (٢)
أَنْ يَشْتَرُوا غَيْرَ النَّفِيسِ الْغَالِي
كَدَّرَ الْمَشَارِبِ مَوْذُنَ بَزْوَالِي
وَالْحِظُّ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِعْلَالِ
لَمْ يَخْطُرِ الْإِمْلَاقُ مِنْهَا بِيَالِ

يا طلاب الجنة أقبلوا إليها

إن جناب الجنة رفيع، وملكها كبير، ولكن جناب الله أرفع وأكبر
وسلمنا أن بهجة الفردوس بهية باهرة، ولكن بهجة حضرة الله أبهى
وأبهر .

ماسمت همم العارفين عن طلب الجنة، جهلاً بما فيها من نعيم النفوس
والقلوب، ولكن رأوا أن نعيم الحضرة أحب إليهم من كل محبوب .
يا طالب الخير: احذر أن يشغلك قبلك عن كبيرة .

يا خائف الشر: لا يهلك صغيرة عن كبيرة .
اسمُ بهمتك إلى المعالي، ونافس في كل نفيس غالي، ولكن احذر أن
تقول أنا لأرغب في جنة النعيم، ولأرهب من عذاب الجحيم، وأنت ممن إذا

(١) صائف: حار .

(٢) «قالي» مبغض

(٣) «المعجل» العاجل .

مَا أَقْبَحَ الدَّعْوَى مِنَ الْمُدَّعَى يَعْرِفُ هَذَا كُلُّ قَلْبٍ يَعَى
أَلَيْسَ يَكْفَى الْمُدَّعَى أَنَّهُ فِي نَسَبِ الصِّدْقِ زَنِيمٌ (١) دَعَى

* * *

أَنْتِ تَنْظُرِينَ إِلَى رَوْنَقِ زَهْرِ الرَّبِيعِ وَبَهْجَتِهِ، وَتَصْغِي إِلَى تَرْجِيْعِ صَوْتِ
الْعَنْدَلِيبِ وَنَغْمَتِهِ، فَيُلْهِيكِ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ مَوْلَاكَ، وَتَسْتَحُوْذُ بِهِ عَلَيْكَ دُنْيَاكَ،
حَتَّى تَنْسَى أَخْرَاكَ. فَكَيْفَ بِكَ لَوْ تَبَرَّجْتَ لَكَ حَوْرِيَّةٌ مِمَّا نَعَتْ لَلَّهِ فِي كِتَابِهِ ؟
أَوْ سَعَى عَلَيْكَ بَعْضُ الْوُلْدَانِ الْخُلْدِيِّينَ بِأَبَارِيْقِهِ وَأَكْوَابِهِ ؟ إِذَا لَطَارَ قَلْبُكَ، وَطَاشَ
لُبُّكَ .

إِنَّمَا الشَّغْلُ بِاللَّهِ عَمَّا سِوَاهُ مَرْتَبَةُ الْعَارِفِينَ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ شَأْنَهُمْ فَالْأُولَى
بِهِ مَقَامُ الْخَائِفِينَ .

نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .. مَا أَعَزَّ جَنَابَ اللَّهِ ، وَمَا أَطْهَرَ حَضْرَةَ اللَّهِ .

نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ... نَحْنُ قَوْمٌ ضَعْفَاءُ خَلَقَ اللَّهُ، إِنَّمَا نَحُلْ أَنْفُسَنَا بِحَيْثُ
أَحْكَمْنَا اللَّهَ .

عَسَى اللَّهُ الَّذِي أَخْرَجَ الْوَرَقَ مِنَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ، أَنْ يَنْقُلَنَا عَنِ الْأَحْوَالِ
الْمَبْغُوضَةِ إِلَى أَحْوَالِ رِضْيَةٍ، وَيُبَدِّلَنَا بِهِمُ الدُّنْيَا الدُّنْيَا هَمِّمَا عَلَيْهِ، فَطَلَمَا أَغَاثَ
الْمَجْدِيِّينَ عِنْدَمَا قَحَطُوا، وَأَنْزَلَ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنْطَلُوا.

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: هَذَا زَمَانُ رِبْعِكُمْ، فَأَيْنَ زَهْرُ عُلُومِكُمْ ؟

يَا مَعْشَرَ الْكُهُولِ: هَذَا أَوَانُ خَرِيفِكُمْ فَأَيْنَ ثَمَرُ أَعْمَالِكُمْ ؟

يَا مَنْ قَدْ عَاشَ فِي الْإِسْلَامِ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَانِ، فِي سَمَاعِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ
وَالْقُرْآنِ: أَيْنَ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ ؟

هَذِهِ أَرْضُ حَرْثٍ آخَرَتْكَ هَامِدَةٌ، مَا اهْتَزَّتْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلَا رَيْتُ.

هَذِهِ سَيُوفُ عِزِّكَ كُلَّمَا ضَرَبْتَ فِي جِهَادِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ نَيْتُ.

(١) الزَّانِمُ الَّذِي يَعْرِفُ بِلُؤْمِهِ.

إذا كان البلد طيباً خرج نباته بإذن ربه، وإذا جنت لاتخرج إلا نكداً .
يامكروباً لم ينفس من كربيه، يامصراً على ذنبه قد حال الشيطان بين
التوبة وبين قلبه ! صرخ إلى الله صراخ من قد ييس عوده، وهزمت جنودها
وقل بلسان الذكر فى الانكسار: ياوهّاب النعم الغزار، يا فالق الحب والنوى
يامنشىء الأجساد بعد البلى، يامؤوى المنقطعين إليه ياكافى المتوكلين عليه ..
انقطع الرجاء إلا منك، وخابت الظنون إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك،
ووهن الاستناد إلا إليك.

نسألك بالرحمة التى كتبتها على نفسك، وبالكرامة التى أخفيتها
لأوليائك، أن تمطر محل قلوبنا سحاب برك وإحسانك، وأن توفقنا فى كل
حال لموجبات رحمتك، وعزائم غفرانك، إنك جواد كريم، غفور رحيم .

* * *

المجلس الثالث من فضائل القرآن الكريم

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، وأباده التي لا تستقصى .
 فالحمد والشكر لمن أنعم ، أكرمنا بكتاب جلا به عن الأبصار العمى ،
 وأخرج به الأسماع من الصمم ، وأنقذ به النفوس من الردى ، وشفى به القلوب
 من السقم ، وخصنا بنبي بعثه إلى الأحمر والأسود ، واصطفاه على العرب
 والعجم ، وفضله على كل ملك في حضرته معرب ، وكل نبي برسالته مكرم .
 أنزل عليه كتاباً ، ضمن لقائه بكل حرف عشر حسنات ، إلى مائة حسنة ،
 فإن تدبره فالأمر أجل وأعظم .

القرآن: دليل لا يضل في السلوك من تابعه ، وناصر لا يخشى الخذلان من
 شاعه ومشيره ، لا يخطيء الصواب من طاعه .

أهل القرآن: أئمة بهم اقتدى أهل السلوك إلى رضا الجبار ، وبهم تخلص
 من نجا من نار .

* * *

<p>خزانٌ وحي الله لم ير غيرهم لكن عليهم أن يقوموا بالذى صدق وإخلاص وحسن عبادة وتورع وتزهّد وتعمّق وديانة وصيانة وأمانة وأداء فرض واجتناب محارم يحامل القرآن إن تك هكذا ومتى أضعت حدوده لم تنتفع</p>	<p>أهلاً لحفظ كلامه المختار فييه من المشروع للأبرار وقيام ليل من صيام نهار وتشبه بخلائق الأخيار وتجنب لخلائق الأشرار وإدانة للحمّد والأذكار فلك الهني بفوز عقبي الدار بحروفه وسكنت دار بوار</p>
--	--

العالم حذر من العواقب والعارف متيقظ من النوائب

على قدر قرب العبد من الله يكون حظه، وكلما توقّر نصيب العالم من العلم اشتد حذره .

ومن عرف مكر الله بأعدائه لم يغتر بطول الحلم، فإن العواقب عنا مغيبات، وسهام الأقضية إلينا مصوبات .

وما فعلوا لنا إلا أحسن الظن بكرم الله ، وقوة الاعتماد عليه .

إن رحمتنا الله فبفضله، وإن عذبنا فبعذله، حسابنا عليه، وإنابتنا إليه .

فأحسنوا بالله الظنون والآمال، واحملوا إليه بالأعمال، فإنه لا يخيب آمال الآملين، ولا يضيع أجر العاملين .

هو الحي لا إله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين .

الحمد لله رب العالمين .

لا إله إلا الله .. توحيداً يبين عقائد المشركين .

لا إله إلا الله .. تنزيهاً يناقض دعاوى المبطلين .

لا إله إلا الله .. إقراراً بما أنكرته عقول الجاحدين .

لا إله إلا الله .. إيقاناً لا يشوبه تردد الشاكّين .

لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين .

لا إله إلا الله .. إسلام من قال له ربه : أسلم، قال أسلمت لرب

العالمين .

لا إله إلا الله شهادة أرجو بها مجاورة الرب الكريم، وفي جنات

النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والضّدين والشهداء والصالحين .

تقدست أسماؤك .. يا من أنزل علينا كبيراً .

تعالى جدك .. يامن لم يتخذ فى سلطانه مشيراً .
أنت الذى قدرت سير الشمس والقمر فى منازل فصول السنة تقديراً،
وجعلت مواقيت الصلاة مؤقتة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .
فطوبى لعبد أقمته فى خدمتك، آناء الليل وأطراف النهار، راکعاً،
وساجداً، وحامداً، وشكوراً .

سبحان مقيم عثرات المذنبين .
سبحان غافر خطايا المستغفرين .
سبحان من جعل الزمان أوقاتاً، تقبل فيها توبات التائبين، وتقضى
فيها حوائج السائلين .
فانتبه أيها العبد الفقير الضعيف، واغتتم شرف هذا الوقت الشريف،
فكم لله فى مثل هذه الساعة من نعمة أسداها، وحاجة لعبد مضطر قضاها.

* * *

أيا راقداً الليل انتبه من رقادك	وكن مع سلاك المحبة سالكا
فهذا زمان البذل والجود والندى	فقم واسأل الخيرات تعط سالك
أيا ناسياً عهد المحبة قاطعاً	حبيل حبيب واصل لحبالك
إلى كم صدوداً واجتناباً وجفوة	تعال نجدد عهدنا من وصالك
أما أن تشتاق قرب مزارنا	كما نحن مشتاقون قرب مزارك
تناسيتنا حتى نسيت عهدنا	لكننا لم ننس عهد وداك
كأنك لم تذنب إذا جئت تائباً	فتب نعو عما كان من سوء حالك

* * *

تنبيه الغافلين إلى جنة رب العالمين

انتهاز فرصة الزمان، قبل تعذر الإمكان، قبل أن تنقل من اسم مازال إلى خبر كان، فما كل حين ممكن الفوز بالمنى، ولا كل وقت يرفع الحجب للعبد.

إذا بَاعَدَتْكَ الرِّيحُ فَادْفَعْ شِرَاعَهَا فَيُوشِكُ أَنْ تَأْتِيَ الْعَوَاقِبُ بِالْحَمْدِ
فَمَا حَازِمٌ مِنْ لَمْ يُيَادِرْ إِلَى الْعُلَا وَلَا نَافَسٌ مِنْ لَمْ يُنَافَسْ عَلَى الْمَجْدِ

هذه سوق المعاملة قائمة، فأين طلاب الأرباح.
هذه مقصورات الخيام بارزة، فأين خطّاب الملاح.
لو أن حوراً طلعت إلى الدنيا لملاؤها نوراً وعطراً.
فهل إلى مقارنة هذه القرين الصالح مرتاح.
كيف ينفزع لخطبة الحور، من هو مخلص إلى دار الغرور، إن هجرته الدنيا
فهو محروور، وإن وصلته فهو مسرور، قد خدعته أباطيل المنى، وغره بالله
الغرور.

أَيُّهَا الرَّافِلُ (١) فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ يَوْمِ النَّشُورِ
أَيْنَ مَاقَدِّمَتِ الْقَبْرِ الَّذِي سَوْفَ فِيهِ تَشْوَى (٢) مَا بَيْنَ الْقُبُورِ
أَيْنَ مَاقَدِّمَتِ الْحَشْرِ الَّذِي فِيهِ تَدْعُو بِثُبُورٍ وَحُبُورِ (٣)
أَيْنَ مَاقَدِّمَتِ الْمَوْلَى الَّذِي هُوَ عَدْلٌ فِي قَضَاءِ لَا يَجُورُ
احْذَرِ الْغَفْلَةَ عَنْهُ فَهِيَ مِنْ أَقْتَلِ الدَّاءِ وَمِنْ شَرِّ الشُّرُورِ

(١) «الرافل» في ثيابه المزهر بها.

(٢) «تشوى» تقيم.

(٣) أى بملاك أو سرور.

اللهم لا تجعلنا عن ذكرك غافلين، ولا عن أمرك زائغين، وأدخلنا في عبادك الذين اصطفيتهم لورثة كتابك، وأنظمنّا في سلك من أهله لولائك، وأغفر لنا بفضلك مغفرة عزماً، لانخاف بعدها ظلماً ولا هضمًا.

اللهم يا من أفاض خلع الإيمان على المؤمنين، ويا من ملأ من عطائه أكف السائلين، ارزقنا إيماناً تخالط بشاشته القلوب، وهب لنا عطاء غير ممنون ولا محسوب .

اللهم يا جواد يا كريم، يا عزيز يا وهّاب، اهد إلى حضرة الحبيب محمد صلاتنا، وسلامنا، أفضل ما هداه المحبوب إلى حضرة الأحباب.

عليك صلاة الله ثم سلامه	سلام على الأيام باقٍ دوامه
وجاراك الله عنا أفضل ما جرى	نبياً يفرق الفرقدين (١) مقامه
فأنت شفيع المذنبين إذا زكا	سعيير جحيم لا يطاق ضرامه (٢)
بجاهك عند الله كن لي شافعاً	إلى صاحب الجود المهون غرامه
فلا زلت من فضل الكريم منعماً	بقرب محل لا ينال مرامه

الطريق إليه تعالى

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لا تقطع إلا بقطع العلائق، ورفض العوائق.
وعلى مرآة القلب صبدأ، لا يجلوه إلا نسيان الخلق في جنب ذكر الخالق.
فمن أراد أن يصل إلى ربه، فليتفرغ لمواصلة السرى.
ومن أثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى.
كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو في قبضة العوائق أسير.

(١) الفرقدين: نجمان .

(٢) «الضرام»: اللهب.

الأمر كله فى حرفين:

- أحدهما: الإعراض عما سوى الله

- والآخر: الإقبال عليه.

فمن لم ينقطع عما سواه، لم يمله الاتصال به، ولا الوصول إليه.

* * *

يا حسرة الغافل واللاهى	لا كان مايلهى عن الله
اطرح الدنيا وأشغالها	لا كان مايلهى عن الله
ولا تقل أهلى ولا عشيرتى	لا كان مايلهى عن الله
ولا تقل ولدى ولا زوجتى	لا كان مايلهى عن الله
ولا تقل دارى ولا ضيعتى	لا كان مايلهى عن الله
ولا تقل أرضى ولا مولدى	ما كان مايلهى عن الله
ولا تقل طبعى ولا عادتى	ما كان مايلهى عن الله
ولا تقل مالى ولا قنيتى (١)	ما كان مايلهى عن الله
الله يغنى عن سواه	وسواه لا يغنى عن الله

* * *

الشغل والفراغ

كم بين الفراغ والمشغول؟ كم بين الصحيح والمعلول؟

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، وفى الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٢)، نظير الصحة: قرينها، وكذلك الشغل نظير السقم وقرينه.

(١) القنية: العطية .

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقاق راجع القارى لأبواب فتح البارى .

ففرغ إلى الله قلبك، فنعم بالله بالاً، وواصل إلى الله مسيرك، تنل من الله وصالاً.

يأتي الذين تجنّبوا الأشغال تركوا النساء كأنهن أرامل وجوعوا وتعطّشوا وتضمّروا (١) فطمّوا عن الدنيا نفوساً حتى إذا بليت ضنى أجسادهم وردوا جناب مليكهم فأحلهم في حيث لا يبغيون عنه

بذلوا النفوس وأنفقوا الأموال قبل الممات وأيّموا الأطفال طلب السباق وخففوا الأثقال طال ما كانت تنيه على النعيم دلّالا ولقوا شجوناً في السرى وكلالا داراً تفوق الفرقدين منالاً دهرهم حولاً ولا يخشون زوالاً

طرق الأنام إلى دار السلام

أبصر القوم قصرهم، وبذلوا في الطلب جهدهم، وعلموا أن العلائق عوائق، وأن الخف هو السائق، فخففوا أنفسهم وأظهرهم من أثقال الأشغال، لعلمهم بأن الطريق كثير المزالق .

هذه سنة الكرام، في طلب ذى الجلال والإكرام، فأين المقتدون؟

هذه سبيل هداة الأنام، ودار السلام، فأين المهتدون؟

عاقنا والله عن اقتفاء آثارهم، والتعلق بأذيال غبارهم، فضول الكلام والطعام، وشغل القلب والجوارح بكسب الحطام والآثار.

استنفرنا في سبيل الله فثبطنا، ودعينا إلى الجناب العالى فأبينّا. إن لهم

(١) أى ضمروا بطونهم جوعاً واشتغلوا بالعبادة .

دنيه لا تشتاق إلى العالى، ولا تنافس فى طلب الغالى، ولا تأنف من الهواء ولا
تبالى .

مَالِي وَالتَّفْرِيطُ مَالِي	قَدْ حَالَ بِالتَّفْرِيطِ حَالِي
كَمْ ذَا أُعْلِلَ بِالمُنَى	كَمْ ذَا أُسْبِوْفُ بِالمُحَالِ
أَيْنَ التَّزَوُّدُ لِلرَّحِيلِ فَقِيدُ	دَنَا وَقْتُ ارْتَحَالِي
يَالَيْتَ أَحِبَّابِي الَّذِينَ هُمُ	مِنَ الدُّنْيَا سِوَالِي
يَرِثُونَ لِي مِمَّنْ عِلَّةُ	قَدْ صُرْتُ بِهَا كَالْخَالِ
قَالَ الْحَبِيبُ وَقَدْ رَأَى	مُأَبَى مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ
مِنْ دَاوَاهُ الْهَجَرَانِ لَا	يَشْفِيهِ مِنْهُ سِوَى الرِّصَالِ

الداء والدواء الشافى

قد ثبت فى الحكمة أن شفاء الأمراض قصد أسبابها، فمن استشفى
لمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها .

فمن كان دأؤه المعصية فشفاءؤه الطاعة، ومن كان دأؤه الغفلة فشفاءؤه
اليقظة، ومن كان دأؤه كثرة الاشتغال فشفاءؤه فى تفريغ البال .

من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قل تعب، وتوفر من العبادة نصيبه، واتصل
إلى الله مسيره، وارتفع فى الجنة مصيره، وتمكن من الذكر، والفكر، والورع،
والزهد، والاحتراس، من غوائل النفس، ووساوس الشيطان .

ومن كثر فى الدنيا شغله، اسودَّ قلبه، وأظلم طريقه، وكثر همه، ونصب
بدنه، وصار مهون الوقت، طائش العقل، معقود اللسان عن الذكر، مقيد
الجوارح عن الطاعة، من قلبه فى كل وادٍ شعبة، ومن عمره لكل شغل حصّة .

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم، فكل ماشغل العبد عن الرب فهو مشغوم، ومن فاتته القرب من مولاه، فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم.
كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة. متى أردت أن تعلم: أى الدارين أولى بك؟ فانظر أى الحالين أغلب عليك، فإذا أصحاب الطاعة الجنة أولى بهم، وأصحاب المعصية النار أولى بهم.
ولا تخادع نفسك في صحة النظر، فجهل الإنسان بنفسه أضر الضرر، وأعظم الخطر.

وانظر بعين التفكير والاعتبار: لو أن طبيباً نصرانياً، عفاك عن شرب الماء البارد، لأجل مرض من أمراض الجسد لأطعته في ترك ما نهاك عنه، وأنت تعلم أن الطبيب قد يصدق وقد يكذب، ويصيب ويخطئ، وينصح ويغش.. فما بالك لاترك مانهاك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين؟ لأجل مرض القلب الذى إذا لم تشف منه فأنت من أهلك الهالكين.

لا تقدر على التخلص من بلوى المعصية إلا بالتخلص من سجن الغفلة ولا تتخلص من الغفلة إلا بتضمير البطن (١)، وتفريغ القلب، ومواصلة الذكر.
فجوع بطنك، ورفض شغلك، واذكر ربك، يعتزلك شيطانك.
إن الشيطان حامل على العصيان، والعصيان جنون، ومن لم يحضره الشيطان فليس بمجنون.

طوبى لمن كان كلامه مناجاة الله، وعمله معاملة مع الله، وفكره في تدبر الله، والاعتبار بصنع الله، ونيته خالصة لوجه الله، يزاحم العلماء بركبته، ويقبض على العلم بكلماتي يديه، عبادته مؤسسة على القواعد، وعلى تصحيح العقائد.

ألا رب من قد أنحل الزهد جسمه كثير صلاة دائم الصوم عابد

(١) تضمير البطن: أى أضرارها بالجوع.

يُرُومُ وِصَالاً وَهُوَ بِالطَّرْقِ جَاهِلٌ إِذَا جَهِلَ الْمَقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدُ
قَلِيلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ

* * *

فضل العلم النافع والعلماء المخلصين

من أحب أن يكون للأنبياء وارثاً، وفي مزارعهم حارثاً، فليتعلم العلم
النافع، وهو علم الدين..

ففى الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء» (١)، وليحضر مجالس العلماء،
فإنها رياض الجنة. ومن أحب أن يعلم مانصيبه من عناية الله، فلينظر مانصيبه
من الفقه فى دين الله.. ففى الحديث: «من يرد الله به خيراً، يفقهه فى الدين».
ومن سأل عن طريق تبلغه الجنة، فليمش إلى مجلس العلم..

ففى الحديث: «من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً، سلك الله به طريقاً إلى
الجنة».

ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد موته، فليشر العلم بالتدوين والتعليم..
ففى الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية،
أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وفى الأثر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه: إذا مات العالم انثلم فى
الإسلام ثلثة، لا يسدها إلا خلف مثله.

وعن أبى الأسود، قال: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على
الملوك.

وقال فتح الموصلى: أليس المريض إذا منع من الطعام والشراب والدواء

(١) البخارى فى راجع مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى تأليف طه عبد الرؤوف سعد.

يموت؟ قيل له : بلى. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من حدث بحديث فعمل به، فله أجر مثل ذلك العمل.

وقال الحسن (١): لولا العلماء لصار الناس أمثال البهائم.
فيا من خلقه الله إنساناً، لا يجعل نفسك بقلة العلم بهيمة، ونافس فى إعلاء قيمتك بالعلم.

من ليس له علم فليس له قيمة.
اغتنم تعلم العلم، واحضر مجالسه، فمن ليس بعالم ولا متعلم.. فهو بمنزلة البهيمة، وليست فطرته سليمة.

* * *

يا طالبَ المجد والجلالة	والرّقعة والمكرّمات والشرف
تعلم العلم واحتسب له لوجه	الله لا للمعيش والحرّف
وخذه من فوق العلوم لنا	أنفعه ما روى عن السلف
العلم در إذا أفادك	فى الدين ومالم يفيد كالصدف

* * *

إن جهلنا العلم.. فما نحن بجهله معذورين.
وإن تعلمنا ولم نعمل به.. كنا على ذلك مؤاخذين.
وإن علمنا وعملنا وأخلصنا.. لم نكن بالقول واثقين.
فما لنا عن التنبيه لهذا الخطر العظيم غافلين، فكأننا بصحائف أعمالنا
عند حضور آجالنا وقد طويت، ثم كأننا بها يوم القيامة وقد نشرت، وكأننا

(١) هو الحسن بن يسار من فقهاء التابعين - رحمه الله .

بسوءاتنا يوم القيامة وقد كشفت، فيا خجلتنا يوم الوقوف بين يدي الله،
ويا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله.

كفى بالمسئع جزاء على إساءته أن يفوته بياض وجوه المحسنين، وعلو
درجات المقربين.

فكيف وقد أوجب لنفسه سوء الحساب، وأليم العذاب، والفضيحة على
رعوس الخلائق، والتوبيخ على التقصير بين يدي الخالق.

واغوثاه بالله! يفوتنا الخير ونحصل على الشر، وتدر كنا العقوبة ولا نحصل
الأجر، هذا والله هو الخسران المبين.

اللهم.. يا من لا يرضى لنا بدون رضاه عتاً، ولا يحب لنا إلا ما يحبه منا:
أنقذنا من ورطات الهالكين، وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين، ونجنا
بمفازات المتقين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

المجلس الرابع دعاء له تعالى

اللهم.. إنك افترضت علينا ما لا نطيق أدائه إلا بتوفيقك، فوفقنا لأداء ما افترضته. وحرمت علينا ما لا نمتنع من مواقعه إلا بحفظك، فاحفظنا عن مواجهة ما حرّمته، فلا نعتمد إلا عليك.

اللهم.. ارحمنا برحمة تغنيننا بها عن رحمة الراحمين، وارض عنا رضى لا تسخط علينا بعده أبد الآبدين.

* * *

يا طالبَ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ أَنْتَ عن بابِ الْغِنَى الْحَمِيدِ
يا خَائِفَ الشَّرِّ هَلْ لَجَأْتُ إِلَى رُكْنِ الْقُوَى الشَّدِيدِ
يا مَنْ قَدْ اعْتَكِرَتْ عَلَى قَلْبِهِ الْهَمُومُ لَمْ لَا تَرْوَحْ بِذِكْرِ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ

* * *

استغاثة يا الله

يا مَنْ قَدْ أَخْطَأْتَ وَتَجَاوَزْتَ الْحَدَّ: استغثْ بِمَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يَرِيدُ، مَنْ حَكَمَ بِشِقَاوَتِهِ فَذَاكَ الشَّقَى، وَمَنْ قَضَى بِسَعَادَتِهِ فَذَاكَ السَّعِيدُ.

رب الآخرة والأولى، ليس لأحد سواه مولى.

إذا حكم فلا معقب لحكمه، وإذا قطع فلا مسبب لقطعه، يقضى فلا دافع، ويعطى فلا مانع، وهو الصانع لكل صنعة وصانع.

كلُّ الوجُودِ لعزِّ قهرك خاضِعٌ والكلُّ في صدقاتِ جودك طامِعٌ
يا مِعشَرَ الفقيراءِ أمُّوا بابه فهناك فضلٌ للبرايا واسعٌ
يعطى العطاءَ فلا يمانع مانِعٌ يقضى القضاءَ فلا يدافع دافعٌ
ما للعبادِ عليه حق واجب كلاً ولا مسمى لديه ضائعٌ
يا سائلي عن رتبة الحب الذى من حلمنا فهو الإمام البارِعُ
الزم طريق الذكر عمرك دائباً فالذكر فى القلب المحبة زارعٌ

* * *

من شرطان للذكر

الذكر لله له شرطان: حضور القلب فى تحريره، وبذل الجسد فى تكثيره.
فإن أحببت أن تكون فى الراسخين الأقدام فى هذا المقام، فحرر الذكر على
الإحسان، وكثر بقدر الإمكان.

* * *

يا للرجال الذين سموا إلى نيل العلا لا يزهييه مطامع
قدم همام ماجد متقدم بهم جسور فأتك مسارع
يغشى ب صدره بنحره والوج ه منه أبلغ مستنير ساطع
سمع العدو بذكره فتزعزعت أركانه وعمره ذل قاصع
هذى صفات الذاكرين ونيلها صعب المرارة على النفوس وشامع
فتتبلوا للذكر وانتدبوا له فالذكر درع فى الكريهة مانع
ومتى عقلتم فاعلموا وتحققوا أن العدو على حماكم طالع

* * *

اللهم.. نور بصائرنا بنور هدايتك، حتى ننظر بعين الاعتبار فى عجائب

صنعتك. فكم فطرت من بدائع النسم، وأبرزت إلى الوجوه من بحر العدم.
فنشهد أن لا إله إلا أنت، كما وحدت نفسك في قديم القدم.

وحدوا الله معشر العارفينا فلتوحيدة الشواهد فينا
وصفوه بكل مـِـسـاـهـوـأهل أن تكونوا به واصفينا
وإذا ما رجوتموه فكونوا منه أيضاً مع الرجا خائفينا
وبابواب بره لا تزالوا فوق أقدام شكره واقفينا
لتكونوا من بحر معروفه الزاخر مهما أردتم غارقينا

جزاء المنقطعين إليه تعالى

يلزم العبد منابات عبد مثله متردداً بسعيه إليه، عاكفاً بخدمته عليه، فلا
يلبث أن يعرف حق ملازمته، وبحقه باللطاف كرامته.
فكيف لمن انقطع إلى الله الذي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما
تحت الثرى.

لقد حاز المنقطع إلى الله كنوز الغنى وفاز الطالب من الله بلوغ المنى.
يا سائل عن مطلبها من حازه حاز المنى اسع فديتك ما سأوضحه وضحا
بيناً، وجد ولا شريك وكن بضمان ربك موقناً، وانقد لطاعته تقدك إلى المسرة
والهنا.

من أدخل الله على قلبه مسرة رضاه فقد تمت أفراحه.
ومن ستره الله بستر التوبة النصوح فقد أمن افتضاحه.

يامن له النعم الغزار على الخلائق ليس تحصى
هب لي رضاك فـي هـا مـدى أـمـلى وأـقـصى

معرفة الله تعالى تتحقق بأصول ثلاثة

لا تطلب الحياة إلا بالعافية، ولا تتم العافية إلا بالرضا، وإنما يرضى الله على من تاب من مخالفته، من أهل موافقته.

من لم يلزم نفسه بتقوى الله فهو لئيم، ومن لم يرض بما قسم الله له فهو عديم. الشأن كله فى أن تفهم عن الله ثلاثة أصول:

– أولها: أن تعرف الله بما تعرف به إليك بما هو أهله، وتعرف ما فرض الله عليك معرفته من أحكام شريعته.

– ثانيها: أن تطيعه فى فعل الواجبات وترك المحرمات.

– ثالثها: أن تشتا إلى ماشوق إليه، وتخاف ماخوف منه.

فإذا أحكمت هذه الأصول، لم يتأخر عنك الوصول.

لأن العالم بصفات الله وأحكامه أعلم العالمين، والعامل بطاعة الله فيما أمره ونهاه أعمل العاملين.

ذهب الزاهدون بالراحة، وحصل العابدون على المثوبة، ونجا الورعون من المناقشة، وتحضر المتقون من العقوبة، وفاز المتقربون من القرب، والقرب من الله نظام رغائب الطالبين، وغاية مطالب الراغبين.

وليس للقرب من الله نهاية تنتهى إليها المساعى، فطالب القرب على قدم الجد فى الدنيا ساع، لا تستقر به دار، ولا يقر له قرار، كلما بلغ من القرب غاية علم بأن وراءها عليه أخرى، فهو سائر إلى الله أبداً لا يفتتر.

اللهم.. عطشنا بالشوق إلى لقائك، وأسلطنا فى سلك أوليائك، وأعقبنا جبراً لا يعقبه كسر، واغننا غنى ليس معه فقر، وخر لنا واختر لنا فى كل

ما تقضى من أمر، واحفظنا فى أنفسنا، وأهلينا، وذرياتنا، وأهل ملتنا من كل
ما سوؤنا. واجعلنا فى كل أنواع الطاعة إليك مقربين، وفيما عندك راغبين،
والى ما أعددت لأولائك متقبلين، وصل على نبيك محمد وآله وصحبه
أجمعين.

* * *

المجلس الخامس حكمة الله تعالى

الحمد لله.. الذى ما زالت أحكامه على نظام الحكمة جارية، وأقداره فى جميع خلقه نافذة، وعليهم قاضية.

مكرم من اتقاه، ومهين من عصاه، ويعزّ من انقطع إليه، ويذل من تمرد عليه. يداوى كل ذى داء بدوائه الذى هو له أوفق، ويقيم كل ذى قدر فى مقامه الذى هو له أليق.

فمن كان السقم أنفع لقلبه ابتلاه الله بالإسقام، ومن كان العدم أصلح لحاله ارتضى له الإعدام.

يدبر عباده بحكم التدبير فى مجارى التقدير، ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ (١). فلا تتهموا الله فى قضائه، فإن قضاءه بزمam الحكمة مزوم.

وسلموا له بالانقياد لأمره فى حلو القضاء ومُره، فإن المُسلم له ليس بمحروم. وقابلوا إحسانه إليكم بدوام حمده وشكره، وانسبوا عدله عليكم إلى تقصيركم فى القيام بواجب أمره، فإنه سبحانه على الدوام يعامل عباده بإحسانه وفضله، فإذا استعانوا بإحسانه على عصيانه أدبهم بسوط عدله، حتى لا يزال المخلوق مراقباً لخالقه، والمرزوق شاكراً لرازقه، متأدباً فى معاملته، مقتدياً فى السلوك إلى ربه بأوليائه وأهل طاعته، فمن رزق ما يحب فليشكر الرازق، ومن أصابه ما يكره فليتهم نفسه فى معاملة الخلاق.

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه المبين: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين

ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ (١).

سورة الشورى . الآية: ٤٢ .

ابتلاهم الله تعالى بالقحط ليخلعوا أردية كبريائهم، ويرجعوا إلى طاعة أنبيائهم.

فالواجب على كل قوم انقطعت عنهم متصلات الأرزاق أن يعودوا باللوم على أنفسهم ولا يتهموا الرزاق.

ويستغفروا ربهم من ارتكاب معصيته.

ويتوبوا إليه من الإصرار على مخالفته.

ويتحللوا غرماءهم من أهل المظالم.

ويتصدقوا من فاضل ما أنعم الله عليهم على من أحوجهم الله إليهم.

ويقيموا دين الله كما أمر.

ويحذروا تمام نعمة الله فيهم فهو حق الحذر.

وينكسروا بين يدي الله عساه يجبر كسرهم.

ويتهلوا إليه بالاستعانة والتضرع لعله يكشف ضرهم ويصلح أمرهم.

يا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسَى	ير ومطلق العانى الأسير
يا مَنْشَى الطِّفْلِ الصَّغِيرِ وَرَاحِمِ الشَّ	يخ الكبير وغافر الأوزار
يا شَافِي الدَّنْفِ (١) السَّقِيمِ وَمُحِبِّ الدَّ	عظم الرميم وواضح الأصار (٢)
يا مَنْقِذَ الْغَرَقَى قَدْ أَشْرَفُوا عَلَيَّ	حدّ الهلاك بلجة التّيار
يا مَنْ يَغِيثُ الْعَبْدِ وَهُوَ فَرِيْسَةُ	في قبضة الأسد الهير الضّارى
ارْحَمْ بِفَضْلِكَ جَهْلَنَا وَأَقْبَلْ بَعْفَ	سوك عذرنا يا قـابل الأعذار
وافتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رِزْقِكَ شُرْعاً	أبدأ وبذل عسرنا بيسار

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٣٠ .

(٢) «الدنف» المريض.

(٣) «الإصر» الذنب.

جزاء المخالفين عن أمر رب العالمين

مخالفة الأمر توجب سخط الأمر، والإصرار على المخالفة أعظم منها.
ما أسرع العقوبة إلى المسارع إلى المعصية، وما أبعد الفلاح عمن لا تؤدبه العقوبة.

كيف يطمع فى الزيادة من هو مضيع للشكر، وكيف تدوم التوسعة لقوم كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم.
المستعين بالنعم على المعاصى مستوجب السلب، ومن لا يتأدب بالرزقة فى ماله أدبته الرزقة فى نفسه.

ألا ترون كيف يعاتبنا ربنا تعالى بتضييق مجارى أرزاقنا، وتسليط أقويائنا على ضعفائنا، فما لنا لا نعتب ربنا إذا عتب علينا، ولا نجيب داعيه وقد أشار بطاعته إلينا، فهل ننتظر بعد لطيف العتاب إلا عنيف العقاب.

فتوبوا إلى الله مما أنتم عليه من العصيان تبصروا، فإنكم عما قريب إليه صائرون، فهل أنتم على عذابه صابرون، أو على رفع بأسه قادرون.

فاتقوا الله بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، وإدامة الذكر له، واستشعار الخشية منه، ولا تكونوا ممن ينام تحت الضرب ويظهر الجلد، فإنه الله، إذا عاقب لم يقم لعقابه أحد. غضب بعض الملوك على بعض من هو تحت يده، فلم يحبسه فى دار سجنه، وأجرى عليه رزقاً واسعاً، ثم سأل عنه، فقيل: إنه متجلد غير مكترث، فأمر بنقله إلى ما هو أضيق منه وأشد، ثم لم يزل كذلك كلما أخبروه عنه بقله مبالاته بعقوبة الملك نقله إلى ما هو أضيق منه وأشد، حتى أمر بقتله.

فكذلك العبد إذا عصى ربه وجه إليه أخف عقابه، فإن هو استقال واستغاث بربه أقاله وأغاثه. وإن هو أصر على ذنبه واستهان بعقوبته، شدد الله عليه، وزاده مما يوجهه إليه من العذاب كذلك أبداً حتى يكون أحد أمرين: - إما أن يتوب إلى الله من معاصيه، - وإما أن يتمادى فى طغيانه، ويصر على كفره

وعصيانته. ففي الأول يعافيه الله ويصطفيه. وفي الثاني يخلده الله في دار نقمته، ولا يؤنسه من رحمته.

العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حالّ على أهل معصية الله، والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلزم الشيطان من غشى عن ذكر الله.

فاحذر الغفلة عن ذكر الله فإنها أصل كل بلية، وجالبة كل رزية.

* * *

أحبه قلبى لا تُخَيِّب الأملَ	وهذا أو أن اقتتراب الأجل
فَوَّأَسَفًا وَاَحْسَرَتَا لِقَابِ	ح اقتترافي وفرط الزلل
لقد خاب ظنّي فيما رجوت	وسدت على وجوه الحـيـل
عسى ترقمّون على قصتي	غفربا لذا العبد ذاك الزلل
وكنت أحمل ثقل الغرام ولم	يبق في عبدكم محبتـمـل
وما كنت أحسب أن البعاد	يلغ قتلـي فيها قد قتل
فبـالله جودوا ولا تبخلوا	وحاشاكمو سادتي من بخل
فمعرّوفكم عمّ كل السورى	إلى طلّ دأن وقـيـاصـي وصل
فمالى حرمت وكان الوصا	ل على حرام وللغير حل

* * *

دعاء الله تعالى

اللهم: بعلمك بحالنا، وقدرتك على إصلاحنا، ورحمتك التي لم تنزل تعاملنا بها منذ خلقنا، أتمم علينا نعمتك، وأوجب لنا رضاك ورحمتك، وأجزل نصيبنا من جزيل لطفك، وخفى عنايتك.

اللهم: وفقنا للعمل بموجبات رضاك، ولا تحرمنا عطاءك، ولا تقطع لنا بنا.

دونك، ولا تخيب رجاءنا فيك، ولا تولنا أحداً غيرك، ولا تحرمنا خيرك، يا من
خير الدنيا والآخرة في خزائنه وأهل السموات والأرض مفتقرون لرحمته.

اللهم: إننا ظلمنا أنفسنا، وأسأنا في معاملتنا، وغفلنا عن التيقظ من ذنوبنا
حتى غلب على قلوبنا رينها، وقد ندمنا على قبح ما فعلنا وارتكبنا، وبدا لنا
سيئات ما كسبنا.

اللهم: اغفر لنا مغفرة من عندك يحسن لنا بها توفيقك، وتكشف بها عنا
عذابك، وتغشينا بها رحمتك.

يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجربة، ولم يهتك السريرة.
يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى
أحد من خلقك، وأصلح لنا شبابنا كله، برحمتك يا أرحم الراحمين.
وصل على محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم
تسليماً كبيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس

سبحان الله العظيم

الحمد لله .. ما سبحت بحمده ألسنة الذاكرين، وسبحان الله .. ما أشرقت أنوار ذكره وجوه العابدين، وما امتدت إلى عطائه أكف السائلين.
سبحان الله .. ما حنت إلى لقاءه قلوب العارفين.

سبحان الله .. إله الأولين والآخرين، ورب الخلائق أجمعين، «يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» (١). أنزل إلينا كتاباً أوضح به منازل السالكين، وأيقظ به عقول الغافلين، أنزل به الروح الأمين، على قلب محمد سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، صلاة وسلاماً دائماً باقياً أبداً الآبدين، ودهر الداهرين.

سبحان من أذن لأوليائه في مناجاته إذا أرخى ستور الليل البهيم.
سبحان من فتح أقفال القلوب بمفاتيح الذكر الحكيم.
سبحان من عاد على رحيق فصاله أن نشر بها إلا كل حدٌ كريم.
سبحان من أجزل نصيب أوليائه من خالصة الود القديم، فلو شهدت أيها المحروم نفاسة ما وصلوا إليه لزهقت نفسك حسرة عليه.

لكن جمّلت فما وصلتَ وكل من جهلَ التّواصل لا يحنُّ إليه
ما بال ركب العارفين سرُّوا إلى مولاهم وحظوا الغداة إليه
وأراك عنهم بالتّخلف راضياً يا نقص حظك من نوال يديه

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

سَهَرَ الْعَابِدُونَ فِي إِحْسَرَارٍ رَغَائِبِ الْعِبَادَةِ وَأَنْتَ رَاقِدٌ
وَنَهَضَ الْعَارِفُونَ إِلَى تَشْيِيدِ مَعَاوِلِ السَّعَادَةِ وَأَنْتَ قَاعِدٌ
وَذَابَ الْمُشْتَاقُونَ مِنْ تَوْقَدِ حَرَارَةِ الصَّبَابَةِ وَأَنْتَ جَامِدٌ
فَلَا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ أَنْتَ وَاصِلٌ وَلَا عَلَى مَا وَفَدُوا عَلَيْهِ أَنْتَ وَافِدٌ

تَأْنِيْبٌ لِلْغَافِلِينَ

مَا الَّذِي فَاتَكَ يَا مُحْرَمٍ مِنْ نَيْلِ مَنَّاكَ، أَمْتُ قَلْبًا كَانَ حَيًّا أَحْسَنَ اللَّهُ
عِزَّاكَ، فَإِنَّكَ إِنْ سَاعَدَكَ الدَّمْعُ وَالْأَفْتَبَاكَ، إِنَّمَا يَحْصِدُ الزَّرْعَ مِنْ بَذْرِ الْبَذُورِ
فَمَا أَنْتَ حَاصِدٌ، وَإِنَّمَا يَرُوجُ الْحُورُ مِنْ نَقْدِ الْمَهْوَرِ فَمَا أَنْتَ نَاقِدٌ، كُلُّ أَمْرٍ
عَلَى مَا قَدَّمَ فَاقْدَمْ، وَفِيمَا شِيدَ خَالَدٌ. فَمَا الَّذِي قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ يَا جَاهِلًا فِي
صُورَةِ عَاقِلٍ، وَغَائِبًا فِي مَظْهَرِ شَاهِدٍ.

أَسْفَى وَمِنَّا أَسْفَى عَلَيْكَ لِأَنْنَى ضَيَّعْتَ مِنْ أَمْرِي وَلَا تَضْيِيعُكَ
وَقَعَدْتَ مِثْلَكَ عَنْ عِبَادَةِ خَالِقِي مِنْ غَفَلَتِي وَصَنَعْتَ مِثْلَ صَنِيعِكَ
أَنَا فَدَيْتُكَ دِمَاءً لَتَفْرِيطِي فَنَحْ يَا صَاحِبَ وَابِلِكَ دِمَاءً عَلَى تَفْرِيطِكَ
وَاعْلَمْ بِأَنْ بُكَاءَكَ لَا يَغْنِي إِذَا لَمْ تَتَمَسَّكَ بِالطَّوْعِ أَمْرَ مَلِيكَكَ

لَقَدْ أَلْزَمَكَ اللَّهُ بِكِتَابِهِ الْمَنْزِلَ قَاطِعِ الْحُجَّةِ، وَبِحُجْجِ نَبِيِّهِ وَاضِحِ الْمَحْجَةِ تَدْعَى
إِلَى سَاحِلِ النِّجَاةِ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ فِي لُجَّةٍ.
حَاسِبِ نَفْسَكَ، هَلْ صَلَّيْتَ عَلَى شَرَطِ الْقَبُولِ صَلَاةً وَاحِدَةً؟ أَوْ
حُجَّجْتَ إِلَى بَيْتِهِ حُجَّةً.

هَيَّا إِلَى مَعَشَرَ تَجَافُوا عَنْ الدُّنْيَا وَخَلُّوا حَرَامَهَا وَالْحِلَّالَا
 كُلَّمَا أَقْبَلَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ قَابَلُوهُ بِأَوْجِهِهِ تَتَلَا
 أَسْقَمُوا بِالْجُوعِ وَالسُّهَادِ أَجْسَا دَهْمَ لِيَصْحَحُوا الْأَعْمَالَا
 هَذِهِ حَالُ مَنْ يَرُومُ الْمَعَالِي هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
 * * *

مناصحة خالصة جليلة

كل عمل في غير خدمة الله باطل، وكل بدء على غير عنا الله ليس له حاصل.

فنافسوا في اقتناء ما يبقى ولا يزول، وفرغوا قلوبكم من فضول أشغال الدنيا وكلها فضول.

كيف يثق بالحياء الدنيا من المنية راضيه إلى جنبه؟ كيف يرجو راحة الدنيا من لا راحة له دون لقاء ربه؟ والله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب، ميسرة المطالب لكل طالب، باقية علينا لا يسلبها منا سالب، لكان الزهد فيها هو الفرض الواجب، لأنها تشغل عن الله، والنعم إذا شغلت عن المنعم كانت من المصائب

* * *

أَيَا رَاضِعِ الدُّنْيَا انْفِطِمُ عَنْ فَطَامِهَا فَقَدْ آنَ تَنْهَكَ عَنْهَا الشُّوَابُ
 أَلَا عَامِلٍ فِيهَا سَيَنْفِذُ زَاهِدٌ أَلَا مُؤْمِنٍ فِيهَا سَيَخْلُدُ رَاغِبٌ
 أَلَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَلَا نَائِحٍ فِي مَآتَمِ الْحُزْنِ نَادِبٌ
 أَلَا خَاشِعٍ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ خَاضِعٌ أَلَا نَاحِلٍ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ذَائِبٌ
 سَتَلْقَوْنَ مَا قَدِمْتُمُ الْيَوْمَ فِي غَدٍ وَكُلُّ أَمْرٍ يَجْزَى بِمَا هُوَ كَاسِبٌ

قل متاع الدنيا قليل

الشباب فى الدنيا قليل، ولنا عليها حساب طويل، فتهيأ للنقلة عنها قبل أن يزعجك الرحيل، ليس لك فى سفر الآخرة زاد إلا ما قدمت ليوم المعاد، لا تمسك عن النفقة فى طاعة الله فما يليق بالمؤمن إمساك، لقد شهد القرآن بأن الممسكين عن الانفاق قد ألقوا بأيديهم إلى الهلاك.

يا أصحاب الأسماع الواعية، والعقول الصاحية: الله هو الموجود الذى استغنى عن إيجاد موجد، الله هو الواحد الذى لا يفتقر توحيده إلى توحيد موحد، الله هو الأول الذى ليس لأوليته أول، والآخر ليس لآخريته آخر، الله الذى كلما ظهر فهو باطن، وكلما بطن فهو ظاهر، الله الأحد الذى لم يكن له كفواً أحد، والصمد الذى كل من سواه إليه صمد، كل معبود تحت عرشه باطل، وكل ظل تحب ظله زائل.

مستغن عما سواه، وكل ماسواه إليه فقير، يجير على كل أحد، وما أحد يجير عليه.

هو القاهر فوق عباده، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولا يتأخر عن مراده.

لاتدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تتمثله الأفكار، كل الخلائق عن إدراكه قاصرون، وفى تيه معرفته حائرون.

له مقاليد السموات والأرض، ويده البسط والقبض، والرفع والخفض، نصب الجبال فأرساها وفجر المياه وأجراها، وسماك السماء وأعلاها، ووضع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين.

الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبتة مطرقون، والجبابرة لعظمته صاغرون، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون.

سبحان الله كما هو أهله، تبارك الله وتعالى جده، كيف يحيط المخلوق

بوصف خالقه؟ متى يقوم المرزوق بشكر رازقه؟ تعالى الله عن قول من يقول في القرآن فلا تحيط به دائرة عقله، ستكتب شهادتهم ويسألون، يوم لا ينفع الظالمون معذرتهم ولا هم يستعتبون.

لو أردنا وأراد أغزنا عقلاً أن يصف نفسه التي بين جنبيه ببعض ماجبلها الله عليه لخرس لسانه، وخرّ جنانه، ولم يهتد في وصفها إلى صواب، إلا أن يتمسك بالسنة والكتاب: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (١)، وليحذر المجادل في ذات الله بغير علم يوماً يسأل فيه القائل، ويجازى فيه العامل، قال الله عز من قائل: «فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون» (٢)، ويسأل الله تعالى في ذلك اليوم العود: لم خدش العود؟ فكيف لا يسأل المخالفون في معتقدات أصول الدين عما خالفوه في إجماع المسلمين.

والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسي، وسورة الإخلاص، بتفكير وتدبر، لتصدّع من خشية الله قلبه، وتحير في عظمته الله لُبّه.

* * *

(١) سورة النور. الآية: ٦٣ .

(٢) سورة الحجر. الآية: ٩٢، ٩٣ .

المجلس السابع فى التفسير وفضائل القرآن وفضل وحملة

- قال الله عز وجل: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١): لما كان الله عزيزاً حكيماً، عزيزاً فى ملكه، حكيماً فى أمره، استوجب على أهل سماواته وأرضه أن يقدسوه ويسبحوا بحمده.
- ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢): ومن قدرته على كل شىء إحياء كل ميت، وإماتة كل حى، وهو سبحانه الذى لا يموت، المنفرد بالبقاء، والدوام، والعزة، والجبروت.
- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣): أول: سبق وجود كل موجود. آخر: يدوم بقاؤه بعد فقد كل مفقود. ظاهر: بعلوه وقهره فوق كل شىء. باطن: بنفوذ علمه فلا يشذ عن إحصائه شىء.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٤): فى خلق السموات والأرض. آيات أكبر من أن تدركها عقول المتأملين، وأكثر من أن يحصيها ضبط الحاصرين، ولو لم يكن إلا اختراعها على غير مثال سابق، وقيامها على الدوام بلا اضطراب ولا اختلال لاحق لكان فى ذلك ما يحير ألباب الرجال.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ

(١) سورة الحديد الآية: ١ .

(٢) سورة الحديد الآية: ٢ .

(٣) سورة الحديد الآية: ٣ .

(٤) سورة الحديد الآية: ٤ .

فيها» (١) : الولوج: الدخول. أى يعلم مايدخل فى الأرض من مياه أمطارها، ومايخرج منها من نابتة تنبت فيها من عشبيها وأشجارها، وما نزل من السماء ملك ولا صعد إليها إلا بعلم الرب الذى ليس فى الوجود ذرة إلا وهو رقيب عليها.

— «وهو معكم أينما كنتم واللّه بما تعملون بصير» (٢) : أى أنه تعالى معنا بعلمه وقدرته، مشاعد لأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، فقال تعالى: «الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين» (٣). وقال تعالى: «وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه» (٤) : فمن كان موقناً أن الله سبحانه معه ومشاهده أينما كان يصير بعمله كائناً ما كان، استحيا من الله أن يخطر على قلبه، أو يجرى على جوارحه ما لاشرعه الرسول ولانزل به القرآن، واستحيا أن يلبس معصية أينما كان .

— «له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور» (٥) : الملك كله لله وهو غنى عنه، والأمر كله خيره وشره يرجع إليه يوم الجزاء، ولم يكن شىء غائباً عن علمه ولا خارجاً عن محكمه.

— «يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل» (٦) : سلط سبحانه الليل على النهار بإدخاله فيه، وانتقاصه منه، فيسترد منه ما سلبه ومثله معه، بحكمة لا يعلم سرها غيره.

— «وهو علیم بذات الصدور» (٧) : ليس فى صدر مخلوق خير ولا شر إلا والله تعالى عالم، ومطلع عليه وناظر إليه.

(١) سورة الحديد الآية: ٤ .

(٢) سورة الحديد الآية: ٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية: ٢١٩، ٢٢٠ .

(٤) سورة يونس الآية: ٦١ .

(٥) سورة الحديد الآية: ٥ .

(٦) سورة الحديد الآية: ٦ .

(٧) سورة الحديد الآية: ٦ .

— «يعلم السر وأخفى» (١)، «يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون» (٢): لا يخفى عن علمه شيء، فرحم الله امرئ طهر باطنه مما يكره أن يطلع عليه خالقه وبارئه.

وبعد.. فهذا بعض ما اقتضاه الكلام على تفسير أول هذه السورة (سورة الحديد) من تعظيم الحميد المجيد. فالويل ثم الويل لمن هو عن تعظيم الله غافل، وبصفاته العلية جاهل، وفي أثواب المعصية رافل، مصرّ على الخطايا غير ثابت ولا آفل.

«عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن بين الله وبين الخلق سبعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبينهم وبين الله أربعة حجب: حجاب من نار، وحجاب من ظلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء» (٣)، «وعنه وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسع من نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت» (٤). فإن قيل: ما الحكمة في هذه الحجب والله سبحانه وتعالى غنى عنها؟ فالجواب: إن من بعض فوائدها رافة الله تعالى بعباده، وشفقته على خلقه. ولولا احتجاب عن عوامله إلا خرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه جلت عظمة الله وتعالى جده، فهو سلطان الله وغلب جنده.

توحدت ذات الله، وتقدست أسمائه، سبقت مقادير الله ونفذ قضاؤه، عزّ جناب الله وعزّ جلاله، صدعت حجة الله وصدق مقاله، قوله الصدق، ووعدده الحق، ونوره الساطع، وحرزه المانع. سبحانه أنزل كتاباً أحكمت آياته، وأرسل رسولاً بهرت معجزاته.

(١) سورة طه الآية ٧ .

(٢) سورة القصص الآية ٦٩ .

(٣) رواه الدارقطني عن سهل بن سعد مرفوعاً وفي إسناده مقال

وقال العقيلي في كتابه الضعفاء وأمجروحين: في سنده موسى بن عبيدة .

(٤) أورده الإمام السيوطي في جمع الجوامع وضعفه وعاب على ابن الجوزي إirاده له في الموضوعات .

فيا من أحياء الله على الإسلام اسأل أن يتوفاك مسلماً، ويا من سريله الله قميص الإيمان اجتهد أن يكون بالنقاء معلماً، ويا من استحفظه الله القرآن كن بمتشابهه مؤمناً، وبحكمه عاملاً.

حامل القرآن راية الإسلام، وفي كل خصلة من خصال الخير لأهلها إمام، لا يقنع بأداء الفرض وترك الحرام.

يشيع الناس وبطن حامل القرآن جائع، ويضحك الناس وطرفه داعم، قد درجت النبوة بين كفيه، فهو نبي غير أنه لا يوحى إليه.

* * *

ما بين من يقرأ الكتاب وبين من	يوحى إليه سوى النبوة وحدها
للأنبياء مراتب خصوا بها	والقارئون مراتب من بعدها
طوبى لمن يرعى أمانة ربه	بالبر والتقوى ويحفظ حدّها
أنفت من الدنيا الدنية نفسه	فلم يك قط يوماً عبداً
وسمّا بهمته إلى الدار التي	ربّ العباد لمن أطاع أعدها
لم يخلق الرحمن أحسن منظراً	منها سوى عبد تبوأ كلدّها

* * *

باب منه

القرآن يقدمنا إلى المتاجر الرابحة ونحن عنها متأخرون، والقرآن يزهّدنا في الدنيا الفانية ونحن فيها راغبون، ما راعينا حق نعم الله علينا حق رعايتها، ولا تلقيناها بما لزمنا لها من كرامتها. هذا رسول الله ﷺ تروى أخباره فليتنا اتبعنا، وهذا كتاب الله تتلى علينا آياته فبأيها انتفعنا .

* * *

يا نعيماً طالما كفرناها بها قوينا أن نعصى الله
ويا نفوساً لو أنها رَحمتْ لم نكُ في شهوة أطمعناها
ويا علوماً ما كان أنفعها لو أننا في الهدى اتبعناها
قد حفظنا العلوم متقنة لكن بأعمالنا أضعناها
طوبى لنفسٍ بعلمها عملت واتخذته دليل مسراها
فنادت إلى أن برّتها اتصلت ثم أناخت به مطاياها
وآثرت قربه ففأثرها كذاك لما ارتضته أرضاها

* * *

غاية المحب الوصال إلى محبوبه

المسلمون قوم انقادوا لله بالدخول في دينه، فلما تمكن التوحيد من
قلوبهم التزموا بطاعته وتمكنت من قلوبهم وجوارحهم، سلت أرواحهم عن
كل حب سوى حبه، فلما أحبوه لهجوا بذكره وتنافسوا في قربه، فلما قدموا
عليه حلّوا عرى الترحال، وألقوا عصا السفارة، لأنهم لم يكن لهم سواه
مطلوب، وإنما غاية المحب الوصال إلى المحبوب .

* * *

ما للمُحِبِّ سوى المحبُّوبِ مطلوبُ إذ قلبه عن سوى ذكره محجوب
فالصبر منتزح والسر مفتضح والدم منسفع والقلب مسلوب
إن روحته أمانى الوصل فقد يرتاح شيئاً وإلا فهو مكروب

* * *

أصدق الشواهد على محبة العلى الماجد

إن من أصدق الشواهد على محبة العلى الماجد: متابعة رسوله، ومواظبة تلاوة تنزيله. فإن الهادى الرشيد، والقرآن المجيد. ﴿ لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١). قال الحسن البصرى رحمه الله: التزموا كتاب الله، وتتبعوا مافيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل النظر .. رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله عز وجل، فإن وافق ما فيه حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالفه استعجب ربه ورجع إليه من قريب .

وقالت أم الدرداء: سألت عائشة رضى الله عنها عمن يدخل الجنة من قراء القرآن، ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت: إن عدد درجه بعدد آى القرآن. فمن له أن يحسن كلام ربه مع القرآن، ويجتهد فى العمل بما فيه وإلا كان يوم القيامة من الخاسرين .

وقد روى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله عليه أنه قال: الزبانية يوم القيامة أسرع إلى حملة القرآن يعصون الله بعد قراءته منهم إلى عبدة الأوثان، غضباً عليهم حين عصوا الله بعد القرآن.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعه.

وروى فى الحديث: «من كان فى قلبه آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يحيا كل حرف منها حتى تأخذ بناصيته، حتى يوقفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم»

فالويل كل الويل لمن كان يقرأ القرآن يوم القيامة وهو المصر على الزنا وشرب الخمر والرياء وظلم العباد وأكل الحرام والربا .

وقال الفضل بن عياض: حامل القرآن راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، تعظيماً لحق القرآن.

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢ .

قال ابن مسعود رضى الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ
الناس نائمون يختالون، وبصمته إذ الناس يخوضون .

* * *

أهل القرآن أئمة بهم اهتدى	أهل السلوك إلى رضا الجبار
لكن عليهم أن يقوموا بالذى	فيه من المشروع للأبرار
صدق وإخلاص وحسن عبادة	وقيام ليل مع صيام نهار
وتورع وتزهد وتعمق	وتشبه بخلائق الأخيار
وديانة وصيانة وأمانة	وتجنب لخلائق الأشرار
وأداء فرض واجتناب محارم	ولادامة الأوراد والأذكار
يا حامل القرآن إن تك هكذا	فلك الهنا بفوز عقبى الدار
ومتى أضعت حدوده لم تنتفع	بحروفه وسكنت دار البوار

* * *

اللهم كما علمتنا كتابك فوفقنا للعمل به حتى يكون شاهداً لنا عندك،
وقائداً إلى جنتك، ومؤنساً لنا فى وحشة الألحاد (١)، ومركباً لنا يوم يقوم
الأشهاد. اللهم اجعلنا بالقرآن عاملين، ولأوامره، متبعين، ولنواهيه مجتنبين،
واجعلنا لك كما تحب، فإنك لنا كما نحب. اللهم بدل سيئاتنا حسنات،
ولا ترنا أعمالنا حسرات، وأقبل بقلوبنا إليك، ولا تخزننا يوم الوقوف بين يديك،
برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين،
 وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(١) جمع لحد وهو ما يقبر فيه الميت.

المجلس الثامن

متابعة المؤمنين الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله كما يليق بحقه، والصلاة والسلام على محمد خير خلقه،
الصلاة والسلام عليك ياسيد الأنام، الصلاة عليك يا نبي الإسلام، جزاك الله
عن أمتك أفضل ما جزى نبيًا عن أمته، وجعلنا ببركة متابعتك في دار كرامته.

ق على غير جاهه تعويل	أيها السيد الذي ليس للخلد
ض حتى موسى وحتى الخليل	يك يستشفع الخلق يوم الفر
قك عند اللبيب قام الدليل	أنت لله مرسل وعلى صد
ت عليك التوراة والإنجيل	أى عذر للجاحدين وقد دل
جح من سقمه لقلب عليل	إن قلباً لم يشفه طبك المن
الله سوى شرعك الحنيف سبيل	ليس للطالب السبيل إلى
ما لديه إلى الوصول وصول	كل من رام من سواه وصولاً
ه يفته إلى الجناب الدخول	أنت باب الخلق الذى من يحدعن
أطنب فيه لدى علاك قليل	كل مدح يقال فيك وإن
وصف معنك ما عسى أن يقولوا	ماعسى المادحون أن يبلغوا من
لله رسول وصفوة وخليل	جملة القول فيك أنك
من مرسل يكون الرسول	وعلى نسبة الجلالة والرفعة

محمد صفوة الرحمن ما حملت
 محمد خير كل العالمين وما
 كل الشرائع منسوخ بشرعته
 لو قيست الأمم الماضون
 إن كاثروا كثرُوا أو فاخروا فخرُوا
 يكاد يغضب خزان العذاب لما
 ووارد النار منهم بالذنوب له
 بياض وجهه وتحجيل من
 ولا يخلد في نار معذبهم
 أنثى ولا وضعت شبهاً لغدته
 بدا لنا منه مغن عن أدلتيه
 وشرعه خالد باق بحديثه
 بالفضل لكانوا دون أمته
 يدنون فضلاً وهذا من فضيلته
 يقل حظهم من أهل ملتته
 سيما من الحسن لا يذرى بخلقته
 الوضوء لألأ نور فوق جبهته
 ولو أتى بجبال من خطيته

الخير كله فى متابعة الرسول، والبركة فى حفظ كلامه المنقول .

ما وعظ الواعظون بمثل التخويف من الانقطاع عن الوصول، ولا أظرب
 الحادون بمثل التشويق إلى النظر إلى جمال وجه الله، ومرافقة رسول الله، ولا
 يسمع السامعون بمثل حسرة المحجوبين يوم القيامة عن الله، وعن شفاعة رسول
 الله ﷺ .

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، الله هو الذى إليك فى كل وقت
 ناظر، وعليك فى كل حال قادر. أين يفر الفارّون من الله والكل فى قبضته؟
 كيف يشكر الشاكرون من سوى الله والكل على مائدته؟ إلى من يلجأ الخائفون
 إلى غير الله والكل محفوظ برعايته؟ لو علم الراقدون إذ نكسوا ماذا أضاعوا؟
 وعلى خط من يخشون غير خط أنفسهم؟ عن قيام بيابه جلسوا. تكلفوا عنه
 سلوة فسألوا، ثم تناسوا عهدهم فنسوا.

كم من قريب أبعدته التباعد؟ وكم من قائم أقعده التقاعد؟ لا يزال رجال
 يتأخرون حتى يؤخرهم الله يوم القيامة .

ينبغي للحاضر أن يكون سامعاً، وللسامع أن يكون واعياً، وللداعي أن يكون بما دعا عاملاً، وللعامل في عمله أن يكون مخلصاً. واعلم يا ابن آدم أنك مريض القلب من جهتين: إحداهما: مخالفتك أمر الله. والأخرى: عفتك عن ذكر الله. ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة الله مقيماً ولذكر الله مديماً. فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالإنابة، وإلا فاعلم عما قليل أنك هالك ومتنقل من أهلك ومالك إلى قبضة ملك مالك.

قَدِّمَ لِنَفْسِكَ فَضْلَ مَالِكَ وَامْهَدْ لَهَا قَبْلَ انْتِقَالِكَ
خُذْ لِلنَّاهِبِ لِلرَّحِيلِ فَقَدْ دَنَا وَقْتُ ارْتِحَالِكَ
وَاعْمَلْ عَلَى تَخْلِيصِ نَفْسِكَ مِنْ سَبَالَةِ سُوءِ حَالِكَ

سبحان من أنعم على أوليائه بالعافية من أسقامنا، سبحانه مكن لهم في مقامهم وزحزحهم من مقامنا، الإصرار والغفلة مقامنا ومقامهم التوبة والإنابة: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً» (١). لو بكينا على نفوسنا حتى تجرى السفن في دموعنا، ما بلغنا ما يوجب سوء صنيعنا. اخترنا ما يفنى على ما يبقى، واختار أولياء الله ما يبقى على ما يفنى، يا طول حسرات الغافلين، يافرط ندمات المفرطين.

يَا طُولَ حُزْنِ الْغَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
يَا حُسْرَةَ يَطْوُونَ جُمُورَهَا حَيَارَى نَادِمِينَ

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٤ .

ذم الدنيا الدنية

ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصراً على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا هم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. كما قال بعض السلف: ليس الذاكر من همهم بلسانه، وإنما الذاكر من إذ جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقاً ولم يعط إلا حقاً.

فما ينبغي للعباد أن ينشغلوا عن المنعم بشيء من نعمه، ولا يلتهاوا عنه بشيء من كرمه. الله أحق أن نختاره على سواه. الله مولانا، وما أولى بالخير من كان الله مولاه. ياليتنا عقلنا عن الله ولو حرفاً من خطابه، ياليتنا قربنا من الله ولو عرض شعرة من عزيز جنابه، إنما يفهم ما أقول أرباب الفطن والعقول، إنما يشرب من هذا الشمول هو برداء التوفيق مشمول.

اسمع ما أقول فهو جميل، لا يضر عنه ما يقول الجهول: كل شيء شغل فهو للنفس عول، عن ذكر لمولى ملكه ما يزول.

قال رسول الله ﷺ: « ملعونة هي الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وعالماء، ومتعلماء » (١). كيف لا تكون الدنيا ملعونة وهي عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استحبها غاشة ولمن استنصرها خاذلة.

الدنيا حب، والمعصية فح، والشيطان صياد، والإنسان طائر. فمتى أكب الإنسان على التقاط حلالها فيوشك أن يقع في حرامها، ومتى وقع في حرامها فقد استحوز عليه قناصه، وتعذر عليه إلا من جهة التوبة خلاصه. فكيف السبيل إلى الخلاص منها، ورضيعها لا يمكنه الفطام عنها؟ والجواب عن هذا

(١) أخرجه الترمذی فی کتاب الزهد باب ماجاء فی هوان الدنيا علی الله عز وجل (٥٦١/٤) وقال:

* وأخرجه ابن ماجة فی الزهد باب مثل الدنيا.

* وأخرجه الطبرانی فی الأوسط وابن عبد البر فی جامع بیان العلم (٣٣/١) وابن أبي عاصم فی الزهد (٥٧).

السؤال: أن تستغيث بالكبير المتعال. فالراجع إلى الله مستريح بالله مما سواه، لأنه يستريح من الدنيا وأشغالها، ومن الشياطين ووسواسها، ومن الأفكار وغمومها، ومن الأشغال وهمومها، وغير ذلك مما الناس به في هذه الدنيا مفتونون ومعذبون، وعليه في الآخرة محاسبون ومعاقبون. فأريدوا وجه الله بكل أعمالكم، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسكم وأموالكم، وأقبلوا عليه يقبل عليكم، فإنه لا يعرض إلا عمن أعرض عنه. ولا تجعلوا طلب الدنيا أكبر همكم فيطول فيها همكم، وفي الآخرة يطول حسابكم على قدر مالكم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذو الدرهمين في الآخرة أشد حساباً من ذي الدرهم.

وفي الحديث: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير إلى الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة. فلقيه الفقير فقال: يا أخى ما أحبسك بعدى؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك! فقال: يا أخى والله لقد احتبست بعدك محبساً فظيماً كريهاً، وما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورد ألف بعير كلها أكلت حمصاً لعددت عنه رواء» (١).

واعلموا أن الله عبادة شغلهم الاهتمام به عن الاهتمام لهم، وتلك مرتبة المقربين الذين يتبتلون إليه تبتلاً. ومنهم من لا يرفع قصة الشكوى إلا إليه، وذلك مقام أصحاب اليمين الذين لم يتخذوا من دونه وكيلاً.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فاجتهد أن تكون مريداً من الله، ولا تكن الثالث تكن من الخائبين.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فكن عالماً بأمر الله، ولا تكن الثالث تكن من الجاهليين.

(١) رواه أحمد : قال : حدثنا حسن حدثنا دويد عن مسلم بن بشير عن عكوبة عن ابن عباس : وفيه : دويد قال الحافظ ابن حجر . الخرساني مجهول وقال الهيثمي في الزوائد : غير منسوب فإن كان هو الذي روى = .

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون في الله، فإن عجزت فكن ممن يحب الصالحين في الله، ولا تكن الثالث تكن من الممقوتين.

هذه وصية مناصحة، من اهتدى بهديها اهتدى. هذه سفينة سلامة. من اعتصم بركوبها نجا.

المؤمنون قوم باعوا لله أنفسهم وأموالهم، ولم يقدموا عليه بسوى افتقارهم إليه، فعوضوا بما هو أعوض عليهم وأبقى لهم، عاملوه رغبة فيه لا فى شيء سواه، فجازاهم بجنته ورضاه.

والله لو أن محباً صادقاً يسأل بذل روحه وماله حتى ينال نظرة فى نومه يسخو بها الحبيب من خياله، وجدته لنفسه مهيناً لنعم باله. والرب تعالى يستقرض منا ربع عشر ما حولنا من مقتنى أمواله، فلا نجود، ثم نرجو حظوة لديه بالنعيم فى وصاله. هذا هو الحال، والحال لا مطمع للعاقل فى مناله. إنما أمركم الله سبحانه بإنفاق أموالكم فى سبيل مرضاته، ليمتحن ماله فى قلوبكم من محبته وإجلاله وخشيته ومقامه ﴿والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (١).

وفقنا الله وإياكم لمرضاته، ووهبنا وإياكم من جزيل هباته، وجمهنا وإياكم فى دار النعيم، وجنينا وإياكم أفعال أهل الجحيم، إنه جواد كريم، صلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

= عن سفيان فقد ذكره العجلي فى كتاب الثقات وإن كان غيره لم أعرفه راجع كتاب الثقات تحقيق دكتور قلجى .

— وسلم بن بشير: قال الهيثمى فى الزوائد (٢٦٤/١٠) مسلم بن بشير وهو ثقة. وقال ابن حجر فى التعجيل: فى من اسمه سالم: سالم بن بشير ... ثم قال: قلت: هذا غلط نشأ عن تحريف وإنما هو سلم بسكون اللام بعدها ميم وقال فى سلم تقدم فى سام اهـ. قلت فكأنها عنده واحد.

راجع: تخريج أحمد شاكر للحديث فى مسند الإمام أحمد (٢٧٢/٤) حديث: ٢٧٧١.

(١) سورة محمد ﷺ الآية ٣٨ .

المجلس التاسع

تسبيح وحمد وثناء له تعالى

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة فجعله سميعاً بصيراً ، وألزمه الحجة بإيضاح المحجة ، إما شاكراً وإما كفوراً . فمن شكر لأنعمه لقاءه من كرمه نضرة وسروراً ، وسقاه من مدام ديمه شرباً طهوراً ، ومن كفر أعد له سلاسل وأغلالاً وسعيراً واستقبل به يوم حشره بعد عذاب قبره يوماً عبوساً قمطيراً . ذلك أنه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وابتدع من رأيه ما ليس من شرائع الدين ، وترك الاعتصام بسنن المرسلين . فويل له إذا قام يوم حشره من حفرة حاسراً حسيراً ، ولقي حساباً قد حرره عليه الحاسبان تحريراً ﴿ وكل إنسان ألزمنا طائراً في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاها منشوراً ﴾ (١)

سبحان من تسبح بحمده الحركات والسكون وتشهد بحكمته الحياة والمنون ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ (٢) ، يخرجون حفاة عراة غرلاً ، يرجو محسنهم من ثوابه فضلاً ، ويخاف مسيئهم من عقابه عدلاً ، فيومئذ لا يظلمون نقيراً ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ (٣) ، خضع لهيبته كل صعب وذلول ، وافتقر إلى توفيقه كل عليم وجهول ، إذا حكم فبالعدل يحكم ، وإذا قال فبالحق يقول ، وإذا سامح فالأمر يسهل ، وإذا ناقش فالحساب يطول . فطوبى لمن كان له من سوء الحساب مجيراً ؛ لقد سعد سعادة الأبد وفاز فوزاً كبيراً.

(١) سورة الإسراء الآية ١٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٧ .

أحمدته وأشكره ، ولم يزل بالحمد والشكر جديراً ؛ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أشرب بها سلسبيل الجنة عذباً نقيراً ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلق كلهم بشيراً ونذيراً ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً .

اللهم اهد من صلاتنا وسلامنا إليه ، وإلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بين يديه ، ما يكون حسن الجزاء عندك ؛ خصوصاً : على الصديق الأفاضل ، والخليفة الأول ، والإمام المبجل : أبي بكر الصديق الذي سبق إلى الإسلام أحراراً وعبيداً ، وإنائاً وذكوراً . وعلى الفاروق الأكبر ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الذي أصبح به الإسلام ظاهراً ، وقد كان مستوراً . وعلى جامع الأمة على القرآن بعد اختلافها ، والباذل نفسه دون دينه حتى أوردتها موارد تلافها : أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، الذي ابتلى في كتاب الله وكان على البلاء صبوراً . وعلى أبي السبطين السيدين ، أبي محمد الحسن ، وأبي عبد الله الحسين ؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الحائز من آيات الفرقان نصيباً موفوراً ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ﴾ (١) . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وعلى سائر عباد الله الصالحين . صلاة متصلة ، صباحاً ، ومساءً ، ورواحاً ، وبكوراً .

اللهم ونحن من جملة عبادك الفقراء إلى مزيد فضلك ، ودوام مددك ، فاجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، حتى نجاورك في جنة عرضها السموات والأرض ، حشوتها برحمتك ، وجعلت لباس أهلها حريراً ﴿ متكئين فيها علي الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ﴾ (٢) . وأشركنا في صالح دعاء المسلمين وأشرك المسلمين في صالح دعائنا ، يامن لم يزل بكل شيء خبيراً ، وعلى كل شيء قديراً .

(١) سورة الفرقان الآية ٥٤ .

(٢) سورة الإنسان الآية ١٣ .

وبعد : فإن تنبيه العقول العاقلة، يورث حرث الآخرة على حرث العاجلة.
بالاستقامة على السيرة العادلة، تظهر جواهر النفوس الفاضلة. فطالب الاستقامة
محتاج إلى طريق السلامة، من سلكها بعدما عرفها وصل إلى دار الكرامة. فمن
عزم على سلوك طريق الجنة، فليجعل دليله علوم الكتاب والسنة. وإنما يهتدى
بالعلم لمراد قائله خبير، فلهذا ألزم أئمة السلوك الاشتغال بعلوم التفسير.

* * *

تفسير أوائل سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿آل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿آل﴾ قال: أنا الله أرى. وقال سعيد بن جبیر: ﴿آل﴾، ﴿حمر﴾، ﴿ن﴾: هو اسم الله الرحمن. وقيل: (الألف) (الآؤه) (اللام) (لطفه) و (الراء) ربوبيته. وقوله ﴿أحكمت آياته﴾: أى لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب التى قبله. ﴿ثم فصلت﴾: أى بينت بالاحكام والحلال والحرام. وقوله تعالى: ﴿من لدن حكيم خبير﴾: أى من عند حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها، خبير بما تؤول إليه عواقبها. ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أى لا توحّدوا ولا تطيعوا إلا الله. ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ (٢): أى قل يا محمد إئتني من عند الله ﴿نذير﴾ أنذرکم عقابه على «وبشير» أبشركم بثواب الله على طاعته وإخلاص عبادته. ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ (٣): أى اطلبوا من ربكم مغفرة سالف ذنوبكم، وتوبوا بالرجوع عن مخالفته فى بقية أعماركم. ﴿يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى﴾ (٣): أى إذا استغفرتم ربكم وتبتم إليه بسط لكم من الأرزاق، ومد لكم فى الأعمار إلى وقت الموت وهو الأجل المسمى وقيل: المتاع الحسن هو أن يرضيهم بما أعطاهم. وقيل: هو استعمالهم بطاعته ومعرفة حقه، فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر فى مزيد من الله تعالى، وذلك قضاؤه الذى قضى، وذلك يعنى أنكم أيها المسلمون قد أطعتم ربكم فى الاستغفار والتوبة وقد أنجز لكم ما وعد المستغفرين والتائبين من المتاع الحسن، فإنه سبحانه قد عفا

(١) سورة هود - الآية ١ .

(٢) سورة هود الآية ٢ .

(٣) سورة هود الآية ٣ .

عنكم فى أبدانكم ، ووسع لكم فى أرزاقكم ، وأمنكم فى أوطانكم ، وأعلاكم على عدوكم ، وشرفكم على أهل الملل ، وعصمكم من الردة المخبطة للعمل . وستركم وجبركم ، وآواكم ونصركم ، فاعرفوا لله حق نعمته عليكم ، وطالبوا أنفسكم بواجب طاعته . **﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾** (١) . قال الضحاك : **﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾** من عمل سيئة ، كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإنه عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات ، فإن لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره .

ثم قال تعالى : **﴿ وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾** (٢) أى وإن تعرضوا عما دعوتكم إليه من اخلاص العبادة لله والاستغفار والتوبة ، فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ، أى كبير هوله و هو يوم القيامة . قال مقاتل إن لم يتوبوا فى الدنيا حبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أكلوا العظام الميتة . وقيل : معنى قوله **﴿ أخاف ﴾** بما يعلم . وإنما عبر عن العلم بالخوف لأن العلم يوجد الخوف وأشد العصمة .

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلاعالم إلا من الله خائف
فأمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴾ (٣) : وصف لهم نفسه بالقدرة حتى لا يعتقدوا بجهلهم عجزه ، يخالفوا أمره فسيتوجبوا عقابه فأعلمهم بقدرته قبل حلول نعمته من جملة بره ولطفه وقدرته ورأفته ، فإذا كان هذا لطفه بأعدائه ، فكيف يكون عطفه مع أوليائه . قال الضحاك بن قيس رضي الله عنه : قال ﷺ **﴿ يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله ، فإن الله لا**

(١) (٢) سورة هود الآية : ٣ .

(٣) سورة هود الآية ٤ .

يقبل من العمل إلا ما خلص لوجهه ، ولا تقولوا : هذا لله وللرحم ، فإنه للرحم وليس لله منه شيء ، ولا تقولوا هذا لله ووجوههم ، فإنه لوجوههم وليس لله منه شيء» (١). وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق - فرقة يعبدون الله خالصاً . - وفرقة يعبدون الله رياءً . - وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس . فإذا جمعهم الله قال للذي كان يستأكل به الناس : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادي ؟ قال : بعزتك وجلالك أستاذك بها الناس قال : لم ينفعك شيء مما جمعت ، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد رياءً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال : بعزتك وجلالك أردت بها رياء الناس . قال : لم يصعد إلي منه شيء ، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد خالصاً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني ، أردت بها وجهك وذكرك . قال : صدق عبدي ! انطلقوا به إلى الجنة » (٢)

وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال : « يا رسول الله أوصني . قال : اخلص دينك يكفك القليل من العمل » (٣).

وقال يحيى بن معاذ : كونوا عباد الله بأفعالكم ، كما زعمتم أنكم عبيد الله بأقوالكم . وقال البناجي : ما التنعم إلا في الإخلاص ، ولا قرّة العين إلا في التقوى ، ولا راحة إلا في التسليم .

حدث القوم عن حقيقة الأمر فصدقوا ، ونظروا في الأعمال فدققوا ،

(١) لم أقف عليه وإن كان معناه صحيحاً .

(٢) لم أقف عليه وإن كان معناه صحيحاً .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین عن أبی العباس محمد بن یعقوب ثنا بحر بن نصر حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب المصري عن عبيد الله بن زهر عن الوليد بن عمران عن عمرو بن مرة الجملي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ص حين بعثه إلى اليمن .

قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أي البخاري ومسلم في صحيحهما .

قال الذهبي في التلخيص (٣٠٦/٤) بهامش المستدرک) . قلت : لا . أي لم يوافق الحاكم .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية بسند الحاكم نفسه إلا أنه قال بدلا من الوليد بن عمران « ابن أبي عمران » . (راجع جمع الجوامع للسيوطي)

ونصحوا لنا في وصاياهم ، وعلينا أشفقوا ، وتأدبوا بالعلم والعمل ، فلم
أحكموه فضلو ، فإن تقّتدوا بهم تهتدوا ، وإن تسابقوهم تسبقوا ، أين البطل
من الأبطال ؟ متى يدرك الأطفال مساعي الرجال .

* * *

بلغ الرجال نهاية الآمال في سيرهم بالشد والترحال
نالوا المنى لما سمّت لمناله من عزمهم هم هناك عوال
لم ينكلوا في قصدهم ومسيرهم حتى أناخوا بالجناب العالي
هذا هو الأمر الرشيد ومنتهى المرمى البعيد وغاية الآمال

* * *

فضل التواضع و ذم الكبر

ألا ذو طبع كريم يسمو إلى هذا الفضل العظيم ؟ ألا ذو قلب سليم يراعي حفظ العهد القديم ؟ إنما يقدر على الوفاء بعهد يوم الميثاق من كان طبعه كريماً . من نسي عهود ربه فقد استحوذ الشيطان على قلبه . من خالف سنة نبيه فقد نظم الشيطان في حزيه .

قال الإمام أحمد رحمه الله : ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان . قيل : ولم ؟ قال : ظهرت بدع فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إن الله تعالى ملائكة يطلبون حلق الذكر ، فانظر مع من يكون مجلسك ، فلا يكون مع صاحب بدعة . لو أن المبتدع تواضع لكتاب الله وسنة نبيه لاتبع ما ابتدع ، ولكنه أعجب برأيه فاقتدى بما اخترع ، فالتواضع أصل كبير يتفرع منه شيء كبير .

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها » (١) وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل ينازع الله رداءه الكبرياء ، وإزاره العزة . ورجل في شك من أمر الله . ورجل يقنط من رحمة الله » (٢) . وعن سليمان بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أرايتم سليمان بن داود عليه السلام ، وما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بمعناه عن « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » الايمان باب تحريم الكبر وبيان حديث ٢٤٩ وأخرجه أيضاً أبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر (٥٩/٤) والترمذي في جامعه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر وأحمد في مسنده راجع فهارس صحيح مسلم بشرح النووي ط دار الفد العربي تحقيق دكتور قلجى .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد كاملاً ولفظه « ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصياً فلا يسأل عنه وأمة أو عبد أبى من سيده وامرأة غاب عنها زوجها وكفها مؤنة الدنيا ففترجت وتمرحت بعده وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة ورجل =

أعطاه الله من الملك ، فإنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً حتى قبضه الله »

وقال الفتح بن شخوف رحمه الله : رأيت على بن أبي طالب رضى الله عنه فى المنام ، فسمعتة يقول : التواضع يرفع الفقير إلى الغنى ، وأحسن من ذلك تواضع الغنى الفقير . إنما جعل ترفع الفقير على الغنى من التواضع ، لأن الفقراء قوم فرغ الله قلوبهم ، وجعل رحيق محبته مشروبهم ، وأطال على باب خدمته وقوفهم ، وجعل رضاه وقربه مطلوبهم ، وغضبه وبعده مخوفهم ، فهم من خشيتة مشفقون ، ومن هيبتة مطرقون ؛ إن تواضعوا فلرفعتة ، وإن تذللوا فلعزته ، وإن طمعوا فى صدقتة ، وإن خضعوا فلعظمتة ، إلى الله افتقارهم ، وبالله افتخارهم ، وإلى الله استنادهم ، هو كنزهم وعزهم وفخرهم وذخرهم ومعبودهم ومقصودهم .

ومن كان بهذه الرتبة فمتى تواضع لغير الله أدخل بمركز الأدب ، واستبدل الخزف بالذهب . من كان رب العباد مقصوده فهو لكل العباد مقصود . قل للعاملين لغير الله : يا عظم خسرانكم !

وقل للواقفين بغير باب الله : يا طول هوانكم ! وقل للآملين لغير فضل الله : يا خيبة آمالكم ! وقل للعاملين لغير وجه الله : يا ضيعة أعمالكم ! الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه ، والأبواب كلها مغلقة إلا أبوابه .

جناب الله أعلى مرتقى تسمو إليه همم المرتقين ، ليس دونه مقنع للطالبين ، ولا وراءه مذهب للسالكين .

سلام الله ورحمته وبركاته على همم لا يرضيها إلا قرب الله ومرضاته ، ما حلا لها غير ذكره ، ولا انقادت لسوى أمره ، فهي الدهر فى طاعته وشكره ، على حلو العيش ومره ، ويسر الأمر وعسره .

= شك فى أمر الله والقنوط من رحمة الله .. راجع كتاب الأدب الفرد أعاننا الله على إخراجه .
وأخرجه أيضاً أحمد (١٩ / ٦) فى المستدرک والألبان فى السلسلة الصحيحة رقم ٥٤٢ : وأخرجه أيضاً الحاكم دون الشطر الثاني (١١٩ / ١) .

أولياء الله لا يحبون ولا يبغضون إلا في الله ، ولا يشتاقون ولا يحبون إلا لله ، ولا يتوكلون ولا يعتمدون إلا على الله .

إذا صفا مشرب معاملة الله لم ينالوا كدر المشارب ، وإذا أئنع لهم مذهب السلوك إلي الله لم يهتموا لضيق المذاهب ، وإذا ظنوا أن الله عنهم راض لم يكثرثوا بغضب غاضب ، وإذا لم يكن رسول الله ﷺ عليهم عاتب لم يشغل قلوبهم عتب عاتب .

رضا رسول الله ﷺ علامة على رضا مرسله ، والعمل بالقرآن دليل على الإيمان بمنزله ، فاتلوا كتاب الله وتدبروه ، وعظموا رسول الله صلي الله عليه وسلم ووقروه .

اللهم صل على سيدنا محمد وآله الكرام ، ما نسخ النور الظلام . واضرب سرادقات حفظك علينا ، ولا تقطع عنا مواد إحسانك إلينا ، واحرسنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن خلفنا ومن بين أيدينا ، إفعل اللهم بنا ذلك وسائر المسلمين ، ولا تخلنا وإياهم من رحمة تذكركنا بها ، يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس العاشر

غوائل الشيطان وشره

الله أكبر ، ما تعاقبت الأيام والليالي
الله أكبر ، في كل مقر ، وفي كل سافل ، وعلى كل شرف عالي .
الله أكبر ، ما أقبل عام ، وأدبر عام .
الله أكبر ملء بياض النهار وسواد الظلام .
الله أكبر ، في بطن كل واد ، وعلى ظهر كل شرف
الله أكبر ، تكبيراً يوجب النجاة ، وينقذ من التلف .
كل العباد إلى رحمته فقير ، وفي نعمته مغمور ، محتاج إلى خفي لطفه
وخفي عنايته . هل لكم من إله سواه يجبر كسرکم ، ويكشف ضرکم ،
ويمدکم بأموال وبنين ، ويحييکم علي تعاقب السنين ، حتى تبلغوا من العمر
غاية آجالکم ، وقد أراکم عجائب الآيات في تصرف حالاته ؛ فارحموا
أنفسکم من متابعة هواها ، ومساعدتها علي نيل مشتهاها .

بليت بنفس لا يزال هواها يقود إلي نار تدور رحاها
ومال النفس للشيطان إلا مساعد على عصمتي حتى تحل عراها

ومن يُحلل الشيطان عصمة دينه هوى في سعي لا يُطاق لظاها
أخي إن أردت النجح والفوز بالمنى فخالف من النفس الكنود (١) هواها
ولا تتبعها في السلوك فإنها تضلل عن نهج الهدى بعماسها

* * *

ما احترس الإنسان من غوائل الشيطان بمثل نهى النفس عن الهوى، ولا
استعان على قمع هوى النفس بمثل الزهد في الدنيا .
متى أردت أن تعرف أن الدنيا والآخرة ضربان فاعتبر ذلك بجوارحك،
لأنها أبواب دنياك ؛ فإن دخلت عليك من لسانك : أطلقتته في الباطل وفيما
ليس له حاصل ، وشغلتك عن التلاوة والذكر ، وأوقعتك في لغو الكلام والزور
وقول الفجور ؛ وإن دخلت عليك من بصرك : أرسلته في النظر إلى المحرمات
المردية ، وشغلتك عن النظر في المصحف وكل ما فيه عبرة للناظر ونور للخاطر؛
وإن دخلت عليك من سمعك : أمالته إلى سماع كل لهو وباطل ، وشغلتك
عن سماع ما نفعه إلى القلب واصل ؛ وإن دخلت عليك من بطنك : كسلت
عن الطاعات ، وأبسطت إلى الشهوات ، وأعمت عن الفكر والذكر بصيرة
قلبك ، وقادتك إلى كل ما فيه سخط ربك ؛ وإن دخلت عليك من فرجك :
فإن كان حلالاً : أوهن القوة ، وبلد الفطنة - وإن كان حراماً : ما زاد على
ذلك إلا زوال النعمة وحلول النقمة .

وجملة القول في ذم الدنيا : أنها لا تدخل على أحد قط إلا أدخلته
بحرامها في عقاب ، ومنعته بحلالها عن ثواب .

سبحان الله .. ما أهون الدنيا عليه ، وما أبغضها إليه . أهل الدنيا بحرامها
مغرورون ، ويخداعها مغبونون ، وبتحليلها عن الآخرة مغمورون شاغلون .

(١) «الكنود» : كفر النعمة .

﴿ يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (١) .

* * *

أهلُ المشَاغِلِ بالدُّنيا وزينتها عن ذكر ربِّهم ساهون لا هونا
لو أنَّهم قنعوا بما يبلغهم لعجلوا راحةً مما يقاسونا
تفوت ذي الدار الأخرى وهي فانية يا ويلَ عشاقها مما يلاقونا
لا دار لهم في الدهر باقية كلاً ولا هم لما في الدهر باقونا

* * *

أسباب الغفلة وكيف تتجنبها

اغتنم مواسم الأرباح فقد فانت أسواقها ، وداوموا ما دامت أبواب التوبة مفتحة فقد حان إغلاقها ، وانتهزوا فرصة اليسار في دار القرار فقد آن من أقمار الأعمار محاقها ، وبادروا هجوم الآجال فشمس المنية قد أرف إشراقها ، وأعدوا ليوم الحساب صواب الجواب فإنما يحاسب الخليفة خلاقها .

واغوثاه بالله من ثقل هذا الرماد، ما أخوفنا أن تستمر غفلتنا إلى يوم التناد .
أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران : أخدهما – امتلاء البطون . والآخرة معاشره البطالين . فعليك بالرجوع والعزلة إن أردت العتق من رق الغفلة .

إذا أردت أن يعتزلك الناس فاصمت عن محادثتهم ، فإن أكثر مواصلات الناس بينهم بالكلام ، فمن صمت عنهم اعتزلوه .

لا أضر على العبد من أمرين : – غفلته عن ذكر الله – ومخالفته لأمر الله .

الغفلة تحرم الربح ، والمعصية توجب الخسران . الغفلة تغلق أبواب الجنة ،

(١) سورة الروم الآية : ٧ .

والمعصية تفتح أبواب النار .

خلق الله سبحانه تعالى الجنة والنار للأبد ، وخلق السماء والأرض إلى أمد؛ فمن عوفي من رقاد الغفلة وسقام المعصية خرج عن النار وأدخل الجنة؛ ومن بقي برقاد غفلته فليس له في الجنة ولوج ؛ ومن بقي بسقام معصيته فليس له من النار خروج . فأما السماء والأرض فمحكوم لهما بالبورار ، وليس لأحد في واحد منهما قرار . ففروا إليهما يشغل عنه كل الفرار ، واستجبروا به من الغفلة والمعصية ، فهما فوات الربح وإلحاق الخسران .

يا طول حزن الغافلين	عن ذكر رب العالمينا
يا هضمهم يوماً يرو	ن ثواب ذكر الذاكرينا
ستطول حسرتهم لما	كانوا به متشاغلينا
يتحسرون على فوا	ت من فعّال الطائعين
هذا حال الغافلين	من فكيف حال الخاملينا
يا ويلهم يوماً يجازي	الله فيه العالمينا
يا حسرة يصلون جم	رتها خزايا نادمينا

يتلهفون على فوات دخولهم في الصالحين . يا سامعاً هذا الكلام اسمع مصاب الهالكين ، واعمل على تخليص نفسك من شباك القانصين (١) .
نبهنا الله وإياكم من رقدة الغافلين ، ورزقنا وإياكم مجاورة الصالحين ، ونور بصائرنا وبصائرهم بما نور به بصائر الموقنين ، وزودنا وإياكم التقوى فإن العاقبة للمتقين .

(١) أى الصائدين .

ونسأله سبحانه أن يضاعف صلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم
النبیین، وآله وصحبه أجمعین .

* * *

المجلس الحادي عشر

ذكر الموت

اللهم صلّ على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالدين القيوم الصواب، واختصه الله بالكتاب المنير الثاقب ، وحباه بالفضل المبين الراتب ، وأحله من منازل الشرف في المراتب.

بمحمد تصفوا الموارد هماءً على الصماء المقارب ، عبدُ حباه ربه بنفيس مخزون المواهب ، أعطاه من إحسانه فأفاق همه كل طالب ، وحمى أباه وأمه من كل ما للعرض ثالب ، آباؤه من عهد آدم كلهم في المجد راتب ، يتنزهون عن الفواحش والمعائب والمثالب ، حتى أقروه بأشرف منصب من آل غالب، قوم لهم شرف يفوق المناسب والمناصب ، حملت به البكر بطالع في السعد ثاقب، حتى إذا ما حان مولده المفرج للكرائب ، جاءت به بدرأ أضاءت له المشارق والمغارب ، وجلا بطلعته المنيرة دجي الكفر الغياهب ، وتباشرت بقدومه الأفلاك حافلة الكواكب .

يا رب بلغنا به ولجميع من في الخير راغب :

عفواً ومغفرة وفوزاً بالمواهب والرغائب ، حتى نرافق أحمد بالخلد في أعلا المراتب .

سبحان من كتب الموت على من تحت عرشه . سبحانه من تفرد بالوجود الأزلي، والبقاء السرمدى ، دون خلقه .

سبحان من ساوى بين البرية في ورود حياض المنية ، فلا القوي يعتصم منها بقوته ، ولا العزيز يرتفع عنها بعزته ، قضاء وفصل سبقت به إلهيته

والأقدار ، وحكم عدل حكم به من كل شيء عنده بمقدار ؛ فمن سخط فله السخط ، ومن رضي فله الرضا ، لأن القدير إذا طلب أدرك ، وإذا حكم أمضى .

سكرة الموت لا تحيا إلا بالحق ، والرضا بالحق واجب على جميع الخلق .
إن للملك الملوك قدرة دائرتها محيطية لا يخرج عنها أى أحد سكان البسيطة .

فالحمد لله على رحمته فيما منّ به من الحياة وعلي حكمته فيما حكم به من الممات ، والحمد لله الذى يحيينا بعد الوفاة ، ويجمعنا بعد الشتات ؛ إن عاملنا بما نجه فمن خزائن الرحمة والفضل ، وإن فعل بنا ما نكرهه فمن باب الحكمة والعدل ، فشكره واجب علينا إذا ذكرنا بفضله ، والرضا عنه لازم لنا إذا عاملنا بعدله ، وكل ذلك مما سطرته أقلامه وشرعته أحكامه .

تقدس الذى صنع فأتقن ولم يكن له فى صنعته مشير ، وخلق فأحسن ولم يكن له على خلقه ظهير ، ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور^(١) .

– أما بلوى الحياة : فإن راميها يصلح لكسب الخير والشر ، فكاسب الخير صابر على مصير أهله ، وكاسب الشر سيجزى على فعله بمثله .

– أما بلوى العباد : فإذا حضرتهم الوفاة انقسموا إلى محب وكاره للفناء ، وراض وساخط للقضاء ؛ فمن مات على حال من هذه الأحوال ختم عمله بها وألحق بأهلها . فقلوه : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ معناه – يختبركم فينظر أيكم له أطوع ، وإلى رضاه أطلب وأسرع .

وفى الحديث : عنه ﷺ أنه كان يقول : « إن الله أذل ابن آدم بالموت »^(١) .

(١) سورة الملك الآية ٢، ١

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ قال :
أذل الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار
جزاء ودار بقاء .. فقد اتضح بهذا الحديث والأثر أن في الموت حكمة لمن أراد
التدبر ، وعبرة لمن اعتبر .

— فمن الحكمة في الموت : وضع عماد المتكبرين ، وتنغيص حياة المترفين ،
وتكذيب ظنون الآملين ، وتنبيه عقول الغافلين ، وإزعاج قلوب المطمئنين ،
ورفع أيدي المتسلطين وتخفيف أثقال العبادة عن العاملين ، وفوز المحبين
بلقاء من كانوا إليه مشتاقين .

ولو لم يكن في الموت إلا أنه قضاء رب العالمين ، لكان الرضا به فرضاً
لازماً لجميع المؤمنين .

الموت انقطاع عن دار الفناء ، واتصال بدار البقاء ، وخروج من دار
العمل ، ودخول في دار الجزاء .

الموت راحة المسيء والمحسن ؛ أما المسيء فينقطع عنه استمرار طغيانه ،
وأما المحسن فينقضي إلى دار الجزاء على إحسانه . الموت فيه لقاء الأحباب ،
وإحراز الثواب فليس يكرهه إلا مريب مرتاب .

* * *

الموت فيه تواصلُ الأحباب	وبه حياةُ المؤمن الأواب
يشْتاقُه البرُّ المطيعُ لأنه	يفْضي إلى زلفى وحسن مآب
يحلُّو المماتُ لمن رَجَا بمماتِهِ	لَقِيَا الكريم الماجد الوهاب
ويحيد منه كافر أو فاجر	قد يشرده سخطه وعقاب
فامهدْ لنفسك قبل موتك موقناً	أن الممات مقطّع الأسباب
واعلم بأنك عن قريب خالد	في دار خلد أو أليم عقاب

* * *

(١) لم أجده في كتب الحديث المعتبرة .

سيصحو السكران من سكره ، حين لا يمكنه تلافي أمره .
سيندم المضيّع على تضييعه ، وإذا قابله أمر صنيعه ، سيقصر الأمل من
أمله ، وقت هجوم أجله ، ونفاد أكله ، وتعذر الزيارة في عمله ، والخروج من
أهله وماله ؛ هنالك يستحيل حلو العيش مرّاً ، وينقلب عرف الأمر نكراً ، ويعلم
جامع الحطام أن الباقيات الصالحات أنفع ذخراً .

ليس في ظل الدنيا مقيل ، ولا على هذه الحياة تعريل ، كيف يطمع في
الإقامة من هو في دار الرحيل ؟ كيف يضحك من هو محفوف بموجبات العويل .
أسمعنا الغير فتصامنا ، وأيقظتنا الغير فتناومنا ، ورضينا بالحياة الدنيا من
الآخرة ، واشترينا ما يفنى بما لا يفنى فتلك إذا صفقة خاسرة .

أين الآذان الواعية ؟ أين الأعين الباكية ؟ قول بلا فعال ، وأمر بلا
امتثال ؛ رسل ملك الموت على أنفسنا في كل نفسٍ واردة ، وأجساد أحببتنا تحت
أطباق الشرى هامدة ، قد أوحشت منهم ديارهم ، ودرست رسومهم وآثارهم ،
وحالت اللحود أحوالهم وتقطعت بالبلاء أوصالهم ، ومحت أيدي الحوادث
والغير والقبور محاسن تلك الصور ، وأطبقت عليهم ظلمات تلك الحفر ، فلا
شمس فيها ولا قمر ونحن عمّا قريب إلى ما صاروا إليه صائرون ، و بالكأس
الذي شربوا منه شاربون ، ثم مع هذا اليقين إلى دار الغرور راكنون فإذا الذنوب
قد رانت على القلوب ، وقلة حياء من مراقبة علام الغيوب .

فيا ويح نفس عما يراد بها غافلة ، لا تستعد لما هي إليه صائرة ، وعليه
حاصلة ، ولا تزهد فيما هي له مفارقة ، وعنه زائلة .

نور العارفين لا يطفأ

* * *

إلى من أشكو ألوم نفس شحيحة على الخير قد أضنى فؤادي علاجها
إذا سألتني شهوة منعتها أدامت سُؤالي واستمرت لجاجها
وإن سمتها خيراً تفوز بنفعه غداً نفرت منه ودام أمر انزعاجها
فقد ضقت يا مولاي ذرعاً وأظلمت على الأرض الفضاء فجاجها
فهب لي يا نور السموات فطرة يضيء لعيني في السلوك شراحها

* * *

الله نور السموات والأرض ، فمن لم يستر قلبه بالله فهو في ظلمات بعضها فوق بعض.

من كثرت رؤيته الأنوار في منامه فالغالب عليه الذكر ، ومن كثرت رؤيته المصاييح النارية فالغالب عليه الفكر .

أهل الذكر يستمدون من العقل ، والإيمان أشرف من العقل ، فمزيتة عليه كمزية ضوء النور على ضوء النار في الفضل .

قال بعض العارفين : نمت ليلة وعندي قنديل مسرّج ، فرأيت النبي ﷺ وقد جاء في صورة المنكر عليّ وهو يقول : أما علمت أن النور للمحمدي والنار للموسوي ، ثم أشار إليّ القنديل بيده فأطفأه فانتبهت والقنديل قد أطفئ ، فاشكروا يا أتباع محمد المصطفى ، فنوركم بمتابعته نور لا يطفأ .

جعل الله دينكم أسهل الأديان وأسمحها ، وكتابكم أوضح الكتب وأحكمها ، ونبينا أرحم الأنبياء بأمته وأنصحها .

جعلنا الله من أتباعه المفلحين باتباعه ، وجعلنا من العاملين بكتابه
وحشرونا في جملة أحيابه ، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به .

* * *

المجلس الثاني عشر الميثاق الغليظ

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ مَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الميثاق) العهد . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد بأنه إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أخذ الميثاق على النبيين وأممهم ، فاكتفى بكم بالنبيين .
وأما : ﴿ الإصر ﴾ فهو العهد .

وقوله : ﴿ فاشْهَدُوا ﴾ أي فاشهدوا على أنفسكم وعلى أئمتكم بذلك فالمستشهدون هم الأنبياء . وقيل : الملائكة .

فصلوات الله صاحب المقام المحمود ، المأخوذ على الأنبياء بنصرته العهود ، والله وملائكته على ذلك لشهود .

وهذا من أقوى البراهين ، على تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين . ومن كان أفضلهم فهو أفضل الخلق أجمعين .

* * *

(١) سورة آل عمران . الآية ٨١ .

زار في جنح الدجى طيف الخيال
 زورة أحييت كئيباً شفه
 عاش بالوصل وقد كان قضى
 يا له من زائر حل الدجيا
 مثل ما حل بأنوار الهدى
 أحمد المختار ذو المجد الذي
 شرع الشرع لنا من بعد مالم
 نسخت ملته ما قبلها وأحا
 بكتساب حيرت آياته بالكلا
 كان أهل الأرض في سجن العمى
 فتبدت لهم أنواره كما
 فلهذا قلت في مدجى له
 زار في جنح الدجا طيف الخيال
 من بديع الحسن فتان الجمال
 مضض العذل وتبريح المطال
 وقتيل الهجر يحيا بالوصال
 منه إشراق جبين كالهلال
 مولد الهادي دياجير الضلال
 ساد بالعز منيفات المعال
 نك تدرى حرامناً من حلال
 لت حال أصحاب المحال
 م الفصل ألباب الرجال
 من ظلام الكفر والداء العضال
 البدر بدا عند الكمال
 عز لا يشبه منظوم الهلال
 من بديع الحسن فتان الجمال

المجلس الثالث عشر

هول يوم الوعيد

الحمد لله ما انتظمت بتدبيره الأمور ، واعتقت بتصرفه الدهور ، ووسع
المقترفين عفوه وغفرانه ، وعم المفتقرين بفضله وإحسانه . خرت لعظمته جباه
العابدين ، فطوبى لمن عبد . واعترفت بوحدايته قلوب العارفين فويل لمن جحد .
لا رائق لما فتق ، ولا فاتق لما رتق ، ولا رازق لمن حرم ، ولا حارم لمن
رزق .

فإذا افتقرت إلى الرزق فقل : يا مغني المفتقرين . وإذا ضللت فقل يا
دليل المتحيرين . وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة فقل حسبي أرجم الراحمين .
الإيمان بيوم القيامة يخف به النطق على اللسان ، ويثقل العمل به على
الجوارح ، ويسهل الإقرار به على من يدعي الإيمان ، ويعسر استقراره بين
الجوانح .

كم من مقر بالعرض على الديان وهو مرتكب للقبائح ، يزحف إلى
الطاعة زحفاً بطيئاً ، ويجري إلى المعصية جرياً حثيثاً ، ﴿ الله لا إله إلا هو
ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ (١)

لو كنت من المصدقين بيوم القيامة لكنت من أهواله خائفاً ، ولو سلكت
سبيل طلاب السلامة لم تكن للأمر خالفاً ، ولو رغبت فيما أعد الله لأوليائه
من الكرامة لم تنزل في الخدمة واقفاً ، ترجو رجاء طيباً وتعمل عملاً خبيثاً ﴿ الله

(١) سورة النساء الآية ٨٧ .

لا إله إلا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً .

المصدقون بيوم القيامة أكياس دانوا أنفسهم وعملوا لما بعد الموت ؛ ثبتت عقائدهم في قلوبهم بالنص والقياس ، فشمروا خشية الموت ؛ أيقظوا عقولهم من رقدة النعاس حين أسمعهم الصوت ، علموا أن ما بأيديهم من الدنيا سيصبح تراثاً موروثاً ، وهباء مبثوثاً ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ .

* * *

خليلي أعبدا مطايا الرحيل وسيروا إلى الله سيرا حثيثاً
ولياكم أن تكونا كمن يبدل بالطيبات الخبيثا
ولا تخدعاً بأمني النفوس فقد صدق الناصحون الحديثاً

* * *

من لم يكن شغله بأمر آخرته ، ولا مصلحة دنياه فشغله فضول .
فإياك والتفرغ لثلب أعراض الناس ، فالعاقل عن ذكر الخاطئين مشغول .
والعاقل عن ذكر الوري مشغول ، قد أيقن أنه غداً مشغول .
من أيقن أن ربه سائله ، فالصارم فوق رأسه مسلول .
إذا أحببت أن تعلم العبد لا تسمعه التفرغ لغير ذكر ربه ونفسه ، فتأمل .
أحوال العباد يوم القيامة ، الكل في ذلك مهتمين بنفوسهم ، ومحمد ﷺ مشغول بربه يسجد السجدة بعد السجدة بين يديه ، يمكث في كل سجدة ماشاء الله يحمد ويثنى عليه ، وسادات المرسلين ينادون نفسى نفسى ، ومن سواهم مشغول بكرهه لا يعيد ولا يبدى .
كم في القرآن من ذكر يوم الوعيد ، ولو لم يكن إلا سورة التكويد

والانفطار ، لكان كافياً لذوى الأسماع والأبصار. فليت شعري، هل أنتم بالقيامة مصدقون ؟ أم الموعود بها قوم آخرون ؟ ران على القلوب صدأ الذنوب ، ومن ران الذنب على قلبه فهو من الآخرة محجوب .

* * *

عين جودى بدمعك المسكوب قد	أمات القلوب كسب الذنوب
كيف ترجو الحياة للقلب والعب	د مصر على إرتكاب الحوب
أدعى باللسان أنى آمنت	وحالى تومى إلى تكذيب
أى عذر عددت يا نفس	للموقب يوم الفقر والتكريب
يوم يجثو موسى وعيسى وإبرا	هيم من هول تلك الخطوب
يظهر الحق ذلك اليوم للخلق	خفايا مستودعات القلوب
يومهم بارزون لا شىء يخفى	من بعيد منهم ولا من قريب
كيف يخفى شىء على الله منا	ومنهم علام خافيات الغيوب
يتولى الحساب رب البرايا	غير مسرور ولا منستنيب
يا حياء المقصرين المسيد	ئين يوم فتح الغيوب
حسبنا ربنا وليس سوا	ه يرجى لفارقة المذنوب

* * *

إذا كنت أيها العاصى ساقطاً عن غير الله ، فيكفيك سقوطك من عين ربك ، وإن كنت من أهل الكرامة على الله فقدركرامتك عليه يمقتك على دينك ، وإن كنت من أهل القربى ، اشتد عتبه عليك من أجل قربك ، وإن كنت من أهل البعد اشتد هوانك عليه من أجل بعدك .

ما اشتد عليكم فى جفاكم عتبى ألا لعلو قدركم فى قلبى
الحب حرام عند أهل الحب ما أوجع سوط البعد بعد القرب

من خصائص الذكر

بذكر الله تستنير القلوب وتحيى، فكل غافل عن ذكر الله فهو فى ظلام.
الليل أغشى ولو أشرقت لعينيه شمس الضحى «الله نور السموات والأرض»
فلهذا لا تستنير إلا القلوب التى هى بذكره ملأى.

صبّ قلبه على فرش الضنا مَذْغَيْتُمْ عَدَمَ الْمَسْرَةِ وَالْهَنَا
ما اشتدّ عنكم بعد بعد مزاركم إِلَّا الصَّيْبَابَةَ وَالْكَآبَةَ وَالْعَنَا
لكن أمانى الوصل تنعش قلبه فَيَعِيشُ أَحْيَاناً بِتَرْوِيحِ الْمَنَا
وتهبّ من ذكركم لفؤاده نَسَمَاتُ الطَّافِ تَفْرَجُ مَا عَنَّا
فالذكر أغنى ما لفافة قلبه مَا لَلَيْتِيمِ مَنْ تَذَكَّرَكُمْ غَنَا

كيف يستغنى المحب عن ذكر الحبيب زمان البعد والحجاب ؟ والذكر هو
العوض لفقد الأحباب عما فقدته من نعيم الرؤية ولذيد العتاب .
المحب الصادق إما أن يكون إلى المحبوب ناظراً ما دام له عن وجهه سافراً،
وإما أن يكون له ذاكراً إذا لم يكن له فى حضرته حاضراً .

كنت من قرب دراهم في نعيم وأنا اليوم في العذاب الأليم
أنا أشكو إليكم حرقلة الذكرى فأنا من وقودها في جحيم
أجمع لكم من طبيب خبير ولبيب وناصح وحكيم
إن هجر الأحباب سوط عذاب ووصل الأحباب رأس النعيم

عباد الله .. اذكروا الله ذكر من هو إلى وجهه الكريم ناظر، جنابه العزيز
حاضر، فخير الذكر ما كنت فيه غائباً كحاضر، ومحجوباً كناظر .
لو تحقق الذاكر بما هو له من الأدب لازم عليه واجب، لنظر إلى شيطانه
«ويقتذفون من كل جانب * دحوراً ولهم عذاب واصب» (١)

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ذكره مقيلاً. ذاكر الله لا يجد الشيطان
إلى إغوائه سبيلاً. ذاكر الله لا يزال شيطانه مدحوراً ذليلاً. ذاكر الله قد تكفل
الله بحفظه، وكيف يضيع من كان الله يحفظه كفيلاً.

اذكروا الله بكرة وأصيلاً وتبتلوا لذكره تبتيلاً
اذكروا الله ذكر صب مشوق واجعل الذكر للوصال سبيلاً
ارض بالله مؤنساً وجليساً واتخذة دون العباد وكيلاً
فر مما سواه والجبأ إليه واسمحه تجده برأ وصولاً
الزم الذكر واتخذة تجدد الذكر بالوصال كفيلاً

(١) سورة الصافات الآية ٨، ٩

فضل الاستغفار

المعاصي سلسلة في عنق العاصي، لا يفكه منها إلا الاستغفار والتوبة .
والصراط كثير الاضطراب تحت أقدام السالكين، لا يسكنه إلا قول: رب
سلم سلم. والنار مسعرة الضرام، لا يطفئها إلا نور الإيمان. والموقف شديد
الحر، لا يخن منه إلا ظل العرش. والقبر مطبق الظلمة، لا ينوره إلا مصباح
اليقين. والجنة مغلقة الأبواب في وجوه طلابها، لا يفتحها إلا كلمة الإخلاص
وشفاعة الرسول والشيطان جائم على قلب الإنسان لا يمشي عنه إلا بالذكر.
اذكر البر الرحيم كما يذكر الأحباب العشاق، مسة الشيطان ليس لها غير
ذكر الله ترياق.

يا فرسان ميدان ذكر الله أطلقوا الأعنة، يا فرسان ميدان ذكر الله أشرعوا
الأسنة وأسقطوا الأجنة.

لا تطمعوا في وجدان حلاوة الذكر وقلوبكم مشغولة بوسواس الفكر.
كيف يكون حبيب الرحمن، من هو للشيطان سمير. كيف يطمع في الوصول
من لا يجد في المسير .

لا ينال العلى رخی البـال	إنما تلك رتبة الأبطال
خاطروا بالنفوس والأموال	هكذا هكذا تنال المعال
وإعلموا أن في حدود جنان الـ	خلد حورا لها مهوور غوال
ووراء السور سجع ستور	مسيلات على قصور عوالى
فوق تلك القصور وادى التجلى	والكراسى منصوبة للرجالى
هم رجال لم يلهم عن مجا	لس الذكر شئ من هذه الأشغال
فانفضوا عن قلوبكم كل هم	من هموم الأولاد والأموال
واحملوا حملت الهزبر ^(١) إذا	حامى حذار الردى عن الأشبال

(١) «الهزبر» اسم من أسماء الأسد.

من لوازم ذكر الله تعالى

أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثم قطع الفكر عن قلبه، ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه ثم استفراغ الوسع في تجويد الذكر، ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطاوته، ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الارقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه؛ فهذه الشرائط السبع، من راعاها حق الرعاية، بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية.

من أحب شيئاً أكثر ذكره، ومن أجلّ أمراً أعظم قدره، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته، ولا جليل أجل عند الله من أهل معرفته، فاذكروا الله ذكر المحبين، وأجلوه إجلال العارفين، لتشربوا كؤوساً من شرابه رحيقاً مختوماً، ثم تلحقوا بمن رفعهم الله عن الرحيق حتى صار كل شرابهم تسليماً.

لعلك تشتهي صرفاً حلالاً لا صداع ولا خمّاراً
شراب المسلمين فلا يهود حوتها في الدنان ولا نصارى
عليك بقرب مجالس أهل الذكر تجدد قوماً من الذكر سكارى
تدور عليهم كأسات خمير من التوحيد قدس من أوزارا
فزهرهم لا تخف فليس يشقى طوال الدهر من للقموم زارا
عساك تصيب بينهم نصيباً من الحس إذا ما الكأس دارا

أهل ذكر الله وقت صفاء الأوقات يشربون من شراب المصافاة كؤوساً

مترعات، ويجنون من غروس الذكر ثماراً يانعاً، ويخلع عليهم من ملابس
القرب حلل فاخرات ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون * باغواب و أباريق
و كاس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون *
ولحم طير مما يشتهون ﴾ (١) كل هذا يناله أهل مجالس الذكر ، والناس ينظرون
إليهم ، وهم لا يبصرون .

أهل ذكر الله قد يتحفظوا فيتبرأهم منعمين وهم فيما
تخرج الأرواح منهم إلى العرش
وحسان الحور تجل على أبصا
وكيؤوس دائرات بها
وثمار يانعاً بأطباق لجية
والرياحين تميد اهتزازاً
وبحار الخمر والماء والشهد
وثياب السندس الخضري
كل هذا وهم بعد في
كيف لو فارقوا هذه الدا
قوم جدوا في اللحاق بهم
واذكروا الله على كل حال
لا يتم الذكر حتى تكونوا
فأذيبوا الأنفس في طلب العيش
والزموا ذكر الجليل فبا
بنوالات بها يكرمونا
أشتهت أنفسهم راتعينا
وهم بين الوري قاعدونا
رهم والناس لا يبصرون
الولدان يسقون فلا ينزفونا
ن (٢) هم بها يطوفونا
برياض هم بها يمرحونا
وما يقنى لواجدونا
هم فهم في حشنها يرفلونا
ديناهم بين الوري يرزقونا
ر إلى دار لها يعاملونا
كيف تحوزوا ما هم حائزونا
وانظروا كيف تذكروننا
كلما في وسعكم تبذلونا
بدار لا ترون فيها المنونا
لذكر إليه وصل الواصلونا

(١) سورة الواقعة الآيات من ١٧ - ٢١ .

(٢) «لجين» الفضة .

اللهم إنا نسألك يا من جاد على عباده الصالحين بالقوة والمعونة حتى قاموا لك بحق القيام بالطاعة ، أن تمن علينا بما مننت عليهم . ونسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأن تجمع بيننا وبينهم في دارك ، دار النعيم ، إنك جواد كريم .
وصل اللهم على محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

المجلس الرابع عشر

تقوى الله

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يجب على العبد في عبوديته، وكما يحبه الرب ويرتضيه ، أنعم بما لا يحصره الحساب ولا يحصيه، ولا يسعه الكتاب ولا يحويه .

كم ذنب قد غفره ، ولولا الغفران لحاق العذاب بجانبه .
أحمده على اللاحق والسابق من أياديه ، حمداً يوجب المزيد من كرم الحق لحامديه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، أزاحم بها على باب الجنة داخلية .

واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه الله من خلقه ، فسبحان مصطفىه ؛ وارتضاه لتبليغ رسالته فتعالى جد مرتضيه ، فشمّر عن ساق الجدّ في مجاهدة أعداء الله ومعانديه ، حتى اتّسق قمر الإيمان في فلك الإسلام ووضح الحق لناظريه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحزبه ومحبيه ، خصوصاً على الإمام أبي بكر الصديق ، خليفة رسول الله ﷺ على أمته ، وصديقه ومواليه .

وعلى الإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولّى رسول الله ومصافيه
وعلى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، صهر رسول الله ومواسيه .

وعلى الإمام على بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله ﷺ ومواخيه .
وعلى سائر الصحابة ، وتابعيه .

* * *

قال تعالى في كتابه أمراً لعباده المؤمنين بالتقوى بقوله تعالى : ﴿ يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .

جاء في التفسير معناه : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى .
وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب ، حدثنى عن التقوى .
فقال : يا أمير المؤمنين ، هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم . قال :
فما صنعت ؟ قال : حذرت وشمّرت . قال : فكذلك التقوى .
وقال النبي ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا
بأس به حذر إلى ما به بأس » .

لباس التقوى أحسن جنة يحصن بها الخائفون ، وخشية الله أوثق عروة
يمسك بها المتمسكون ، وأداء فريضة الله ، واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توسل
بها إلى الله المتوسلون .

طوبى لمن كانت الجنة مثابه ، وهي مثاب المتقين
وشراب الرحيق والتنسيم والكافور والزنجبيل شرابه ، وهو شراب الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم رفقاءه وأصحابه .
إنما يجازى بمثل هذا الجزاء من هو من المتقين ، الذين أقاموا الدين
بشرائطه المشروعة ، واقتدوا في الملة الإسلامية بآياتها المتبوعة ؛ فإذا صلى أحضر
قلبه مع بدنه في تذكر وتدبر أذكاره ، وأحسن أدبه بين يدي عالم أسرارهِ ، وإذا
تصدق أخرج الطيب من كسبه ، لا يريد عليه جزاءً إلا ابتغاء وجه ربه ، وإذا
حج أخلص النية لله في قصده قبل الخروج من أهله ، وأنفق إلى مرجعه من

(١) سورة آل عمران الآية ١، ٢ .

طيب المال وحلّه ، واجتنب الحرام ، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال « من حج بمال حرام فقال : لبيك . قال الله له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك ، حتى ترد ما في يديك » . (١) وإذا صام صان نظره عما لا يحل عليه النظر، وصان لسانه عن الكلام الزور والهذر ، وصان سمعه عما يحرم الاستماع إليه ، وصان لسانه عن تمزيق أعراض المسلمين .

فكم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين ، وكم أحبطت من أجور العاملين ، وكم جلبت من سخط رب العالمين ، فالغيبة فاكهة الأرزلين ، وسلاح العاجزين ، مضغة طالما لفظها المتقين ، نعمة طالما مجّها أسماع الأكرمين . فرحم الله امرءاً لم يفسد عبادة يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم ، بلقمة حرام تعقب طعام الزقوم وشراب الحميم ، فهي كلمة ما استحلاها إلا طبع لقيم ؛ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (٢) ؛ في هذا الحديث دليل على أن العامل قد يكون بصلاح ظاهره معموراً ، وقد سقط عن عين الله حتى ما يزن عنده فقيراً ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من أمره ما كان مستوراً ، وظهرت مخبات الصدور على صفحات الوجوه رقماً مسطوراً ، ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائفة في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ . (٣)

* * *

(١) أخرجه الديلمي عن أنس بلفظ « من حج من مال حلال أو من تجارة أو من ميراث لم يخرج عن عرفه حتى تغفر ذنوبه وإذا حج من مال حرام قال الرب لا لبيك ولا سعديك ثم تلف فيضرب بها وجهه . (جمع الجوامع للسيوطي : ٧٧١/١)

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم والترمذي في الصوم باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم .

وأبو داود في الصوم باب الغيبة للصائم . وأيضاً أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني في صحيح الجامع وأشار إلى أن أحمد أخرجه في المسند راجع لنا كتاب مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٣ .

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَقُولُ إِذَا مَا
 ثُمَّ قَدِمْتُ لِلْحَسَابِ ذَلِيلًا
 وَأَتَيْتُ بِالْأَعْمَالِ تَوَازُنًا بِالذَّرِّ
 وَبَدَأَ لِي مِنْ فَرْقٍ وَجْهِي
 ثُمَّ يُودِي عَلَى هَذَا فَلَان
 فَضَحَتْهُ السُّيُومُ الذَّنُوبُ
 وَأَتَيْتُ بِالسَّعِيرِ أَسْمَعَ
 مَا احْتِيَالِي فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْمُهُولِ
 لَيْسَ لِي غَيْرُ حَسَنِ ظَنِّي بِرَبِّي
 وَتَعَطَّفَ بِجَبْرِ كَسْرِي فَقَدْ
 وَقَفْتُ فِي الْقِيَامَةِ مَكْبَلًا مَأْسُورًا
 وَأَتَيْتُ كِتَابًا مَسْطَرًّا مَنْشُورًا
 فِيمَا غَادَرُوا هُنَاكَ نَقِيرًا
 سَوْءٍ فَعَلِي مُحَرَّرًا مَسْطُورًا
 كَانَ لِلَّهِ عِيَاصِيًّا مَسْتُورًا
 وَحَسَابًا مُحَرَّرًا تَحْرِيرًا
 مِنْهَا تَغْيِظًا وَزَفِيرًا
 وَمَنْ ذَا يَذُودُ عَنِّي السَّعِيرًا
 خَائِفًا مِنْ عَذَابِهِ مُسْتَجِيرًا
 أَصْبَحَ قَلْبِي مِمَّا جَنَّا مَكْسُورًا

صفة جهنم أغاذا الله منها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَقَادٌ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مع كل
 زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا » (١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يُؤْتَى
 بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ تَمَائِلٌ عَلَى الْخِزْنَةِ ، حَتَّى تَوَقِفَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ،
 وَيُلْقَى عَلَيْهَا الذَّلُّ ، فَيُوحَى لِلَّهِ إِلَيْهَا مَا هَذَا الذَّلُّ ؟ فَنَقُولُ : يَا رَبِّ .. إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يَكُونَ لَكَ فِيَّ نَقْمَةٌ . فَيُوحَى لِلَّهِ إِلَيْهَا : إِنَّمَا خَلَقْتُكَ نَقْمًا ، وَلَيْسَ لِي
 فِيكَ نَقْمَةٌ . فَتَزْفِرُ زَفْرَةً لَا تَبْقَى دَمْعَةٌ فِي عَيْنٍ إِلَّا جَرَتْ ، ثُمَّ تَزْفِرُ أُخْرَى فَلَا
 يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا صَعَقَ ، إِلَّا نَبِيَّكُمْ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ يَقُولُ :

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب شدة حر جهنم... وأخرجه
 الترمذي من حديث ابن مسعود من طريق حفص بن غياث في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة
 جهنم راجع فهارس صحيح مسلم ط دار الفد العربي وضع دكتور قلعي .

يارب.. أمتى، أمتى^(١)

عباد الله .. فاستجبروا بالله من شر هذه النار التي لا يرحم ولا يغاث
باكيها، واسألوه الإقالة من ذنوبكم قبل أن لا يقال غيره، وتوبوا إلى الله من
قريب، واستحيوا ممن هو عليكم رقيب، واحذروا أن يأتيكم الموت وأنتم على
المعصية مصرون، ولا تخلصوا إلى الدنيا فإنكم عنها منقلبون ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى
رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٢).

وأكثرُوا من ذكر الله تعالى واستغفاره، واسألوه أن يرزقكم الفوز بالجنة
والنجاه من ناره، واغتنموا العمل الصالح في نهار العمر وليله، وتمسكوا بما في
أيديكم من حواشي ذيله، وتزودوا ما أطقتم من البر فستجدونه يوم توفية الأجر،
واستحيوا من الله حق الحياء فهو رقيب عليكم في كل ما أنتم له عاملون فإنكم
على بساط كرمه قاعدون، وفي بحار نعمه عائمون، وإلى دار جزائه صائرون،
ولكريم عفوه وجميل صفحه آملون.

فاذكروه يذكركم، واشكروه يزدكم، واتقوا الله لعلكم تفلحون، اتقوه حق
تقائه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

اللهم .. يا من ليس في الوجوه سواه، يا من عليه يعتمد، ومن فضله
يسأل، وإليه يسند، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا من الملائكة في خدمته صفوف، وعلى
طاعته عكوف .

يا جار المستجير، ومن هو على كل شيء قدير.

يا غياث الملهوف، يا من بيده القبض والبسط، وبيده تقوم السموات
والأرض.

يا من امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرت لعبادته وجوه الساجدين،

(١) لم أقف عليه في الكتب المعتبرة وراجع تذكرة القرطبي من تحقيقنا ط دار إحياء الكتب العربية
فهناك أحاديث بمعناه.

(٢) سورة الزمر. الآية ٥٤.

وعجت بتلبيته أصوات الملبين، وطمحت إلى معروفة أبصار الآملين. يا عالم السر والنجوى، يا من إليه المشتكى. يا من عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات.

يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى. يا فائق الحب والنوى.

اللهم. نشكو إليك ما نحن فيه من طاعتك مقصرون، وعلى معصيتك مصرون، وبِعظمتك جاهلون، وبحكمك مغترون، وعن القيام بما يلزمنا فى حَقِّكَ عاجزون.

اللهم اجعلنا من الذين يعاملونك بما تحب، وتعاملهم بما يحبون، وينصرفون عما تكره، وتصرف عنهم ما يكرهون. وألحقنا بالذين وجهوا إليك وجوههم، وأخلصوا لك أعمالهم، ولم يعتمدوا على أحد إلا عليك، ولم يستندوا إلا إليك، ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (١)

واختتم لنا بخير، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١.

المجلس الخامس عشر

جزاء التائبين

الحمد لله، بجميع ما حمد به الحامدون، على كل نعمة وصل إليها من كرامته الواصلون، لدى خلقه كلهم من نحن به عارفون أو جاهلون.
ومن أولى بالحمد من منعم من بحر أنعمه أنعم المنعمون، ﴿ فسبحان الله حين قمسون وحين تصبحون ﴾ * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴿ (١)

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لم يزل عبده، ولا رأى إلا رفده، ولا يخاف إلا وعيده، ولا رجا إلا وعده.
عسى بكلمة الإخلاص أن نحصل على الإخلاص، ولات حين مناصي إلا للموحدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عبده حتى أتاه اليقين، ورسوله الذي جاء بالحق وصدق المرسلين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ خصوصاً على الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، الأئمة الهداة المهتدين؛ وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم .. ونحن من جملة عبادك المفتقرين إلى نوالك، الباسطين أكفهم لسؤالك، منتظرين ما تذكرنا به من إحسانك، وتغمرنا به من أفضالك .
اللهم .. فأجرنا بما تجير به المنكسرين، واغننا بما تغني به المفتقرين،

(١) سورة الروم الآية ١٧، ١٨ .

وأشركنا في دعاء الداعين ، وأشرك في صالح دعائنا فيك من المسلمين
معاشر الإخوان الحاضرين بظواهر الأبدان ، احضروا ببواطن القلوب عسى
تمطر سحائب الرضوان بتفسير شيء من القرآن ، نستدعي به كرم الكريم ،
ورحمة الرحمن الرحيم : يقول عز وجل في كتابه المبين : ﴿التائبون
العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾^(١)

سبب نزول هذه الآية : أنه لما نزل قبلها ﴿إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(٢) قال رجل : يا رسول الله ، وإن زنا وإن
شرب الخمر وإن سرق ؟ ونزل بعدها ﴿التائبون﴾ فكأنه تعالى يقول : الجنة
حاصلة للمؤمن ولو أتى الكبائر وغشى الفواحش . ولكن إذا تاب . لأن المؤمن
إذا عمل الذنوب فلا بد له ولو عند موته أن يتوب ، وهذا من كرم الله تعالى
بعبدته المؤمن أنه إذا تاب إليه قبل موته قبل الله توبته ، كما في الحديث عن
رسول الله ﷺ أنه قال «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٣).

* * *

كريم إذا يَمِمْتَ بالصدق بآبه فإنك لا تلقى على الباب حاجبا وإن
كنت ذا ذنب فتب منه واعتذر كأنك لم تذب إذا جئت تائبا

* * *

(١) سورة التوبة الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة ١١١ .

(٣) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر في كتاب الزهد باب ذكر التوبة

ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٢/٢ ، ١٥٣) وفيه مكحول .

وأخرجه أحمد أيضاً بسنده عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن البيهقي قال : أجمع أربعة من أصحاب
رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله يقول : « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم » فقال الثاني
أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد
قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن
الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بصحوة » فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه » .

فأما من مات عن غير توبة من أهل الكبائر فقل أن يسلم من العقوبة، لكنه لا يخلد مع الكافرين . وفي الجملة : من دخل النار ولو ساعة من نهار فقد ذاق العذاب الأليم . وليجرب العاصي بنار الدنيا فهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم : هل له طاقة أن يضع فيها أصبعه أو شيئاً من جسده لحظة واحدة ؟ فالواجب على العبد العاصي أن يبادر إلى التوبة قبل هجوم أجله وانقطاع أمله .

إذا كنت يا عاصي على النار لا تقوى فبادر إلى التوبة واستعمل التقوى ونح أسفاً من أجل ذنبك دائماً فما في غد يغني نواح ولا شكوى

وقد روي في أثر أن أكثر استغاثة أهل النار من (سوف) كانوا يقدمون على المعصية ويؤخرون التوبة ويقولون سوف نتوب ، فاختطفهم الموت على شر حالة ، فألقوا في نار الجحيم ، ونعوذ بالله منها

- تفسير آية من سورة التوبة -

قال ابن جرير في قوله تعالى : «التائبون» أي الراجعون عما يكرهه الله ويسخطه ، إلى ما يحبه ويرضاه .

وعن الحسن في قوله تعالى : «التائبون» قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها . وقيل : تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق .

والتائبون على ثلاث طبقات :

— فأدناهم : التائبون من الكفر .

- وأوسطهم : التائبون من المعصية .
- وأعلاهم : التائبون من الغفلة .
- وأما ﴿ العابدون ﴾ فقال ابن جرير : الذين ذلوا لله خشية وتواضعاً له، وجدوا في خدمته .
- وقال قتادة : ﴿ العابدون ﴾ قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم وعدادهم .
- وعن ابن عباس : إنهم المقيمون الصلاة .
- وقال الحسن : هم الذين عبدوا الله باتباع أمره .
- والعابدون أيضاً على ثلاث طبقات :
- أدناهم : الموحدون .
- وأوسطهم : المطيعون .
- وأعلاهم : المتبتلون .
- وأما ﴿ الحامدون ﴾ فعن ابن عباس : إنهم الذين يحمدون الله على كل حال وقال الحسن : ﴿ الحامدون ﴾ على الإسلام .
- والحامدون أيضاً على ثلاث طبقات :
- أدناهم : القائم بالحمد الواجب ، وكقراءة سورة الحمد في المكتوبة .
- وأوسطهم : الحامد في كل موضع يشرع فيه الحمد ، كالقراغ من الأكل والشرب والعطاس .
- وأعلاهم : الحامدون على كل حال كما، كان نوح عليه السلام، فسمّاه الله عبداً شكوراً .
- وأما ﴿ السائحون ﴾ ففيهم أربعة أقوال : قيل : هم الغزاة . وقيل : المهاجرون . وقيل : طلاب العلم .
- وقال الأكثرون : هم الصائمون .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ السائحون ﴾

هم الصائمون» (١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كلما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام (٢).

وقال الحسن : الصائمون شهر رمضان (٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها : سياحة هذه الأمة الصيام .

وهو مروي عنه عليه السلام قال : « سياحة أمتي الصيام » .

وأما « الراكعون الساجدون » : فقال الحسن : هم المصلون الصلوات المكتوبات .

وأما « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » : فقال ابن جرير الذين يأمرون الناس بالحق ، ونهوههم عن كل قول أو فعل نهى الله عنه . والناهون عن المنكر : عن الشرك . وعنه : الآمرون بالمعروف ، قال : إما أنهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتي كانوا من أهله . والناهون عن المنكر ، قال : إما أنهم لم ينهوا عن المنكر حتي انتهوا عنه . قال أبو العالية : كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي عن عبادة الأوثان والشياطين .

وقال عطاء الآمرون بالمعروف : بفرائض الله وحده وتوحيده . والناهون عن المنكر : ترك فرائض الله وحدوده وعن الشرك به .

وأما « الحافظون لحدود الله » : فقال ابن عباس : يعنى القائمين على طاعة الله ، وهو شرط شرطه الله على أهل الجهاد ، إذا وقوا له بشرطه وقى لهم بشرطهم . أى أن بعض المجاهدين يرتكبون المحرمات من زنا وشرب خمر وغير ذلك ، فإذا أنكر عليهم قالوا : نحن مجاهدون ، والجهاد يطهرنا . فردت الآية عليهم : أي كونوا مع الجهاد في سبيل الله ، حافظين لحدود الله .

(١) رواه ابن جرير الطبري قال حدثني محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ص واسامة (مج ٧ ج ١١ / ٢٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره وأخرج أيضاً عن ابن عباس بسنده قال « السائحون الصائمون » .

(٣) رواه أيضاً الطبري في تفسيره مجلد انظره ط دار الغد العربي من مراجعتنا .

ثم قال تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أى المصدقين بوعده الله لهم . وقيل
معناه : وبشر من فعل التوبة ، وسائر هذه الأفعال ، وإن لم يكن من المجاهدين .
عباد الله .. فصصحوا الأعمال تلحقوا بالرجال ، واحذروا الرجاء الكاذب
فإنه محال ، أترجو أن تكون من الرجال بقول أو بفعل أو بحال .

* * *

وأنت من المفاسد في جميع الأوامر والنواهي غير خال
ومن طلب الوصول بغير سير على نهج فذاك من المحال

* * *

اللهم .. يا ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، يا بديع السموات
والأرض ، ويا من بيده القبض والبسط : نسألك أن تتوب علينا وعلى العصاة ،
وأن تجعلنا من عبادك المتقين ، وأن تحبنا أفعال الفاسقين ، وأن تختتم لنا بخير
ولجميع المسلمين .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً
إلى يوم الدين .

* * *

المجلس السادس عشر

صلاة القاعد وفضل صلاة القائم

هذا تفسير حديث متفق، على صحته من الأحكام ، اتفق على صحته علماء الإسلام ، وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة أحدكم وهو قاعد مثل نصف صلاته وهو قائم » (١) .

القائم في الصلاة له مزية على القاعد فيها من سبعة أوجه :

- الأول : المشقة ؛ لأن القائم يلحقه من التعب ما لا يلحق القاعد .
- الثاني : الأدب ؛ لأن القائم في الخدمة أحسن أدباً من القاعد .
- الثالث : النشاط ؛ لأن القائم أنشط في الخدمة وأبعد من الكسل والنعاس .
- الرابع : التمكن ؛ لأن القائم أقدر على فصاحة الكلام في المناجاة وتحسين هيئات العبادة .

- الخامس : كثرة التنوع في فنون الخدمة ، لأنه إذا صلى قائماً فقد عبد ربه بالقيام والركوع والسجود والقعود ، وإذا صلى قاعداً فات نوع من الأربعة .
- السادس : أن من صلى قائماً أخذ نصيباً من ترويح القلب ، بسبب تنقله من حال إلى حال أكثر نصيباً من القاعد ، وترويح القلب يعين على جودة الذكر .

(١) أخرج مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين ، وقصرها باب جواز النافلة وقاعداً وقائماً قال : عن عبد الله بن عمرو قال حدثت إن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة » قال فأتيتته فوجدته يصلي جالساً فوضعت يدي على رأسه فقال : مالك يا عبد الله بن عمرو قلت حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة . وأنت تصلي قاعداً قال « أجل . لكنني لست كأحد منكم » راجع ط دار الغد تحقيق دكتور قلمعجي .

— السابع : أن من صلى قائماً فقد أطاع الله تعالى بقوله : ﴿وقوموا لله قانتين﴾ (١) ، وطاعة الأمر موجبة الأجر ، ولو لم تكن حكمته مفهومة فكيف ؟ وقد ظهرت الحكمة في القيام في الصلاة من وجوه كثيرة (١) .

وأما الفريضة : فلا تصح صلاتها قاعداً مع القدرة على القيام ومن صلى قاعداً في الفريضة مع قدرته على القيام فهو عاص ، واختلف العلماء في كفره ، وأما النافلة فجائز فيها الجلوس مع القدرة على القيام ، لكن القيام أفضل لما تقدم من الوجوه وأجره نصف أجر القائم ، وإن كان عاجزاً عن القيام لم ينقص أجره لأنه عاجز عن القيام .

وأنشد بعضهم في الحض على عبادة الله تعالى تطوعاً :

* * *

اعبدوا الله ركعاً وسجوداً	وقياماً وطوراً قعوداً
واذكروه في كل حال فزاد	من ذكر اسمه يلاقي السموداً
إن في اسم الحبيب في القلب	طمعاً من يذقه يود منه المزيداً
لا يزال الحبيب غيباً فإن أنت	ذكرت اسمه يرى مشهوداً
فترجم باسم الحبيب لأسماء	ع محبيه واتخذهم عبيداً

* * *

(١) وهذا في صلاة النافلة .

الذكر المقبول منه تعالى

لو جرى ذكر العزيز الحكيم كما ينبغي له من الإجلال والتعظيم لسعى بذكره كل سقيم ، ولكن عزّ على أكثر الخلائق توفية الإجلال عند ذكر اسم الخالق .

فلذلك ترى أكثر المتعبدين ، لذكر الله مديمين ، ولا تراهم إلى المذكور واصلين ، ولا على وصاله بحاصلين ؛ لأنهم يذكرون بألسنتهم من ليس بقلوبهم عارفين .

نديم الذكر ، والذكر عظيم الشأن والقدر ، وما بنصر للذكر على الذاكر من أثر . وما الآفة إلا جهل من يذكر بالأمر ، إذا لم يعرف المذكور ، ما يصنع بالذكر .

كل مطلوب لا يعظمه الطالب لا يبلغ منه شرف المراتب . عبادة الله حرفة لا يحذق فيها إلا المتبتلون إليها ، ومعرفة الله غاية لا يبلغها إلا المقلبون بكل وجوههم عليها ؛ وكيف لا تكون سلعة غالية ، وجنة الله عالية ، وإليه في كل شرف المنتهى الذي ليس وراءه مرمى .

* * *

ابذل الروح إن أردت الوصال فوضال الحبيب أغلى وأغلى
ليس من يلتقي إذا زار بالطرد كمن يلتقي إذا زار بأهلاً وسهلاً
من شفيعي إلى الحبيب كل ما رمت وصله قال كلا
لو رأني أهلاً لجاد ولكن ما رأني لما رمت أهلاً

* * *

إذا نفع الوعظ - وأسفاه - كلام من لا إله سواه : ﴿ قل لمن مافى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يومر .

القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴿١﴾ .

إذا أعضلتكم الحاجة ولم تجدوا معطياً بهبة ولا قرض ، فاسألوا من له ما في السموات والأرض ؛ الذي كتب على نفسه الرحمة فهي لعباده على نفسه فرض ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ (٢) .

كان رسول الله ﷺ من الحطام الفاني فارغ اليد ، ومن كنوز المعرفة مملوء القلب ؛ فلما نظر الجاهلون بالله إلى تجرد ظاهره ظنوا أنه بحاجة إلى دنياهم . فقال لهم كفار مكة : قد علمنا إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة ، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً ، وترجع عما أنت عليه ؛ فنزلت هذه الآية : ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار ﴾ (٣) أي إذا كان الذي له ما يحتوي عليه الزمان ، فكيف تكون محتاجاً إلى عطية إنسان ؟

* * *

عَلِمْتُكَ يَا سَيِّدِي بِحَالِي بِأَغْنَى لِسَانِي عَنِ الْمَقَالِ
جَبَرْتَ كَسْرِي كَشَفْتَ ضَرْيَ أَغْنَيْتَ فَقْرِي سَتَرْتَ حَالِي
لَا تَجْعَلْنِي عَبْدًا لِمَنْ سِوَاكَ يَا سَيِّدَ الْمَوَالِي

* * *

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢ .

(٢، ٣) سورة الأنعام الآية : ١٣ .

من كلام المصطفى الحبيب (ﷺ)

في فضل الدعاء المقبول وبعض الأدعية المختارة

قد استنزلنا الرحمة بتلاوة شيء من محكم التنزيل ، فلنستدع البركة بذكر أحاديث من كلام الرسول : قال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » (١) [مخرّج في الصحيح] . وقال ﷺ : « من سرّه أن يسئحيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » (٢)

وقال لمعاذ بن جبل : « يا معاذ لا تدعنّ أن تقول في دبر كل صلاة :
ألهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (٣)

(١) أخرجه الترمذى في الدعوات وقال : حسن صحيح غريب من حديث عمرو بن عبسة وغزاه الحافظ المنذرى إلى أبي داود والحاكم وقال قال الحاكم في المستدرك : صحيح على شرط مسلم
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسند فيه أبو صالح وقال : حديث صحيح الإسناد أصبح البخاري بأبي صالح ووافقه الذهبي [٥٤٤/١] . قال الألباني في سلسلته : وفيه نظر فإن ابن صالح فيه ضعف من قبل حفظه .

يقول محمد : في السند اثنان كل منهما هو ابن صالح وهما : عبد الله بن صالح كاتب الليث ويكنى أبا صالح ومعاوية بن صالح شيخه والأخير منهما قال فيه ابن حجر في التقریب : صدوق له أوهام وأما الأول وهو أبو صالح كاتب الليث فأرجح أن الحاكم كان يقصده بكلامه فهو ذكره بكنيته بينما قال الألباني « ابن صالح » وقد استشهد به البخاري وأخرج له تعليقا وقال الحافظ في التقریب صدوق كثيرة الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة . وقد نقل ابن حجر في التهذيب [٢٥٦ / ٥] عن أبي حاتم أنه قال : سمعت أبا الأسود النضر بن عبد الجبار وسعيد بن عفیر يثنیان على كاتب الليث وعنه أيضاً قال : سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث يقول أبو صالح ثقة مأمون قد سمع من جرى حديثه وكان أبي يحضره على التحديث وكان يحدث بحضرة أبي . وقال الذهبي في الكاشف راجع لنا مفاتيح القارى في مجلدین كان صاحب حديث فيه لين .

(٣) أخرجه أبو داود عن معاذ في كتاب الصلاة باب الاستغفار والنسائي في كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الذكر وأحمد (٢٤٥/٥ ، ٢٤٧) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٧٣/١) وقال صحيح =

وقال : من قال حين يأوى إلى فراشه : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأتوب إليه - ثلاث مرات - غفرت ذنوبه ، وإن كانت عدد ورق الشجر ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا » (١)

وقال « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » (٢)

وقال : « اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (٣)

وقال : « ادعوا الله أنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعوة غافل لاه » (٤) .

وقال : « ما من عبد يرفع يديه ، حتى يبدو بياض إبطيه ، يسأل الله مسألة ، إلا أناه إياها ، ما لم يعجل » . قيل : يا رسول الله ، كيف تكون عجلته ؟ قال : « يقول قد سألت ربي ، وسألت ، فلم أعط شيئاً » (٥) .

= على شرط الشيخين ولم يخرجه ووافقه الذهبي وأخرجه الهيثمي في زوائد ابن حبان وابن القيم في زاد المعاد راجعه من تحقيقنا ط مصطفى الحلبي .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الرصافي وعبيد الله بن الوليد . وأخرج الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « من قال استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه وإن كان ناراً من الزحف .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ما جاء في دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب . وفيه عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم الأفریقی . قال الترمذي : يضعف في الحديث . وقال ابن حجر في التقريب في حفظه . شئ وقال في تهذيب التهذيب [١٧٣/٦] : أحمد : منكر الحديث .

(٣) هذا جزء من حديث معاذ بعث إلى اليمن وهو حديث طويل أخرجه البخاري ٢٤ كتاب الزكاة ٦٣ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا .

وأخرجه بلفظه مسلم في الإيمان ٧ باب الدعاء إلى الشهادتين الاسلام فالحديث صحيح .

(٤) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الدعوات (٥١٨/٥) وقال هذا حديث غريب لا نعرف من لها من هذا الوجه .

والحاكم في المستدرك [٤٩٣/١] وقال : مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجه البخاري ولا مسلم وتعقبه الذهبي فقال : صالح المري متروك . وقال المنذرى في الترغيب صالح المري لاشك في .

وقد عزاه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة [رقم ٥٩٤] إلى ابن عساكر وإلى أبي بكر الكلاباذي في مفتاح معاني الآثار وقال الألباني أيضاً : لكن له شاهد بسند ضعيف أورده الألباني في السلسلة الصحيحة وقال في صحيح الجامع : حسن (٢٤٣) .

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات عن أبي هريرة وأخرج أيضاً حديثاً في معناه عن عبادة بن الصامت =

وقال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله، غضب الله عليه » (١) .
وقال : « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح لأهله، وحتى
يسأله شسع نعله إذا انقطع » (٢)

وقال : « الدعاء مخ العبادة » (٣) أو قال : « هو العبادة » وقرأ قوله تعالى :
﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (٤) .

الدعاء باب من الأبواب المدخلة على العزيز الوهاب، وطريق من الطرق
الموصلة إلى ذلك الجنب، ووسيلة من أنجح الوسائل، ورسالة من العمد إلى حضرة
الرب، من أبلغ الرسائل؛ فإن كان مدادها الدمع السائل، فهو الدعاء الواصل.

* * *

لا أسمع الدهر عزلاً عازلاً فى حبٍّ من ماله مماثل
يشهد لي أنني محبٌ دمعٍ على الوجنتين سائل
والوجد بين الضلوع نازل والنوم عن مقلتي راحل
راسلهم بالدموع دهرًا فما أرى أغنت الرسائل
وكنت أعتاضُ بالطيف فى منامي إذا كان ذاك غير باخل

= ولفظه ما من على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم
يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يعجل يقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لى .. وأخرج البخارى ومسلم
وأبو داود وابن ماجه حديثاً عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل »
قيل: وكيف يعجل؟ يا رسول الله! قال: « يقول: قد دعوت الله فلم يستجب الله لى » .

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين فى كتاب الدعاء والذكر عن أبى هريرة وفيه أبو صالح
الخوزى وأبو المليح الفارسى قال الحاكم: حديث صحيح الاسناد .

وأخرجه الترمذى فى الدعوات باب ما جاء فى فضل الدعاء عن أبى هريرة أيضاً
(٢) أخرجه الترمذى فى الدعوات عن ثابت البنانى رسلاً (جمع الجوامع للسيوطى) .

وأخرجه أيضاً بلفظ ليس فيه ليسأله الملح لأهله عن أنس .

(٣) أخرجه الترمذى عن أنس فى الدعوات باب فضل الدعاء (حديث ٣٣٧١) وقال هذا حديث غريب

(٤) سورة غافر الآية ٦٠ والحديث:

أخرجه الترمذى وابن ماجه من طريق الأعمش عن زر بن عبد الله الهمداني عن يسع الكندى عن النعمان
بن بشير فى الدعوات عند الترمذى والدعاء عند ابن ماجه .

قَدْ حَنَّا النُّومَ جَفَنَ عَيَّيْنِي صَارَ لِي الطُّيْفُ غَيْرَ وَاصِلٍ
عَسَاكُمْ تَرْحَمُونَ صَبَاً مَا فَازَ مِنْ قُرْبِكُمْ بِطَائِلٍ
لَيْسَ لَهُ حَاصِلٌ سَوَى أَنْ الْعُمُرُ وَلِيَ بِغَيْرِ حَاصِلٍ

أَقْوَالٌ وَحُكْمٌ وَمَأْثُورَاتٌ

- حسرة الفوت أشد من سكرة الموت .
- أوجع الألم حرقه الندم .
- أشد العذاب فرقة الأحباب .
- ما طرق أسماع السامعين أقطع من : « اخسئوا فيها ولا تكلمون » (١) .
- لا أستر للعورات من لباس التقوى ، ولا أغنى للفاقات من القناعة والرضا .
- مجالسة العقلاء تزيد في العقل ، ومجالسة الجاهلين تزيد في الجهل ، ومخالطة المساكين تذهب الكبر .
- الترياق المحرب لزوم الاستغفار ، ووصل الحبيب اسم الترياق ، وقرية الأسير البعيد إطلاق .

فَدِينٌ لَا أُدِينُ بِهِ وَكَيْفَ يَسْلُوا عَنِ الْأَحْبَابِ عِشَاقُ
وَكَيْفَ يَحْمَدُ بِي سَلُو جَمَالَكُمْ وَيَبْنِي فِي الْهَوَى عَهْدٌ وَمِثَاقُ
قَلْبِ الْقَرِيحِ عَلَيْكُمْ حَشْوَةُ حَرَقٍ وَلَوْعَةُ وَصَبَابَاتٍ وَأَشْوَاقُ
لَا غَرَوَ أَنْ كَانَ قَلْبِي شَيْقَاقًا قَلَقًا قَلْبُ الْحُبِّ إِلَى الْأَحْبَابِ تَوَاقُ
إِنْ أَبْعَدُونِي فَأَهْلٌ لِلْعَبَادِ أَنَا وَإِنْ هَمُّوا قَرِبُونِي فَإِنَّ الْقَلْبَ مَشْتَاقُ

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٨ وهذا آخر كلام يقال للمعذبين المخلدين في النار .

الواجب على كل عبد أبعدَه المولى عن جنابه أن يعترف بذنبه لربه ،
ويعتقد أن البعد أولى به .

من كان مؤمناً بأن الله هو العليم الحكيم ، علم أنما أخره الله فحقه
التأخير ، وما قدّمه فحقه التقديم ؛ فالحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من
سوء المآل ، ونسأله الاستقامة فى جميع الأحوال ، وأن يبلغنا بفضله أشرف
المنازل ، إنه جواد مفضل .

* * *

المجلس السابع عشر كَلَامُ السَّلَفِ الْأَعْلَامِ

- في ذكر نبذة من كلام السلف الأعلام ، ففي كلامهم جلاء الهمهم وشفاء الأسقام :
- من أراد أن يسلم له دينه ويستريح قلبه ويدنه فليعتزل الناس ، ومن لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .
- من قله الصدق كثرة الخطأ ، ومن علامة الاستدراج الحمى عن عيوب النفس ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله .
- قلوب المغترين معلقة بالسوابق ، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم .
- من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه .
- من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه .
- ثلاث من كن فيه استكمل الايمان : من إذا غضب لم يخرج غضبه من الحق . . وإذا رضى لم يخرج رضاه إلى الباطل . . وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .
- وكان بعضهم يقول : اللهم ما عذبتني به من شيء فلا تعذبني بذل الحجاب .
- احذر أن تكون ثناء منشوراً ، وعيباً مستوراً .
- أمس أجل ، واليوم عمل ، وغداً أمل .

- حرامّ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع ، وحرام على عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذ المتقون إماماً .
- إليك أشكو بدنأ غُدِّي بنعمك ، ثم توثّب على معاصيك .
- المؤمن إذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .
- أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يهنأ .
- معاشر الفقراء . . إنما عرفتم بالله ، وإنما مكرمون لله ، فإذا خلوتهم به فانظروا كيف تكونون معه .
- علامة إعراض الله عن العبد ، أن يشغله بما لا يعنيه .
- الطريق إلى الله مسدود على الخلق . إلا على المتقين .
- أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .
- إذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضا ، فإن لم تجد للرضا سبيلاً فاستعمل الصبر ، فإن لم تجد فعليك بالتحمل .
- من علم أن الله هو الضار النافع ، أسقط مخاوف المخلوقين .
- اتقوا الناجد من العلماء ، والجاهل من العباد ، فإنهما فتنة لكل مفتون .
- يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه .
- إذا بكّت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم .
- إنما جمل كلام السلف في مذاق الأسماع ، وعظمت فيه البركة وحسن به الانتفاع ، لأنهم كانوا به عاملين ، وفي نشره مخلصين .
- اللهم . . فعمّنّا ببركة أعمالهم الصالحة ، وانفعنا بمقاصدهم الصادقة ، فهم القوم لا يضل من اهتدى بهداهم ، ولا يضيع من تمسك بعراهم .

كيف ضلّالي عن سواء السبيل وأنت لى في طريق سلاى دليل
يا فرحة القلب ويا منية الصّد ب ويا برد غليل الغليل
وصفك لا تبلغه مدحتى ففهمى بليد ولسانى كليل
كيف لى بصير جميل وقد حجت عن مرآى المحيا الجميل
مالي إذا غيّت عن ناظري غير مخيّى والبكاء والعويل
جد لى ولو بالطيف إن كان لى إلى غموض الجفن يوماً سبيل
وابذل ولو وعداً ولو نظرة فما قليل منك لى بالقليل

* * *

رب العزة أعظم فى صدور العارفين من أن يناجوه فى مخاطبتهم بأشعار
المتغزلين، ولكن ما خلا قلب من حرقة، ولا سلم مواصل من فرقة، وكل
مسلم له نصيب من محبة مولاه على قدر معرفته بما أولاه. فإذا ترم المنشد بما
يناسب أغراض المحبين، تحركت القلوب على قدر ما فيها من الشوق إلى لقاء
حبيب العارفين، وتحرقت النفوس حزناً على التخلف عن مرافقة الصالحين.

* * *

إلى متى أنت فى توانى تجرى إلى اللهو فى عنان
الموت حق لا ريب فيه مالك فى رفعة يدان
والبعث من بعده تراه فى غاية البعد وهو دانى
يوم يقوم العباد كل عليه فى الحشر شاهدان
إلى حساب قد سطر ته الأعلام يمليه حافظان
ثم يضم العباد بعد الحس اب فى الحشر منزلان
منزل خوف لا أمن فيه ومنزل الأمن والأمان

* * *

الإيمان بيوم القيامة لصدقه على أهله علامة التسارع إلى اكتساب الحسنات ، والتورع عن ارتكاب السيئات ، وانسكاب العبرات ندماً على مافات .

أيها المدّعي المحبة مهلاً أين آثار صدق ما تدّعيه
أين سفح الدُموع فوق خدود حذراً أن يفوت ما ترتجيه
أين وقد الأحشاء (١) شوقاً إلي ما كنت من لذة التواصل فيه
أين يذل المجهود في طاعة المحب ب من فعل كلما يرتضيه
تدّعي حبه ومالك من دعو اك غير المحال والتمويه
تدّعي الحب عارياً عن شهود حظه منه ما يقول بغيه

طالبوا أنفسكم بالصدق في دعوها محبة الله ، واصمدوا بكل وجوهكم
فيما يوجب إلى الله .
كل النعيم في التلذذ بمناجاة الله ، كل الراحة في التعب بخدمة الله ،
كل النجاة في تصحيح الافتقار إلى الله .
كل مطالب الدنيا والآخرة في خزائن غيب الله ، ومفاتيحها بأيدي رجال
لا نلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

(١) وقد الأحشاء : ألتهابها حرقة .

وحقُّ هَوَاهُ لَيْسَ لِي عَنْهُ مِذْهَبٌ
 يَقُولُ اجْتَنِبْ بَابِي وَلَا تَغْشِ مَرْتَعِي
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَاجَةً
 وَإِذَا لَمْ أَجِدْ مَعْطَى سَوَاكَ بِمَطْلَبِي
 عَذُولِي فِيهِ مَا أَرَى مَا رَأَيْتَهُ
 سَلَكْتُ سَبِيلًا مَا أَهْتَدَى لِسُلُوكِهِ
 وَكَيْفَ سَلَوِي عَنْ جَمَالِ مُحِجِّبٍ
 إِذَا دَارَتِ الْكَاسَاتُ مِنْ خَمَرِ حَبَّةٍ
 وَإِنْ زِمَزِمَ الْحَادُونَ لِلرَّكَبِ بِاسْمِهِ
 يَطِيبُ وَيُحِلُّو لِلْمُحِبِّينَ ذِكْرَهُ
 فَإِنْ قُلْتُ شَهِدًا فَهُوَ أَحْلَى مَذَاقِهِ
 سَأَلْتُكَ يَا حَادِيَ الرِّكَّائِبِ حَاجَةً
 فَسَلِّغْ سِلَاسِي مِنْ حَوْنِهِ قَبَائِلَهَا
 نَبِيُّ الْهَدَى شَمْسُ الْفَضْحَى قَمَرُ الْ
 مُحَمَّدُ الْخُتَارُ وَالْمَاجِدُ الَّذِي
 بَنَهَجَهُ كُلُّ الْأُتَمَةِ تَهْتَدِي
 هُوَ الصَّادِقُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ
 فَصَلُّوا عَلَيْهِ دَائِمًا فَصَلَاتُكُمْ
 وَأَكْثَرُكُمْ يَا أَهْلَ مِلَّةِ أَحْمَدٍ عَلَيْهِ

وَلَا لِي فِيهِمَا دُونَ لُقْيَاهُ مَطْلَبٌ
 وَهَلْ حَشَدٌ عَنْ رُوحِهِ يَتَجَنَّبُ
 فَكَيْفَ إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ أَذْهَبُ
 فَكَيْفَ سِوَى مَعْرُوفِ جُودِكَ أَطْلُبُ
 فَيَكْثُرُ مِنْ لُومِي عَلَيْهِ وَيَطْنُبُ
 فَأَعْجَبُ مِنْهُ وَهُوَ مِنِّْي يَعْجَبُ
 أَيَادِيهِ عَنْ كُلِّ الْوَرَى لَيْسَ يَحْجُبُ
 عَلَى كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ فَالْكَلِّ شَرِبُوا
 فَكُلُّهُمْ حَتَّى الرِّكَّائِبِ تَطْرِبُ
 فَلَا طِيبَ إِلَّا وَذِكْرُهُ أَطِيبُ
 وَإِنْ قُلْتُ مَاءٌ فَهُوَ أَصْفَى وَأَعْذَبُ
 إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينِيكَ يَشْرِبُ
 وَشَرَعْتَهُ فِي الْكَوْنِ تَمْلِي وَتَكْتَبُ
 هَدَى لِمَنْصِبِهِ فَوْقَ السَّمَائِينَ مَنْصِبُ
 إِلَى فَخْرِهِ كُلِّ الْمُنَاسِبِ تَنْسِبُ
 بِمُورَدِهِ كُلُّ الْمُورِدِ تَعْسِبُ
 فَمَنْ لَمْ يَجِبْهُ فَهُوَ فِي الْحَشْرِ يَنْدُبُ
 جَزَاؤُكُمْ فِيهَا عَلَى اللَّهِ وَاجِبُ
 لَهُ صَلَاةٌ مِنْهُ فِي الْحَشْرِ أَقْرَبُ

اللهم صل على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون ، وصلى عليه كلما
 تعاقبت الليالي والأيام ما دامت الشهور والأعوام ، وعلى صحبه السادة الكرام ،
 وسلم تسليماً كثيراً لا انقضاء له ولا انقصام .

موعظة مفيدة في تعليم القرآن الكريم

الحمد لله الذى جعل القرآن لقلوب أهل الإيمان ربيعاً ، فكل من لا يغذى القرآن فى الدنيا كان غذاؤه فى الآخرة ضريعاً .
لا يزال الإنسان صريعاً تحت الشيطان حتى يذكر الله ويتلو القرآن ،
فحينئذ يستوى الإنسان قائماً ويخسر الشيطان صريعاً .
فمن شاء أن يكون العدو عن لحاقه بطيئاً ، فليكن إلى الذكر والتلاوة سريعاً .

استظهر بشرب ترياق القرآن على سُم أفعى الشيطان قبل أن تموت لسقياه ؛ ما زال أبو البشر آدم ﷺ من سكنى الجنات فى حصن حصين ، حتى دخلت عليه الجنة وقد اختبأ فى فمها الشيطان اللعين ، فخرج على آدم من شدقها ذلك الكمين ، فضربة بقي من حرّها ألف سنة فى البكاء والأنين ، ثم لم يكن خلاصه وخلاص عشر العشر من ذريته إلا بكتاب الله الذى جاءت به المرسلون ﴿ وقلنا امبطوا منها جميعاً فيما يأتىكم منى هدى ممن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١)

متابعة الكتاب منقذة من العذاب ، وتعظيم الحرمات مخرج من الظلمات ، ورعاية الأدب رفعة فى الرتب .

لولا العلم لكان الإنسان بهيمة ، ولولا اللطف لكانت البلية عظيمة .
فاسألوا الله لطفه فى جميع الأحوال ، وليكن تعظيم القرآن منكم على يال ؛ فبوجود اللطف وعدمه سعد من سعد ، وشقي من شقي ، وبالتقصير لقي المقصر ما لقي .

(١) سورة البقرة الآية ٣٨ .

لا تسألوا عبدكم ماذا لقي
ليس عجيباً ما لقي بعد التوى
بل العجيب أن من فارقكم كيف
إذا توجهت إلى غيرك
إن السعيد من رجاء فضلكم
قد كان شملي كله مجتمعا
يا ليلتي ميت ولم أبق إلي
يا لائمي لو ذقت ما ذقت
ولو رأيت عيناك ما رأيته
عذرتي في قلقي ولمتني

من البكاء والأساءة والحررق
من الأنين والبكاء والأرق
حي من بعدكم كيف بقي
تعثرت بي قدمي في طريقي
ومن رجاء غيركم فهو الشقي
قيد بعيدتم آه واعرقي
أن ذقت طعم الهجر والتفريق
من الحنين والأنين والتشويق
من الجلا والجمال المونق
على بقايا ما بقي من رمقي

العجب ممن يسمع بصفة الجنة وهو مخلص إلى الدنيا ، وأعجب فيه
من صدق نعيم الحضرة ثم يعمل لجنة المأوى ، والعجب ممن يسمع نوازل
البلى وهو مخدر في دنياه منها ، وأعجب فيه خوفه الله بفضبه عليه ، واحتجابه
عنه ، ثم هو يخاف الجحيم واللظى .

كل عزيز وإن عز وجل ، فالله أعز منه وأجل ؛ وكل فائت وإن عظم
وكثر ، فهو بالنسبة إلى ما يفوت من الله أصغر وأقل .

حتى ميتي ذا القلب ساهي
 والنفس معرضة عن القبر
 إن الملاهي سـوف تر
 كم ذا تنافس في الحيط
 ما عذر من شاب العذار من
 إن قيل دغ عنك التكبر
 قد خالف القرآن في
 من كان لا ينهـاه
 العمـر منه قد وهـي
 فاصبر له فالأم هـاية
 عن كل ما مغنيـه لاهي
 أن سامـعة المـلاهي
 مي سامـعها بالدواهي
 أم وجمعه كم ذا ساهي
 ه وقبح سيرته كما هي
 قال أختي هدم جـاهي
 كل الأوامر والنواهي
 فعل القبـائح ذجـرناهي
 والدين أيضاً منه واهي
 وما أدراك ما هي

يا من سلب الملك الكبير ولم تشعر بسلبه ، يا من أمره ربه بالتوبة وهو
 مصر على ذنبه ، قد خلت صحيفته من الحسنات لما خلا صدره من تعظيم ربه ،
 وتخلت الملائكة عن نصرته فقد استحوذ الشيطان على قلبه .
 يا غافلاً عن ذكر ربه ، يا مغفلاً لصلاح قلبه ، يا من سباه عدوه يوماً
 ولم يسعد بسلبه ، هذا جزاء مقصر جهله في حق ربه .
 من رام خصالاً لا تحل فجائع الأعداء بجنبه ، فليعتصم بالله وليعمل على
 السكن بقربه .

العارف بركن الله في حصن حصين ، واللائذ بجناب الله في حرم
 أمين ، والعامل بكتاب الله متمسك بالعروة الوثقى والجبل المتين ، والمقاتل تحت
 لواء رسول الله مؤيداً بالنصر العزيز ، مضمون له الفتح المبين .
 حصن بحصن التقوى نفسك من أسباب الردى ، حصن التقوى حصن .

حصين، واستمسك بحبل القرآن في الشدائد كلها فكل جبل سوى هذا الجبل فهو غير متين . لله أهلون وهم جملة أهله ، وكل من لا يكرم أهل القرآن فهو مهين .

احذر تهين فقيراً	لأجل رنة هيئة	أكثر ملوك الجنة	في هيئة المسكين
متى أردت أن تعلو	قدرك وتعلو في الرتب	في حضر الله معظم	أهل الثقا والدين
ولا يغرك ذل الـ	فقير في دار الفناء	دار البقي هي داره	في العز والتمكين
ترى الفقير في الدنيا	كأنه طير حذر	وفي القيامة وافي	قرير عين أمين
خذ لك إبادي معهم	غدا ترى الدولة لهم	مقبل أحدهم وجاهه	عند الملك مستين
لا فخر كالفقير هذا	الرسول بالفقراء	مفخر وهو الذي	دفين في الطين
ومع جلاله قدره	دعا بأن يحيا هنا	مسكين ويقبر ويحشر	يوم مع المسكين

اللهم ارزقنا ما رزقت أوليائك وفقراءك ومساكينك من الاستغناء بك والافتقار إليك . وأكرمنا بما تكرمنا به من كرامة أوليائك يوم القدوم عليك ، يا كريم .

المجلس الثامن عشر

تفسير آية

الحمد لله . . وأنجح ما توصل به إليه المتوسلون إدامة حمده ، وأقرب ما تقرب به إليه المتقربون أداء فرضه .

من أدى فرائض الله فهو عبد الله حق عبده ، ولا يزال عبده يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه ، فإذا أحبه أدخله في حبه ، وأيده بجنده .

فسبحان من كل الخير في يده ، وذا الفضل من عنده ، إذا رقد فلا تسأل عن حسن حال عمر من رقد، وإذا طرد فيا كسرة القلوب من ذل طرده، وإذا حد حداً لم يسع أهل سمائه وأرضه تجاوز حده .

أُتْرَى أَفُوزُ بِنَيْلِ رَفْدِهِ أُتْرَى أَحُوزُ كَرِيمِ وَعْدِهِ
أُتْرَى يَمِينُ بِقَرْبِهِ مِنْ بَعْدِ بِلَوَاهِ يَمِينِهِ
يَا بَهْجَتِي بِوَصَالِهِ يَا وَدْعَتَنَا مِنْ ذِكْرِ صَدِّهِ
أَنَا عَبْدُهُ وَمَحَبَّتِهِ مَا شَاءَ فَيُلْصَقُ بَعْدِهِ

قد دلت الأدلة القاطعة على أن صرخة البين لأكباد المحبين قاطعة ، وإنما يحسن بوجعة فراق المحين أولو الألباب وأرباب القلوب .

فأما مَنْ نور الهدى عن بصيرته محبوب ، فكيف يعرف إعراض الرب عن المربوب ، فسبحان من كل أحد من خلقه إلى عطفه فقير ، وشكره واجب على القليل والكثير ، والجليل والحقير .

كل جليل وحقير في قبضته أسير ﴿ له ملك السموات والأرض يحيى
وميت وهو علي كل شيء قدير ﴾ (١)

يا واحدًا ميا له نظير	يا قاضياً ما له مشير
بذكره تشرح الصدور	بأمره تصلح الأمور
أحاط علماً فلا صغير	يعزب عن علمه ولا كبير
ما أحيد دونه غني	فكل من دونه فقير
ما أحيد دونه كبير	فكل من دونه صغير
إن نحن نلنا رضاه يوماً	فكل ما فاتنا حقير

أحمده وأشكره، وأحق عباده بمزيد فضله، الحامد الشكور، أَرْضَى
بقضائه، وأصبر على بلائه، وما ذاق العيش إلا الراضى الصبور.
وأشهد أن لا إله إلا الله العلى الكبير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى
أهل السهول والوعور، والشفيع المشفع يوم يتأخر عن الشفاعة كل مقدم
جسور، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من فى حضرته حضور،
خصوصاً على الشيخين الإمامين المفضلين، والصهرين المخلصين، والعمين
المبجلين، والسبطين الريحانيين الحسن والحسين، صلاة يتصل تكرارها بالروح
والبكور.

اللهم .. إذا قسمت فى عبادك الصالحين ما تقسمه من خير
الدنيا والآخرة، فاجعل لنا من الحظ الأكبر والنصيب الموفور، وبارك لنا فيما

(١) سورة الحديد الآية ٢ .

تحيينا له مدى الليالى والأيام والشهور والأعوام، إنما فائدة أقطرت البركات
لمدركيها أن تغتنموا بركتها بطاعة الله فيها، وكل من لا يعظم حرمتنا ولا
يراعها فقد حرم بركة مساعيه، يوم تعود على الفرقة الناجية بركات مساعيتها.

نستفتح بركة هذا المجلس الكريم، بتفسير آية من الذكر الحكيم: أعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله عز
وجل في كتابه المبين: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لئولم
يعلمون﴾ (١)

ما من مجعول إلا والله له جاعل، لأنه هو الخالق لكل صنعة وصانع،
وعمل وعامل! فلهذا قال: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره
منازل﴾ أى هو الذى أضاء الشمس فجعلها ضياءً بالنهار، وهو الذى أثار القمر
فجعله نوراً بالليل، فسواء ذا منازل لا يتجاوزها ولا يقصر عنها. ﴿المنازل﴾
هى الثمانية والعشرون منزلاً، المنقسمة عن اثنى عشر برجاً، قدر الله سبحانه
مسير الشمس والقمر فى تلك البروج والمنازل، لينتظم بمسير الشمس فيها أمر
الفصول الأربعة؛ ولولا تنقل الشمس فيها لم يكن للأرض صيف ولا شتاء، ولا
ربيع ولا خريف؛ ولولا اختلاف الهواء بتعاقب هذه الفصول لفسد نظام الحيوان
والنبات والمعادن، ولولا تنقل القمر فيها لفسد نظام الشهور القمرية، ومطالع
الأهلة، والبذور، والأقمار المسخرة فى الليالى الطوال الشتوية، القصار الصيفية،
وكم فى خلال تدابير ذى الجلال من حكم جليلة، وألطف خفية

(١) سورة يونس الآية ٥ .

الرب أسرارهُ خَفِيَّةٌ تعجز عن فهمها البرية
فى كل شىء مما تراه من صنعه من حكمة جليلة
ودون ما قد بدا أمور تخفى عن الفطنة الذكية
إذا عجزنا عن فهم أدنى حكمة أجسادنا الدنية
فكيف نرجو عرفان شىء من أمر أوصافه العلية

– قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ قال ابن العباس رضي الله
عنهما – يقول الله تعالى : لو جعلت شمسين ، شمساً بالنهار وشمساً
بالليل ، ليس فيها ظلمة ولا ليل ، لم تعلموا عدد السنين والحساب . قال
الكلبي : يعني حساب السنين والشهور والأيام والساعات .
– ثم قال تعالى : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أى لم يخلق الشمس والقمر
ومنازلهما إلا بالعدل ؛ لأنه هو الحق ، وكل ما جاء من عنده فهو الحق ،
وكلما صنعه وخلقته ودبره فهو حق . وقيل معناه : ما خلق الله ذلك إلا
للحق . أى لإظهار قدوته الخافية عليكم ، بإظهار صنعته البادية لكم ، وإقامة
الدلائل على وحدانيته عندكم ، ليقطع فى إشارتكم به عذركم .

كلما قد بدا وما هو خافى فى ثبوت التوحيد شافٍ وكافى
أى عذر لشرك وجميع الكون للشرك بالدليل نافي

ثم قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أى نبين الأدلة
للمستدلين على الصانع بصنعه .
فإن قيل : ما الحكمة فى تخصيص القمر بالذكر دون الشمس فى قوله

تعالى: ﴿قُدْرَةَ مَنَازِلَ﴾ ؟ فالجواب : أن القمر يقطع المنازل في كل شهر، والشمس لا تقطعها إلا في كل سنة ، فلما كان القمر أسرع منها في طي المراحل ، كان أولى منها بتخصيص الذكر في تقدير المنازل .

تبتغي الوصولَ يسيرَ فيه تقصيرُ
قد سارَ قبلكَ أبطالُ فما بلغوا
يا مدعيَ الحبِّ في شرعِ الغرامِ وقد
أفنيتَ عمرَكَ في لهوٍ وفي لعبِ
لو كان قلبُك حياً ذبت من كمدِ
لا شكَّ أنكَ فيما ردتَ مغرورُ
هذا وفي سيرهم جدُّ وتشميرُ
أقامَ بيئةً لكنها زورُ
هذا وأنتَ بعيدَ الدارِ مهجورُ
ما للجراحِ بجسمِ الميتِ تأثيرُ

يا من قد شغلت عن ذكر الشواغل ، يا من كلما أيقظته العبر فهو غافل ،
يا من في رتبة الطاعة ناقص ، وفي مرتبة المعصية كامل ، أما تستحي ممن سركَ
إليه صاعد ، وخيره إليك نازل : ﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً
وقدرة منازل﴾ ، أيامك تمر مر السحاب وأنت إلى البطالة جائع ، لا تضيف إلى
الموعظة من واعظ ، ولا تقبل النصيحة من ناصح ، وأنت عما قليل من سكان
الضرائع ، فما أنت قائل لمن لحقوقه منك مطالب ، وعن حقوقه عباده سائل ؟
﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدرة منازل﴾ ، لو عبرت قسرة
التبصرة والاعتبار لقطعت ثلث الطريق ، ولو اقتحمت عقبة الخشية والفرار
لخلصت من حلق المضيق ، ولو سلكت سبيل أهل اللجوء إلى العزيز الغفار
لوصلت مع أكرم رقيق إلى بلاد حسن التوفيق ، حتى تنظر إلي وجه من لا
يشاكله مشاكل ، ولا يماثله مماثل ، ﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً
وقدرة منازل﴾

هذه مزارع المؤثرين حرث الآخرة على حرث الدنيا ، فأين الزارعون ؟ . إنا .

لله وإنا إليه راجعون ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١).

والله لو أن العباد سمعوا هذه الآية كما ينبغي لهم أن يسمعوها ، لو كان
بينهم وبين الله بحار النار لخاضوها ، شوقاً إلى ما شوقهم مولاهم إليه ، من
لذة بهجة القدوم عليه .

كم قد أهللنا من شهر شريف الميقات ، ثم ينسلخ عنا ، ونحن من قشرنا
ما انسلخنا ؟

كم قدم علينا من موسم تُغسل فيه أوساخ القلوب بمياه العبرات ، ثم
يرحل عنا وما تطهرنا ، بل أتسخنا ؟ في مثل هذه الأوقات المباركة يتوب
المعاصي ، ويلين القلب القاسي ، وينشط العامل . ويتنبه الغافل . الحسنات
فيها مضاعفة لعاملها ، وأبواب الرحمة مفتحة لوالجئها ، وأبواب الخيرات
ميسرة لطالبيها ؛ من قرع فيها أبواب العطايا بأنامل الدعاء توشك أن تفتح في
وجهه ؛ ومن استمطر النوال بأكف الايتها فجدير أن تسح على أرضه ؛ ومن
رفع قصة السلوى إلى عالم النجوى فما أولى منح قصده .

مثل الأزمنة الكريمة المحترمة عند الله مثل السنين المخصصة للزارعين ،
والليالي المقمرة للمسافرين ، تخسف عنادها ، وتقل حركتها ، وتكثر بركتها ؛
فكذلك العامل لله في الأوقات والأماكن الشريفة ، تزكو أعمالهم فيها
أضعاف ما تزكو فيما سواها ؛ لأن الله سبحانه وتعالى اصطفاها على سائر ما
عداها ، يعطي ويمنع ما يشاء كما يشاء .

(١) سورة الفجر الآية ٢٧ - ٣٠ .

باب منه

إن أبلغ ما بلغه واعظ إلى موعوظ ، وأنفع ما هو بالألسنة ملفوظ ، وفي الصدور محفوظ ، كلام من كل شيء تحت قدرته مقهور ، برعايته ملحوظ : أعوذ بالله من الشيطان الرحيم . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما فى السموات والأرض وويل للذين كفروا من عذاب شديد * الذين يحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك فى ضلال بعيد ﴾ (١) .

— أما كتاب الله فيبين ليس فيه غموض ، وأما دين الله فهو متين لا ينهض به مخلوق حق النهوض ، فلم يبق لنا عذر في حق الجهل بمراد رب العالمين ، ولا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين ؛ فالواجب علينا أن نستغيث بمراحم العزيز الرحيم ، ونستشفع إليه بجاه نبيه الكريم ، الذي أذن له في إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجاب دعوته فله النظرة والسرور ، ومن تخلف عن إجابته دعا بالويل والثبور .

— قيل : الظلمات والنور هما : الكفر والإيمان . وقيل : الضلال والهدى . وقيل الشك واليقين .

— وقيل : ﴿ بإذن ربهم ﴾ أي بأمره ، وقيل بتوفيقه .

— وقوله : ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى الذين يؤثرون الفانى على الباقي ، لا يبالون ما نقص من دينهم إذ زادت دنياهم ، ولا ما فاتهم من رضى مولاهم ، إذا أدركوا من شهوتهم ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعصرون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (٢) .

(١) سورة إبراهيم الآيات من ١-٣

(٢) سورة الروم الآية ٧ ، ٨ .

تطالِبُنِي النَّفْسُ بِالْمُسْتَهْيِ وَتَنْسَى الْقِيَامَةَ وَالْمُنْتَهَى
وتَسْبِيحِي لِإِحْكَامِ عَهْدِ الْهَوَى وَعَقْدِ دِيَانَتِهَا قَدْ وَهَى
وَتَتْرَكُ صَحْبَةَ أَهْلِ النَّهَى وَتَصْحَبُ مِنْ قَدْسِهَا (١) أَوْ لَهَا (٢)
فَإِنْ دَامَ هَذَا التَّنَادِي بِهَا فَوَيْلٌ لَهَا ثَمَّ وَيْلٌ لَهَا

* * *

(١) سها: غفل .

(٢) لها: من اللهر وهو بمعنى اللعب .

ذكر بعض من كلام الرسول ﷺ في الاذكار والدعوات

إن أشقى الكلام لصدور السامعين ، بعد كلام رب العالمين ، كلام من كان نبياً وآدم بين الماء والطين .

* قال ﷺ : « أيها الناس لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم ، أو ترى له » (١).

* وقال : « إذا ركع أحدكم فيقل في ركعته : سبحان ربي العظيم ثلاث مرّات ، وذلك أدناه . وإذا سجد فليقل : سبحان ربي الأعلى ثلاثاً ، وذلك أدناه » (٢).

* وقال « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : يقول .. اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » (٣).

* وقال : « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة ، وهلل مائة تهليل ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن الكريم في الركوع والسجود من حديث عبد الله بن عباس قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر: فذكر الحديث بتمامه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود من حديث عون بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود .

والعمل على هذا عند أهل العلم : يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات قال الأستاذ أحمد شاكر معلقاً : وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ثقة وكان كثير الإرسال وعبد الله بن مسعود عم أبيه ورواه أيضاً البغوي في شرح السنة ونقل كلام الترمذي عليه وقال شعيب الأرنؤوط وهو منقطع كما قال الترمذي .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة عن أبي هريرة وأخرجه أحمد عنه أيضاً ٤٧٧/٢ والنسائي في السهو .

غفرت ذنوبه ، وإن كانت مثل زيد البحر» (١)

* وقال لرجل : « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرني من النار سبع مرات - قبل أن تكلم أحداً ، فإنك إذا قلت ذلك ثم قمت من ليلتك كتب لك جوار منها ، وقال : وإذا صليت الصبح فقل ذلك ، فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها » (٢) .

* وقال « من قال حين يصبح : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) لم يصبه في نومه فجاءة بلاء . ومن قالها حين يمسي لم يصبه فجاءة في ليلته » (٣) .

* وقال : « من قال إذا أصبح وإذا أمسى : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبيّاً ، كان حق على الله أن يرضيه يوم القيامة » (٤) .

* وقال : « من قال في دبر صلاة الصبح وثانٍ رجله قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير - عشر مرات - كتب له عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع عشر درجات ، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان

(١) أخرجه النسائي في التيسير بعد التسليم (٧٩/٣) ورجاله رجال الصحيح فقد روى لهم البخاري ومسلم إلا أن أبا الزبير المكي وهو محمد بن مسلم قال ابن حجر : يدلّس ونقل في التهذيب عن أحمد أن أيوب كان يضعفه وعن ابن أبي حاتم عن أبيه قال : يكتب حديثه ولا يحتج به كما فعل أيضاً توثيقه عن ابن معين والنسائي راجع الضعفاء الكبير للعقيلي وقال .

(٢) رواه أبو داود عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه بلفظه (٣٢١/٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح . ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة والمنذري في الترغيب (١٦٧/١) .

(٣) رواه المنذري في كتاب الترغيب بلفظه ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وابن حبان والحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد .

(٤) قال المنذري في الترغيب (٢٢٨/١) : عن أبي سلام محظور الحبش أنه كان في مسجد حمص فمر رجل فقالوا هذا خدام رسول الله ﷺ فقام إليه فقال حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم تتداوله بينك وبينه الرجال فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضينا بالله رباً إلا كان حقاً على الله أن يرضيه »

الرجيم، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم، إلا الشرك بالله عز وجل» (١)

وقال « من قال حين يصبح : « فسبحان الله حين قسوس وحين تصبحون » وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون » إلى قوله تعالى « وكذلك تخرجون » (٢) أدرك ما فاته في ليلته » (٣) .

أيها الناس .. احرصوا على درك ما فات، وهيئات أن يدرك الفات هيئات . كل وقت له وظيفة، فمن فاتته وظائف الأوقات ، فعمره كله فوات، ونعم الله عليه معرضة للآفات .

يا خارجاً عن حماننا بمن تعوضت عنا

جمع ما شطّ عنا قد حَفَّ بالآفات

لو كنت عاقلاً ما اعتضت البعد عنا بقرينا

عزى فؤادك فماذا يلقي من الحسرات

ارجع إلى ما كنّا عليه أوقات الصفا من

قبل أن تتمنى يقل لك هيئات

لا في شهور التصافي تصفرو ولا في غيرها

في أي وقت تصافي قد مرّت الأوقات

القلب ربّع التواصل إذا خلا من غيرنا قد

انقضى العمر والرّبع موحش العرصات

ما دام سؤلّك يُبذل من التواصل فاغتنم

ياربّ يوم تُسأل يقول سؤلّك فات

(١) قال المنذري في الترغيب (١٦٦/١) رواه الترمذي وقال :حسن غريب صحيح والنسائي . وزاده بيده

الخير وزاد فيه أيضاً « وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة ورواه النسائي أيضاً من حديث معاذ وزاد

فيه « ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته . قلت : وهو كما قال

(٢) الآيات من سورة الروم .

(٣) قال المنذري في الترغيب (٢٢٥/١) رواه أبو داود ولم يضعفه وتكلم فيه البخاري في تاريخه الكبير .

من أقوال السلف

العمر ثلج ، والأجل شمس ، ولا يزال حرها يشتد كلما دنت ، فهي تلتمس الثلج فلا عين ولا أثر .

العمر يذوب فافطنى يا نفسي ، ما أشبهه بثلجة في شمسي ، يومى يمضى كما يمضى أمسى ، يا رب أصبح وقد لا أمسى .

العجب ممن يدعي العقل والتمييز، وهو جاهل بنفاسة الوقت العزيز ، يفرح بريح الفانيات وهو مغبون، ويعد في عرف أهل الدنيا عاقلاً وهو عند أهل الآخرة مجنون ، كم ورع للعقل منا وهو مجنون ، يعتقد الريح وهو مغبون ، ويعد بين الحذاق منتقداً وكل ما في متاعه دون ، متبع للهوى وكل هوى قد ألحقت في هجائه نون . ترى جمعنا هذا من فطرته ذكية ، ترى بيننا من يفهم الإشارات الخفية ، ترى حفرنا شهم له همة عليه ، تحمله الأنفة من الرضا بالرتب الدنية .

لله ذرو نفوس تسمو إلى الرتب العلية ، قوم أيت لهم الدناة أنفس لهم أيبة ، لم يصممهم ما راق غيرهم من الدنيا الدنية ، رمقوا بأبصار القلوب معارج الرتب السنية ، فتعاهدوا عهداً تؤكد المواقف القوية ، ولا ينكلون عن الفوات بمهرفات مشرفية ، حتى تخلى عنهم العمى وأوجههم مضية .

قد شرحنا بعض شيء من أحوالهم فلندكر شيئاً من سديد أقوالهم :

— قالوا رحمهم الله : الفقر له حرمة وحرمة ستره والغيرة عليه ، فمن أظهره وبذله فليس هو من أهله .

— الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى .

— ما علت همته على الأكوان وصل إلى مكوئها ، ومن وقف مع شيء سوى الحق فإنه الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك .

- من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة .
- أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها .
- علامات الولي أربع :
- * صيانة سره فيما بينه وبين الناس .
- * وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله .
- * واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله .
- * ومدراته للخلق على قدر عقولهم .
- من استولت عليه النفس صار أسيراً في سجن الشهوات ، محصوراً في حكم الهوى ، فحرم الله على قلبه الفوائد .
- الحر عبدٌ ما طمع ، والعبد حرٌ ما قنع .
- الرئى جريء ، والخائف خائف .
- من كان يسره ما يضره ، متى يفلح ؟
- إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته ، فشغلهم بخدمته ، إلا شارب بكأس العارفين ، إلا مستيقظ من رقدة الغافلين ، ستقدم فتعلم ، ويكشف فما دريت ولا بليت .
- يا ليت شعري .. ما اسمي عندك يا علام الغيوب ؟ وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟ ، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب .
- من عرف الله لا يكون له غم .
- إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذاقيرها ، فانظر إلى مزيلة فهي الدنيا ؛ وإن أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منه خلقت ، وفيه تعود ، ومنه تخرج ؛ وإن أردت أن تنظر ما فيك ، فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء ؛ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز له أن يتناول ولا أن يتكبر .

— ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسّها ، وليس للجاهل من معرفة الله إلا ذكره باللسان .

— من نقر على الناس قلّ أصدقاؤه ، ومن نقر على ذنوبه طال بكأؤه ، ومن نقر مطمعه طال جوعه .

— احذر أن تخصم من إذا نمت كان منبهاً . . معناه : لا تعادى أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون ، فربما دعوا عليك ، فاستجيب فيك وأنت لا تشعر ، واحذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر .

يدعو عليك وأنت في	غمض رب العرش ناظر
لوبيت في حضن سـمـا	في الجـو لا يعلمه طائر
من حـنـولـه الأبطال في	أيديهم البيض البـواتر
وعليك أدرعة الحديد	وحولك الأسد الكواسر
وداعيا عليك مظلوم لم	يلق غير الله ناصر
لأصاب سـهـم دُعائه مـنـنـ	ك الفؤاد وأنت صاغر

دعوة المظلوم

كثيراً ما يستهين الناس بالظالم ، وينسون يوماً يأخذ فيه الله من المظلوم للظالم ، لا سيما الغيبة ، فأنها من أربا الربا وأغث المطاعم .

هل فينا من تحلل خصماءه ؟ هل فينا من أرضى غرماءه ؟ ما قدرنا الله حق قدره ولا فرقنا بين حلو العيش ومرّه ، كأنك بالزراع وقد حصد زرعه ، فطوبى لاهل العبادة والتقوى والورع .

لَمْ يَنْزِلْ لِلزَّرْعِ مُزْدَرِعٌ إِلَّا التُّقَى وَالزُّهْدُ وَالسُّورُوعُ
وَعِبَادَةٌ فِي سَنَةِ خَلَصَتْ لَيْلَهُ لَيْسَ يَشْهَوُ بِهَا طِمَعٌ
وَهِيَ أَرْبَعٌ إِنْ أَنْتَ قَمْتَ بِهَا خَلَعْتَ عَلَيْكَ مِنَ الرِّضَا خَلَعٌ

أربع من مهمات المطالب

أربع من مهمات المطالب ، لا ينبغي أن يهتم بغيرها الطالب حتى يحوزها
قبل كل مستحب وواجب :

المطلب الأول : التقوى وهي : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم .

الثاني : الورع ، وهو : تحرير مقام التقى بترك المحرمات والمشتبهات التي تدق
وتخفي .

الثالث : الزهد ، وهو : ترك ما ليس إليه ضرورة ، ولا فيه عند أهل الله
مصلحة .

الرابع : العبادة ، وهي : استعمال القلب والجوارح في الخدمة .

فكل طالب طلب أن يعد من الرجال ، بدون إحكام هذه الخصال ، فهو طامع
في نيل ما لا ينال .

مَنْ رَجَا أَنْ يُنَالَ مَا لَا يُنَالَ فَمَحَالُ رَجَائِهِ وَضِلَالُ
لَا يُنَالَ الْعُلَى بِغَيْرِ عَنَاءٍ مِنْ رَجَائِهَا بِرَاحَةٍ مُحَالُ
سَرَتْ زَحْفًا إِلَى الْمَعَالِي وَقَدْ أَرَحَتْ إِلَيْهَا الْأَعْنَةُ الْأَبْطَالُ
مِنْهُمْ الْجَائِزُ الْمَرَامُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَتْ دُونَ قَصْدِهِ الْآجَالُ
كَنتَ أَرْجُو بِهِمْ لِحَاقًا فَخَافْتَنِي الْمَعَاصِي وَخَانَتِ الْآمَالُ
رَبِّ فَاجْبِرْ كَسْرِي بِمَا لَمْ تَزَلْ أَهْلًا لَهُ يَا جَوَادُ يَا مَفْضَالُ

أوجع حسرات المحرومين

ثلاثة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسين :

*عبد كان يرجو الوفاة على الإسلام ، فأدركه عند الموت سوء الخاتمة .

* وعبد كان يرجو التوبة ، وهو مصرٌّ على الخطيئة .

*وعبد يرجو اللحاق بأولياء الله ، فحرمته المقادير بلوغ ما رجا .

حُرِّمْتُ مُقْلَتِي طَيْبَ الرُّقَادَى وَحَلَّتْ بَيْنَ خُدَيَّ وَالْوَسَادَى
أُرِيدُ الْقُرْبَ مِنْكُمْ تَبَعْدُونِي وَأَنْتُمْ قَسَادِرُونَ عَلَى مُرَادَى
وَحَقُّكُمْ لَقَدْ أَسْلَفْتُمُونِي بَطَرْدِي عَنْكُمْ شَرَّ الْبِلَادَى
فِيَا حَسْرَاتَ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي وَيَا حَرَقَاتَ مَا يَغْشِي فُؤَادَى
قَلَاكُمْ قَدْ شَفَّ بِالْإِسْلَامِ لَحْمِي وَخَالَفَ بَيْنَ جَفْنِي وَالسُّهَادَى
وَشَرَّدَنِي عَنِ الْأُوطَانِ حَتَّى بَقِيتُ مَهِيماً فِي كُلِّ وَادَى
وَكَيْفَ يَقْرُءُ مَهْجُورٌ قَضِيَّتُمْ عَلَيْهِ بِالصُّدُودِ وَبِالْبِعَادَى
مَحَبٌّ لَمْ يَطْعَ فِيكُمْ عَذُولًا وَلَمْ يَسْمَعْ وَشَايَاتِ الْأَعَادَى
وَيَطْلُو سِرُّكُمْ عَنْ كُلِّ حَيٍّ وَيَنْشُرُ ذِكْرَكُمْ فِي كُلِّ نَادَى
فَلَوْ حَدَّثْتُمُوهُ مَا سَلَا عَنْ مَحَبَّتِكُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادَى

فَدَتَكُمُوا أَجْبِرُوا كِسْرَى وَفَقْرَى وَلَوْ أَنَّ تَمَنُّوا بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّقَادِي
عَسَى طَيْفٌ يَلُمُّ فَإِنْ طَرَفِي إِلَى رُؤْيَاكُمْ فِي النَّوْمِ صَسَادِي

* * *

المجلس التاسع عشر

تفسير آية من سورة التوبة

الحمد لله .. الذي ما علت أقدار عبادہ إلا بتعظیم حرمانه وشعائره، ولا حظى بولاية أهل العرفان إلا بالتوبة إليه من ركوب العصيان وكبائره وصغائره .
فذلك العبد هو الذي دلت استقامة ظواهره على استنارة بواطنه ، وأشرقت بواطنه على صفحات ظواهره .

لكل ذي نسب حسيب ، من شرف نسبه نصيب ، ولا كشراف أنساب المتقين ، ولكل ذي تقى على ثقه ثواب ولا كثواب المعظمين لحرمان الدين ، يعظمون حرمة الزمان والمكان ، وكلما ينسب إلى الملك العظيم الشأن .

أحمدته على ما أرانا من واضحات قرب المناسك ، وأنقذنا من غامضات حفر المهالك ، حمد معترف بأنه لمقاليد السموات والأرض مالك ، ليس له فى مثقال ذرة من جميع الممالك ، قسيم نازعه ولا مشارك .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، أغلى علم يقينها من علم القياس

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الجنة والناس ، صلى عليه وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس ، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس ، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس ، خصوصاً على الخلفاء الأربعة الذين شيدوا أساس الدين على أقوى أساس .

كم لله من عتقاء كانوا فى رق الذنوب والإسراف ، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعز الطاعة من الملوك والأشراف ، أكرموا مولاهم أن يراهم حيث أراهم ، فأفادهم ذلك التعظيم والاحترام ، جلالة وكرامة عند ذى الجلال .

سَلَامٌ عَلَيَّ أَهْلَ دَارِ السَّلَامِ سَلَامٌ مَشُوقٍ بَرَاهِ السَّقِيَّامِ
يَبِيتُ يِرَاعِي نَجْمُومَ الدُّجَا كَأَنَّ الرَّقَادَ عَلَيْهِ حَرَامِ
وَكَيْفَ يَلْدُ الْكَرَى مَغِيرِمْ يَذُوبُ احْتِرَاقاً بِنَارِ الْغَرَامِ
يَظِلُّ مِنَ السَّمْعِ فِي لُجَّةِ وَمَنْ وَقَدَ نَارَ الْأَمْسِ فِي ضَارِمِ
فَاتَ عَنْهُ دَارُ أَحِبَّابِهِ شَمُوسُ الضُّحَى وَبَدُورُ التَّمَامِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ حَزْبِهِمْ فِي حِمَى وَأَصْبَحَ مِنْ نَاصِرٍ فِي حِمَامِ

* * *

تفسير آية من القرآن المجيد

نستكمل بها بركة الوقت السعيد ، قوله تعالى :

﴿ إِنِ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

كان الكفار بجهلهم عن أحكام الدين ، وتكبرهم عن متابعة المرسلين ،
يتصرفون في شهور السنة بتقليب أحكامها ، وتحويلها عن مكانها ، بتحريم
حلالها ، وتحليل حرامها .

فأعلمنا سبحانه أن تصرفهم مسوق بما سطرت في الألواح والأقلام ، قبل
خلق الليالي والأيام . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي في اللوح
المحفوظ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : في الإمام الذي عند الله ، كتبه يوم

(١) سورة التوبة الآية ٣٦

خلق السموات والأرض .

وأما [الأربعة الحرم] : فهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب
فيجب على العبد المسلم أن يكون بفضلها عارفاً ، وعلى تعظيمها عاكفاً ،
ولمضاعفة ثواب الله فيها راجياً ، ومن مضاعفة عقاب المعاصي منها خائفاً .

لما قُـدِّ حُمُّ من واقبي	شَمَرُوا للحرب عن ساقٍ ما
ليس تَبْقَى مِنكُمْ باقي	إن كُـأْسَ الموتِ دائِرةٌ
كل حَيٍّ حَتْفُهُ لاقبي	والمنايا للفتى رصِيدُ
واكشِفُوا للحرب عن ساقٍ	فـابْذِلُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ
كجُروحِ فَبُوقِ أُمِّاقبي	إنما هذا العَمْدُ لَكُمْ
غَيَّرَ ذِكْرُ الله تَرياقَ	لَسَعَةِ الشَّيْطَانِ ليس لها

ثم قال تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أنه تعالى مع أوليائه الذين يخافونه
فيما كلفهم من أمره ونهيه .

وقال الزجاج : إنه تعالى يريد أنه ضامن لهم النصر والتأييد ، وهم قوم لم
يزالوا معه بالعبادة والتوحيد ، وكيف لا يرفع الله أقدارهم وهم الذين لم تزل
كلمة التوحيد بجهادهم مرتفعة ، كيف لا يقيم الله الوجود في خدمتهم وهم
الذين لم يزالوا قائمين في خدمته ، إن وجههم في أمر توجَّهوا إليه ، وإلا لم
يزالوا في حضرته يحضون إلى لقائه كما يحن المشتاق إلى قرب الديار ، وينيبون
إلى ذكره كما تنيب النسر إلى الأوكار ، وإذا ترنم الحادي باسمه هتاك

عن قلوبهم الأستار ، وأى محب يسمع باسم حبيبه ثم يقر له قرار .

مِشْشَوْقٌ لَا يَقِيرُّ لَهُ قَرَارُ	وَكَيْفَ يَقِرُّ وَقَدْ نَأَتْ عَنْهُ الدِّيَارُ
إِذَا ذَكَرَ اسْمَ مَنْ يَهْوَاهُ يَوْمِيًّا	يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْهُ يَسْتَتَارُ
وَمَا فِي مَوْتٍ صَبٍّ مُسْتَهَامٍ	إِذَا ذَكَرَ اسْمَ مَنْ يَهْوَاهُ عَارُ
تَرِنٌ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى لِسَمْعِي	جَهَاراً فَأَعَذَّبَ الذِّكْرَ الْجَهَارُ
وَبَرْدَ بِاسْمِهِ حَرَّقِي فَإِنْ	اسْمُهُ بَرْدٌ وَحَرُّ الشُّوقِ نَارُ

أهل المحبة ولواعج الاشتياق

لا يزال بين جوانح المحب لواعج الاشتياق ، فإذا ذكر اسم الحبيب برد بعض ذلك الاحتراق ، والهجر سم قاتل والوصل ترياق .

مَا يَسْمُ الْهَجْرَانُ مِنْ تَرِيَّاقٍ غَيْرِ وَضَلٍ يَرُوي صَدَى الْمَشْتَاقِ
لَوْ وَجَدْنَا إِلَى الْوَصَالِ سَبِيلًا لَسَقَيْنَا إِلَيْهِ بِالْأَحْسَادِ
اقْتُلُوا عَبْدَكُمْ فِيْ قَتْلِهِ رَاحَةً مِنْ لَوَائِحِ الْأَشْشَوَاقِ
أَيُّ عَيْسٍ لِمَنْ يَفَارِقُ الْفَأْ أَلْفَ مَوْتٍ وَلَا قَلِيلَ فَسَرَّاقِ

السالكون على قدم أهل المحبة يختارون الموت على الهجران ، والعاملون

على طريق أهل الخشية يؤثرون عذاب النار على ركوب العصيان ، وأهل المعرفة
بالله بما هو أهله مشغولون به عن نصيبهم منه لا يرون الاشتغال بشيء سواه
هم في ذلك يعظمون الحرمات والشعائر ، ويتقون كبائر الذنوب والصغائر ،
ويوفون الأدب في سياسة الظواهر ، وحراسة السرائر وقلوبهم معلقة بمن لا
تدركه الأبصار ، ولا تكفيه البصائر .

* * *

لورق لي سَكَّان حـاجـرٍ	لم تقرح الدمعُ المحـاجـرُ
لاغرو أن هـجـر الكـري	صبأ له المحبوب يقاخر
مالي	وأنت يا مولاي للمكسور جابر
هَبْ أن عـبـدك قـد أتى	كل الكبائر والصغائر
أنت الذي سَمِيتَ نـفـسك	في صريح الذُكـر غافـر

* * *

يا مصرًا على الذنوب ، أما آن لك أن تتوب . يا غافلاً عن ذكر مولاه إلى
متى أنت محجوب .
كم قد أهللت من شهر حرام ، وهمله إلى الحرام منصوب . ليس في
صدرك من خشية ربك ما ينبغي أن يكون للرب في صدر المريب .

* * *

روح القلب بذكر الحبيب	والسقيمي فيه من طيب
هو أنسي هو راحة قلبي	هو روعي هو مفرج الكرب
هبت الريح جنوباً فأهدت	لي من ذكركم روح القلوب
لذتني منه فلا أزال الدهر	أرتاح لريح الجنوب

كَلَمَّا نَسَبَ إِلَى الْجَنُونِ فَهَوِجُونِ وَكَلَمَّا أَدَى إِلَى الْمَطْلُوبِ مَطْلُوبِ
جَمِيعِ الَّذِي يَعْزَى إِلَيْكُمْ وَيَنْسَبُ عَلَى كَرِيمٍ وَهُوَ عِنْدِي مَجْسُوبِ
جَنُونِي غَرَقْتَهُ بِانْسِفَاحِ مَدَاعِمِي وَقَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا تَتَقَلَّبِ
إِذَا كَانَ هَجْرِي مَدْنِيًّا مِنْ رِضَاكُمْ فَهَجْرَكُمْ عِنْدِي مِنَ الْوَصْلِ أَطِيبِ

الرضا عن الله لازم لكل مخلوق ، ولو حمله الله ما لا يطيق ، لأنه
سبحانه لا يقضي إلا بالحق ، ومن لا يرضيه الحق فهو بالغضب والعقوبة محقوق
سخط المقدور يزيد في المحذور ، ومنازعة القضاء تزيد في الشقاء ، والتواضع رفعة ،
والياس راحة ، والإساءة وحشة .

إذا استحوذت الغفلة ، فقد استحكمت الشقوة . كراهية العبد لقاء الرب
دليل على ألا خبية بينه وبينه . . .

أفضل العبادة صحة الارادة . أعرف الخلق بالله أقربهم منه ، وأطوعهم له
أعرفهم به . العبادة بغير معرفة ، كسير على غير جادة .
لو انتبهت من رقادك ، لوصلت إلى مرادك ، ولو أيقنت بمعادك
لاستكثر من زادك .

أَيْنَ مِمَّا أَعْدَدْتَ مِنْ زَادٍ قَدْ حَدَا بِالْأَيْتِقِ (١) الْحَادِي
مَا بَقِيَ إِلَّا الْقَلِيلُ وَقَدْ جَدَّ سَيْرُ الرَّائِحِ الْغَادِي
فَتَأْهَبُ لِلْمَسِيرِ إِلَى دَارِ قَوْمٍ سَكَنَ بِالْوَادِي
وَارْتَقَبَ مِنْ بَعْدِهَا سَفَرًا ثَالِثٌ يَحْدُونَهُمْ حَادِي
لَا يَزَالُ السَّيْرُ يَزْعَجُهُمْ بَيْنَ إِصْبَاحٍ وَإِيرَادِي
فَإِذَا تَمَّ السَّرَى نَزَلُوا فِي خُلُودٍ خَلْدًا وَأَيَادِي
هَذِهِ مَوَاسِمُ الْأَرْبَاحِ قَائِمَةٌ ، فَهَلْ مِنْ رَابِحٍ فِيهَا رِضَا مَوْلَاهُ ؟ هَذِهِ نَعْمَ اللَّهُ

(١) أى بالنوف جمع ناقة والحادي هو الذي يغني للركب فينشط ..

سابقة فهل شاكر لله على ما أولاه؟ كم من مؤمل بلوغ ما بلغتموه من الصحة والفراغ والمهل ، قبل أن يبلغ عرى العافية الانفصال ، ومجنح شمس الحياة الى الظل ، ويقول القائل : مالي لا أرى فلاناً ؟ فيقال انتقل

سروري سرى واصطبراري رحل	وقد رغبتم نجم بعدي أفل
وضاقت بي الأرض من بعدكم	تنكر لي سهلها والجبل
وما كنت أحسب أن البعاد	سلع قلبي فها قد قتل
وكنتم أوامل لقياسكم	فمزر علي بلوغ الأمل
فلا تسمعوا قول من قد وشاكم	لم أطع فيكم من عزل
ورقوا لمن قد براه السقام	فلايبق في عدكم محتمل
وإن كان في الحب لي من	زلة فما زلتموا تغفرون الزلل

تعالى الله ، وما أجل ذكره في أسماع المحبين ، من علو شأنه في قلوبهم ، يزجرون نفوسهم عن دعوى حبه ، وهم يعلمون أن حبه أقرب الوسائل المدنية من قربه ، ولكن لمعرفتهم به علم أن مهوور محبته غالية على قدرهم ، فأمسكوا عن تعاطي المحبة وهم يعلمون أن رتبة الحب فوق كل رتبة .

حالتي تقتضي اعترافي لربي	بذنوبي لربي وافترقاري
سوء حالي اقتضى رضاي بإذني	ما عسى أن يجبر الكساري
أرجحي العفر والوفاة على	الإسلام والعشق من عذاب النار
آيسيتني الذنوب من كل مجد	بد وسناء ورفعة وفخار
منما لمثلي أن يدعي حب ربي	إنما الحب رتبة الأطهار

كان ابن الجلا رحمه الله عليه إذا سئل عن المحبة قال : مالي وللمحبة ،

أنا أريد أن أتعلم التوبة . إذا ادعت نفسك محبة الله فطالبها بصفات محبته ، لتعلم أصادقة هي أم كاذبة فيما تدعيه . إن أيسر ما يكرم الله أهل محبته ، لتعلم خوارق العوائد ، ويطلعهم على أسرار الخلائق ، حتى تكون عليها كشاهد .

كان جماعة عند الحريري فقال : هل فيكم من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثاً ، أبدى علمه إلى وليه قبل إبدائه في كونه ؟ قالوا : لا فقال مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا ، لما أكرموا سولاهم أن يراهم حيث نهاهم ، صافاهم ووالاهم ، ولمولاته ارتضاهم . وكيف لا يرتضيهم وقد أطاعوه ؟ وكيف لا يطيعونه وقد عرفوه ؟ .

سئل الشبلي عن : أي شيء أعجب ؟ قال : قلب عرف ربه ثم عصاه ، إنما كانت معصية العارف من العجب العجيب لأنه من الجناب العزيز قريب ، وعليه من الله في كل حال رقيب ؛ فهو لقربه من الله كأنه يراه ، أما العين محجوبة ولكن القلب يتملأه .

دخل على الشبلي جماعة في داره وهو بهيج ، ويقول : على بعدكم لا يصبر من عادته القرب ، ولا يقوى على حجبكم من قيمة الحب ، فإن لم ترك العين فقد يبصرك القلب . لما أدخلوا له القلوب مما سواه أضاءت قلوبهم وإن كانت لا تراه ، كأنها تراه . ولأجل ما هم فيه من مقام القرب واقفون ، ومن عظمة ربهم خائفون ، طالبوا بها الناس به مسامحون . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بلال القى الله فقيراً ، ولا تلقه غنياً » قال : يا رسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : « هوذاك ، وإلا فالنار » (١) .

أصحاب العناية مطالبون بما لا يطالب به المهملون ، والمقربون يناقشون عليهما تسامح به المتعبدون ، لأنه سبحانه اصطنعهم لنفسه ، وجعلهم جلساءه في حضرة قدسه ، فكيف يسامحون في الإخلال بحسن الآداب ، وبحسن الأدب

(١) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين صحيح البخاري وصحيح مسلم (٣١٦/٤) ولفظه « يا بلال اتق الله فقيراً ولا تلقه غنياً . قال قلت كيف لي ذلك يا رسول الله قال : « إذا رزقت فلا تخبأ وإذا سئلت فلا تمنع قال : قلت وكيف لي بذلك يا رسول الله . قال : هوذاك وإلا فالنار » .

استحقوا ساميات الرب. لما استشفعت الخليقة بسادات المرسلين يوم القيامة، تأخر آدم بسبب الشجرة التي نهى عنها وهي خطيئة قد غفرت له، وقد تاب منها وتأخر نوح بالدعوة على قومه، وما أراد بها إلا هلاك أعداء الله، تطهير الأرض والبلاد، وإراحة العباد. وتأخر الخليل بالكذبات الثلاث، وكلها كانت في ذات الله وطلب مرضاته. وتأخر الكليم بالنفس التي قتلها، وإنما كان المقتولك افراباغياً، أراد كليم الله كفته ولم يتعمد قتله، وكان في ذلك الوقت من أهل النبوة والرسالة وتأخر المسيح خجلاً لما قالت النصارى فيه، وذلك ذنب ماجناه ولا ارتضاه علموا أن مقام الشفاعة مقام لا يسامح، تقدموا إليه فناقش كل منهم نفسه بأدق ما يلزم ويجب عليه، كلما بلغوا من القرب والأنس مقاماً ازدادوا لله إجلالاً وإعظاماً .

كلما زادني اقتراباً ووداً زاد قلبي له اجتراماً مجداً
وإذا زاد بالتواصل يوماً خفت أن يعقب التواصل ضداً
كم قريب قد أهمل الخوف فاعتاض به
ومدل على الأحبة جازوه بإهماله من القرب بعدا
ويخافوه بعد أنس ولطف ثم بإدلاله انتـهـاراً وطردا
قدوا له من الهجر مدداً

أطول الناس حسرة، وأوجعهم كسرة، عبد قربه مولاه، ولاطفه وصافاه، فعزه ذلك الأنس والاقتراب، فأحل بما يلزمه من محاسن الآداب فنفضته يد الإنكار نفضة إبعاد، فأصبح مطروداً إلى يوم التناد .

يا لها حسرة ليوم البعاد
يا لها صيحة أطارت فؤادي
بدل الوصل بالصدود وقرب
ما قلبي موالياً لهميومي
ما لجسمي ملائماً لنجولي
ليتنني مت قبل ما ذقت
لا تلمني على افتضاحي فقد
كم ترى فتت من الأكبادي
كم نرى أشتت من الحسادي
الديار بلبعد والكرى (١) ، والسهادي (٢)
ما لـنسي معادياً لمهادي
ما لجفني منافراً لرقادي
من الهجر والنبى (٣) والبعادي
باحث دموعي بما أسر فؤادي

* * *

(١) « الكرى » النعاس .
(٢) « السهاد » : الأرق .
(٣) « القلى » شدة البغض .

أحوج الناس إلى صحبة المعلمي بين

- أحوج الناس إلى صحبة المعلمين ثلاثة رجال .
- رجل يطلب أن يكون من وزراء السلاطين .
- ورجل يطلب العلم ، ليصير به من أئمة الدين .
- ورجل يطلب العبادة ، ليتوصل بها إلى مقامات المقربين .
- لأن من صحب السلطان بغير تأدب بأهل ذلك الشأن ، لم يأمن أن يكون حتفه في سقطة من سقطات اللسان . ومن لم يتأدب بعلمه بآداب العلماء ، لم يأمن أن يكون حتفه في بعض أدوية ضلال الآراء .
- ومن تعبد من غير مداخلة لأولياء الله لم يأمن أن يتبع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله .

* * *

من يكن شيخ نفسه في الطريق لم ينل رتبة من التحقيق
لا يتم السلوك في الطرق إلا بخفيرو ومرشد ورفيق

* * *

- قطاع الطريق على أرباب السلوك أربعة :
- كافر مطاع يشكك في الله .
 - ومبتدع يزيغك عن سنة رسول الله .
 - وفاسق يجرؤك على معاصي الله .
 - وغافل ينسيك صحبة ذكر الله .

* * *

إذا ما عزيت السيّر في نيل متجير يكون له من صفقة الرّبح حاصل
فأربعة لا تسلك سبيلهم كسفور وبدعي وعاصر وغافل

* * *

هذه نصيحة أهديها إليك ، فامسكها بكتلي يديك ، وعض عليها
بناجزيك ، تتم بها نعمة الله عليك . اللهم . . وفقنا لمحائبك منا ، وارزقنا
عملاً صالحاً زاكياً ترضى به عنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا ، في لطف منك
وعافية ، يا أرحم الراحمين .

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه ، وسلم تسليماً
كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

المجلس العشرون

الإسراء معناه وأسراره

الحمد لله : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ (١)، مثير السحاب بالرياح ، من مثارها ، ومدير الأفلاك على الأقطاب في مدارها ، فلا تأثير إلا وهو مثير ، ولا دائر إلا وهو له مدير، دبر فأحكم التدبير ، وقدر فأبرم التقدير .

من استرحمه فهو له راحم ، ومن استنصره فهو له نصير ، ومن استغاثه فهو له مغيث ، ومن استجاره فهو له مجير ، ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ (٢) ، ويكلاً عباده بالليل والنهار، ولا يأخذه نوم ولا سنة، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بتدبير ما أتقنه وأحسنه، فله الحمد على حسن التدبير في مجاري التقدير .

في بابه يُجْبِرُ الْكَسِيرَ	ويُطْعِمُ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ
ليس عليه مجبر خلق	وهو علي خلقه جبير
علم محيط فلا صفير	يغرب عنه ولا كبير
لكل أقوالنا سميع	لكل أعمالنا بصير
إذا ابتلينا فهو المعاني	أو نحن خفنا فهو المجبر
وإن مرضنا فهو المداوي	وإن أسأنا فهو الغفور
إحساننا عائد علينا	وهو لنا مبادح شكور

(١) سورة غافر الآية ٣.

(٢) سورة المعارج الآية ٤

سبحان من يشكر المحسنين على إحسانهم، وإنما إحسانهم من إحسانه

سبحان من تعامله العباد بعصيانهم، ويعاملهم بغفرانه.

سبحان من لولا حلمه لعاجل العاصي بالعقوبة قبل توبته من عصيانه،
ولكنه يمهله ما دامت الروح في جثمانه؛ فإن تاب قبل موته تلقاه بمغفرته
ورحمته ورضوانه؛ وإن مات مؤمناً بربه تلقاه بمغفرته، وإن مات مؤمناً بربه مصراً
على ذنبه أنقذه من النار ولو بمثقال ذرة من إيمانه .

ولا يهلك على الله إلا طاغٍ مستمر على طغيانه، لأنه تعالى أرحم بعبيده
من الوالد بولده في عطفه ولطفه وعنايته بصلاح شأنه .

أحن إلي رفك العقيق وبيانه	فهل عائد لي ما مضى من زمانه
ليالي أرعى روض وهل سخت به	يد الدهر من إحسانه وحسانه
يمكنني مما أحب فأجتني	ثم بار مني إمكانه ومكانه
وأمنتني إذ ذاك من روعة الورى	فعمشت زماناً واثقاً بأمانه
إلى أن قضى ربى بذلى وشقوتى	وكل قضاء مصير لأوانه
فجرعت مر العيش من بعد حلوه	وعوضت من إكرامه بهوانه
وها أنا لا أرجو سوى أن سيدى	يعود على فقرى بفضل امتنانه
ويجبر منى كل كسر بنظرة	أعيش بها طول المدى فى حنانه

تبارك الله، ما أروح نسيمات الارتياح إليه ، وما أشجى حنين المتلهفين عليه، وما أبرد مصافحة استشعار الرضا عنه ، وما ألد العيش في بلاد الدنو منه . وكيف لا ، وهو المنتهى في نعوت الجلال والجمال ، وليس وراءه مرمى في شيء من صفات الكمال .

أحمدته على كل حال ، إن قبض وإن بسط ، وإن منع ، وإن أنال .
وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال ، شهادة معتقد أن كل معبود دونه محال .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختصه للنبوّة ، وأكرمه بالإرسال، فشفى من السقم ، وهدى من الضلال .
صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم المآل .

خصوصاً، على العشرة ومن جملتهم الأئمة الأربعة، أصحاب الهمم العوال .

اللهم « افتح منا أسماعاً ، وأبصاراً ، وبارك لنا في حضور هذا المجلس ، حتى لا نقوم إلا وقد غفرت لنا إنك كنت غفاراً .
واجعل لإخواننا نصيباً في صالح دعائنا ، يا من لم تزل نعمه غزاراً، ودائمة مدراراً .

* * *

وهي قوله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (١) .

أكثر الناس يقولون : « سبحان الله » وما يعرفون معناها .

وهي في لغة العرب : تعني التنزيه والعجب .

(١) سورة الإسراء الآية الأولى .

نقولہ نقولنا « سبحان اللہ » اُی تنزیہ للہ من کل سوء ، وتبرئۃ من کل نقص ، وتعجب من وصفہ بما لا یلیق بہ ، من الولد والصاحبة والشریک ، وغیر ذلك مما برئ منه ومتعال عنه : ﴿ أسري بعبدۃ ﴾ اِی سیره بالدلیل ، والسری لا یكون إلا بالیل خاصة . ﴿ العبد ﴾ هو محمد ﷺ . ﴿ المسجد الحرام ﴾ فهو مسجد مكة المحتوی علی الکعبة . وأما ﴿ المسجد الاقصی ﴾ فهو مسجد المقدس . ﴿ الذي بارکنا حوله ﴾ اُی جعلنا ما حف به مبارکاً ، وذلك جمیع بلاد الشام ، ورأى لها مزية علی غیرها فی البرکات من الدنیا والآخرة . ﴿ لنریة من آیاتنا إنه هو السميع البصیر ﴾ الآیات : هی العجائب . وکم أطلع اللہ نبیه لیلۃ المعراج علی بناء عظیم وأمر عجیب . ﴿ إنه هو السميع البصیر ﴾ هو اللہ سبحانہ وتعالی . اُی أن الذی أسرى بعبدہ هو السميع البصیر . وقیل : هو النبی صل اللہ علیہ وسلم العبد الذی أسرینا به سميع لما أوحى إلیه ، بصیر . بما حکى علیہ .

<p>قَدْ رَأَيْناكَ لِلذی رُمْتَ أَهْلاً كُلِّماتِ الرُّضاعِ عَلی السَّمْعِ تُتَلَا حُسْنَ آدابِ ما عَلی العِینِ جَلَا بِذَلِّنا لَكَ ما كُنْتَ تَشْتَهِي فُتَمَلَا ضِيَّهِ العاشِقِينَ أَنْ تَتَجَلَا لَمْ يَصَادَفْ مَنَّا سِوَى كُنْ وَكَلَا لا وَلَنْ يَتَلَقَّى بِأَهْلاً وَسَهْلاً</p>	<p>أَيُّهَا الزَّائِرُ الذی رَامَ وَصْلاً إِلَيْهِ سَمِعاً لِمَا يُقالُ فَهْدَى وَإِذَا ما أَمِيطَتْ الحُجُبُ فَاحْفَظْ أَيُّهَا الصَّبْفُ المُشْتاقُ ما قَدْ قَدْ تَجَلَّى لَكَ الحَبِيبُ وَأَوْصَى كَمْ مُحِبٍّ أَرادَ وَصْلَنا ما لِكُلِّ الرُّوادِ يَفْتَحُ البابَ</p>
---	--

سؤال

ما الحكمة في افتتاح آية الإسراء بلفظ سبحانه ؟

الجواب

إن لفظة « سبحانه » تقولها العرب عند الأمر العجيب . فافتتحت بها آية الإسراء لما كان فيه من الأعاجيب .

سؤال

ما الحكمة في قوله : (أسرى بعبد) ولم يقل برسوله ؟ ولا نبيه ؟ .

الجواب

إن عيسى عليه السلام قيل فيه : إنه الله ، وابن الله ، للكرامة التي أكرمها الله بها وهي دون كرامة المعراج ، كذلك قالت اليهود في العزيز أنه ابن الله لأيسر كرامة فلما أكرم الله نبيه ﷺ وهي كرامة بالغة ، وحصل له فيها الدنو من ربه ، والقرب والرؤية التي لم يبلغها غيره .

فوصفه بالعبودية في هذا القام حتى لا تغلو فيه أمته غلو النصرانية واليهودية ، وأحوج ما يكون العبد إلى التواضع لعظمة ربه ، أقرب ما يكون من « مارج قربه ، فأخوف ما يكون العبد يوماً من الإبعاد أقرب ما يكون .

سؤال

ما الحكمة في جعل المعراج بالليل دون النهار ؟

الجواب

إن الليل أفرغ للقلب ، وأجمع للهمم ، وأهيا للوصل ، وأنظم للشمل

ظلمسة الليل للتواصل أهني من ضياء النهار عند المحب
وصلهم سرهم وما أحوج السر إلى ستره بسجف الحجب

سؤال

ما الحكمة في أنه قال : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ ولم يقل : ﴿ لنسمعه ﴾ ؟

الجواب

له وجهين :

* الوجه الاول : أن الآيات هي الأعاجيب. وأكثر أعاجيب المعراج كانت من المرئيات لا المسموعات، كسدرة المنتهى، وفراش الذهب، والنهرين الباطنين والظاهرين، وغير ذلك من عوالم الملكوت.

* الوجه الثاني : أن المعراج كان فيه رؤية وجه الله تعالى، وهي أخص فوائده.

قال: ﴿ لنريه ﴾، ولم يقل ﴿ لنسمعه ﴾، إشارة إلى أخص فوائده ليلة الإسراء، لأنه أرى فيها وأسمع، لكن كان النظر إلى الله سبحانه أخص من قسم المرئيات دون المسموعات، فرجع جانب المنظور بذلك، فخص بالذكر لذلك .

سؤال

لماذا أضرب عن ذكر نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ربه في هذه الآية ؟

الجواب

كلما عظم الأمر استحق الستر ، كما قال بعضهم :

أَغَارَ عَلَيْهِ إِنْ أَصْرَحَ بِاسْمِهِ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَاحَ يَوْمًا جَمَالُهُ
وَيَطْوِيهِ قَلْبِي عَنْ لِسَانِي صِيَانَةً وَكُلَّ نَفْسٍ لَا يَلِيْقُ ابْتِذَالُهُ

سؤال

ما وجه ذكر السمع والبصر دون غيرهما من الأوصاف في آخر هذه الآية؟

الجواب

إن كان السميع البصير رسول الله ﷺ فلولا صحة سمعه، ونفوذ بصره، لم يكن أهلاً أن يتلى على سمعه ما يتلى، ويجلى على بصره ما يجلى. وإن كان السميع البصير هو الله تعالى، فلولا أنه سميع لأقوال عباده، بصير بأعمال خلقه، لما اختص بالاسراء إلى كريم حضرته رجلاً واحداً من جميع بريته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

الله أعلمُ حيثُ يجعلُ خلقه من أرضه وسمائه
 فإذا رأيتَ اللهَ خَصُّصٍ واحداً
 أفيضوا بنا في ذكر المنعم فما
 منزه الخبير إلا في شكره
 وأعبدوا علينا ذكر اسمه فما
 لذة العيش إلا في ذكره

من تهجروه فما له في هجره
 هب أنه بالعين ليس يراكم
 تروى له أخباركم فيراكم
 وإذا ترنم باسمك داعي النوى
 من راحة إلا إدامة ذكره
 الذكر يجلو حسنكم في سره
 منها فيهدأ من لواعج صدره
 لمحبتكم أطفئ تلهب حره

إذا هتف باسم الحبيب لأسماع المحبين ، رأيت منهم المكربين ، ومنهم
 المرتاحين . وأما المرتاحين فتلوح لهم من الذكر لوائح التلاق . وأما المكروبيين
 فتتهيج منهم لواعج الأشواق ؛ وكل منهم في شرع الغرام معذور ، وربما
 اجتمع الأمران في وقت واحد للصف المهجور

حبكم جنتي وناري قد عيل^(١) من ثقله اصطباري
 ذكركم يحدث ارتياحاً طوراً وطوراً لهب ناري
 والصبا مبين ذا وهذا مقلقل عياد القاراري
 عليكم مني بكاي إليكم مني فـراراري

(١) عيل: قل .

وَحَسْبُكُمْ لَا سَلِوَتْ عَنْكُمْ مَا جَرَتْ الْفُلُكُ فِي الْبَحَارِ
مَسَالِي شَيْفِيعٍ إِلَى عِلَاكُمْ أَنْجَحَ مِنْ أَدْمَعِي الْغَسَزَارِ
فَإِنْ لِي وَصَلْتُمْ فَوَا أَنْجِبَارِي وَإِنْ هَجَرْتُمْ فَوَا انْكَسَارِي

صِدْقُ لِسَانِ الْمَحَبِّ فِي طَلَبِ وَصَالٍ مَحْبُوبِهِ ، هُوَ الَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى
مَطْلُوبِهِ .

وَكُلَّ مَحَبٍّ طُرِدَ إِلَى الْبَابِ ، فَإِنَّمَا أَبْعَدَهُ الْمَحَبُّ عَنِ الْجَنَابِ ، لِأَنَّهُ فِي
دَعْوَى الْمَحَبَّةِ كَذَابٌ .

المحبة لازمة لأهل المعرفة، والشوق لازم لأهل المحبة، والانزعاج لازم لأهل
الشوق؛ فلما تكامل لرسول الله ﷺ الشوق، تكامل له الانزعاج. فقد أدركته
رأفة الحبيب بليلة المعراج، فما زال جبريل يسلك به السبل ويقطع به
الفجاج، حتى سقى من عذب فرات الوصل ما لا يشوبه أجاج. كل سكر يذهب
العقل على الناس حرام، غير أهل الحب فالسكر لا يرام يا نديمي قم فقد دارت
على الشرب المدام ، دارت الكاسات أقداحاً والأقوام نيام ، لو دروا ما فاتهم ما
راق للعين المنام، باي شهم جسور ما حد قوم همام ، يؤثر النار على النار إذا ما
يستضام ، لم يزل في السير حتى نال أمرا لا يرام، جدّ حتى أبعد الله. والسلام.

المجلس الحادي والعشرون في وأهميته الجهاد

الحمد لله الذي جعل جهاد النفس والعدو فرضاً واجباً ، ودينأ واصبأ ،
فما من مسلم عاقل إلا وهو يعلم أن مجاهدة نفسه وعدوه حق واجب عليه ،
فهو يرجو رحمة ربه ببذل نفسه ، ويرغب فيما لديه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن جاهد بين يديه تبارك
الذي أحكم مباني دينه لعباده المؤمنين ، وجعل الاسلام رأسه ، والصلاة
عموده ، والجهاد ذروة سنامه ؛ فانتظمت بذلك أحكام شرائع الدين . فمن أسلم
لربه فقد استمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين ، ومن اقام الصلاة لذكره فقد
أخذ مركزه من صفوف العارفين ، ومن جاهد في سبيله فليتبوأ مقعده من مائة
درجة أعدت للمتقين المجاهدين .

كانت الجنة للإنسان وقت عافيته كالبلستان ، ويسرح فيها حيث يشاء ،
وجعلت الأرض له وقت مرضه كالمارستان (١) يلتمس فيه الشفاء ، ولا شفاء إلا
بدواء ، وكل دواء إلى المريض بغيض .

فعالجوا أنفسكم من معضلات أدوائها ، بدوام جهاد أعداء الله وأعدائها ،
لقد تخصص الجهاد على سائر القرب ببذل النفس للعطب ، في موطن يتميز فيه
الخزف من الجوهر والنحاس من الذهب .

(١) هي دار الشفاء بالفارسية .

حتي متى أنت في لَهْوٍ وفي لَعِبٍ تُمسي وتُصبح في عَزْفٍ وفي طرب
 أنهد بجيشٍ من الأعداء منتصف وإنهض بعزمٍ إلى العليا منتدب
 واطعن عن الوطن المألوف مغترباً لا يبلغ المجد إلا كل مغترب
 جزائر الهند فيها العمود كالحطب وحين غربته يتعاع بالذهب
 كم ذا الرقاد على ظهر المهاد وقد مد الحمام (١) إليكم كف مستلب
 يحكموا فيكم وفي بلادكم فالنسل للبنين والأموال للسلب
 يا لَهْفٍ نفسي على قوم لهم همم تعلو على قمم الأفلاك والشهب
 يستنقذون الأسارى من عيودهم لضعف أم لهم محزون وأب
 والله لو أن سلطاناً يفرجها كنا نسميّه الفراج للسرب

* * *

أين أصحاب النفوس الأبية؟ أين أصحاب الأنفة الحمية؟ أوفوا بالعهد
 القديم، وارغبوا في الأجر العظيم، وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله هو
 السميع العليم .

قولوا لأهل الهمم العلية، وكيف يرضون بالحطة الدنية. تنبهوا من رقدة
 الغافلين، وتأهبوا لمرافقة الصالحين، وإذا عزمتم فتوكلوا على الله، إن الله يحب
 المتوكلين

المتهجدون لله بالليل هم حماة الإسلام ، وثناؤهم على الله مفاتيح دار
 السلام . يبيتون يراوحون بين الحياة والاقدام، والناس على فرشهم نيام. فأهل
 العبادة بيننا كالمقاتلين عن المنهزمين ، بهم يدفع الله العذاب عن العاصين ،
 ويحرس العباد والبلا . من جيوش الكافرين « ولولا دفعنا الناس بعضهم ببعض
 لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٢)

(١) « الحمام » يكسر الحاء الموت

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

ينبغي على العازم على الدخول في أولياء الله أن يكون شحيحاً^(١) ضعيفاً قوياً مطيعاً عصياً ، يطيع داعي الله في العبادة والتقوى ، ويعصي داعي النفس إلى اتباع الهوى ، ويقوى على مجاهدة النفس والشيطان ، ويضعف عن متابعة هواه في ركوب المعاصي ، ويشح بدينه وعرضه وحسناته ، ويسخو بترك الدنيا الشاغلة عن طاعة الله وطلب مرضاته ؛ فإن الحسنة إذا طلب بها وجه الله تصير الثمرة كالجبل العظيم ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾^(٢) ،

* * *

الأميني لله من فضل يوفى عظيم الأجر من فضل ماله لا موقن مرضاة مولاه مخلص عبادته في قصده وفعله يعامل مولاه بإخلاص فيه ويرغب في معرفته ونواله

* * *

من بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يبخل عن نفسه، ومن لم يقدر روحه بالأعمال المرضية لله لم يدخل في أهل قدسه، ومن لم يستوحش من كل ما يشغله عن الله لم يصبر من أهل أنسه ، ومن قصر في خدمة الله جنى ثمر تقصيره وقت حلول ربه ، حين لا يحصد حاصد إلا ما زرعه ولا يجني جان إلا من غرسه . كيف تقبل من المقصرين الأعذار وقد بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار؟ فإياكم أن تفرّوا من العدو ، فكم قد كسا الفرار أهله من لباس العار ، أما سمعتم كلام من اختص بكلامه صفيه المختار ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾^(٣) ، لو صرت

(١) أى شحيحاً بإيمانه فلا يضيّعه .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

(٣) سورة الانفال الآية ١٥

مجاهداً وقت مطالبة النفس ومحاربة الشيطان لرأيت من نصر الله العجب، ولكنك انقلبت يوم الفرار حياة الخزي والعار فبئست الحياة وبئس المنقلب، ربحت الخزف والحجر وخسرت الجواهر والذهباً ما سمعت كلام العزيز الغفار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾، رضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، وخسرت الصفقة الرابحة، وربحت الصفقة الخاسرة. كيف طابت نفسك أن تكون ظهيراً لفئة النفس على فئة القلب، مؤمنة وفئة النفس كافرة؟ كيف اخترت لنفسك أن يقال: جبان فرار، أما سمعت كلام من له العزة والافتدار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾

العَيْنُ مِنْهَا الدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ	الحَزْنُ بَادٍ وَالْقَلْبُ مُنْكَسِرُ
وَالدِّينُ وَالْمَلِكُ قَدْ يَضِيعُ مِنْ	رَكْبَهُمَا مَا يَعْمَى بِهِ الْبَصَرُ
لَيْسَ الْعَجِيبُ يَعْمَى الْعَيُونُ وَقَدْ	نَظَرْتُ أَمْرًا يَعْمَى بِهِ الْبَصَرُ
الْمَلِكُ تَدْعُمُهُ الْحَرَابُ فَلَا	يَبْقَى عَلَيْهِ التَّحْدِي وَلَا يَذَرُ
فِي كُلِّ قَطْرٍ زَاخِفَةٌ نَارٌ	فَلَا سَدُّوا لَهُ شَرُّ
أَيْنَ تَوَجَّهْتَ قَدْ رَأَيْتَ مَا لِحَبُودِ	مِنَ الْبِلَاءِ مَا لَا يَطِيقُهُ الْبَشَرُ
الْإِسْلَامِ قَدْ زَحَفُوا	هَلْ يَدْفَعُ الْمَوْتَ مِنْهُمْ الْحَذَرُ
مَا لَجَمِيعِ الْإِسْلَامِ مَا خَرَجُوا	إِلَى الْجَهَادِ الَّذِي أَمَرُوا
مَا لِي أَرَى الْمَذْنِبِينَ مَا فَرَّغُوا	مَا لِي أَرَى الرَّاقِدِينَ مَا سَهَرُوا
مَا لِي أَرَى الْجَاهِلِينَ مَا عَرَفُوا	مَا لِي أَرَى الْعَارِفِينَ مَا اعْتَبَرُوا
كَيْفَ يَلِدُ الْكُرَى وَقَدْ	طَرَقَتْ بِلَادُنَا النَّائِبَاتُ وَالْعَبَرُ
وَالرَّبُّ غَضِبَانٌ وَأَصَاةٌ مَا كَانُوا	فَلَا اسْتَغِيثُوا وَلَا هُمْ اعْتَذَرُوا
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْ صَغَائِرِكُمْ	وَعَنْ رُكُوبِ الْكِبَائِرِ أَزْدَجَرُوا
وَانْتَظَرُوا الْغَوْتَ مِنْ مَرَا حِمِهِ	مَا خَابَ قَوْمٌ لَغَوْتُهُ انْتَظَرُوا

إن مما قضى الله علينا فى محكم كتابه من أنباء أنبيائه ، ونصرة أوليائه على أعدائه ، ما يثبت الفؤاد ، وينبه من الرقاد ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

لما حرص الكليم على تخريض قومه على جهاد الأعداء ، ذكرهم بما لله عليهم من النعماء ، حيث يأنفون على أنفسهم من الهوان بعد الإكرام ، ومن ظهور عبدة الأصنام على ملة الإسلام ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فكأنه يقول : أما يأنف من أكرمه الله بالشرعة النبوية أن يجبن من جهاد أعدائه ، وقد استولوا على دياره وأبنائه ؟ وهل يرضى بهذا لنفسه من له أنف ؟ كلا والله ، ما رضى بالهوان كريم ، ولا استسلم للأعداء إلا لثيم .

* * *

ألا شـهـم فـتـى كـرـيـم	له رأيٌ سديد مستقيم
له فى كل ناحية رقيب	على أعدائه وهم هجوم
متى سمع العدو له بذكر	عراه الدل والخزى المقيم
ومن يكل هذا فعليه طير	بنصير رجاله أبداً يحوم
ولا فليتم حتى يوافي	عدو وصيده الكسل النؤوم

* * *

قوله : ﴿ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ يعنى : من عالمي ذلك الزمان . ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قال ابن عباس : هى الطور وما حوله . وقال قتادة : الشام . وقيل : أريحاء . وقيل : دمشق

(١) سورة المائدة الآية ٢٠

وفلسطين وبعض الأردن و«المقدسة»: أي المطهرة المباركة. وقوله: «كتب الله لكم» أي: أوجب لكم. «ولا تتردوا علي أدباركم فتتقلبوا خاسرين» (١)، أي: لا ترجعوا مدبرين إلى ورائكم فتتصرفوا خائبين.

«قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين» كل من لا تكون خشية الله أغلب عليه من خشية الخلق، ملأ الله قلبه مما سواه رعباً، وجعل كل شيء يخافه رباً.

«وإن لن يدخلها حتي خرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون» (٢)، لما جبنوا عن القتال أحوالوا على المحال، وهو طريق من طرق الضلال، لا بارك الله في رجال قد سلكوا سبل الضلال

* * *

لا أهل كُنتا في يوم حـربٍ	ولا فحول يوم القـتـال
قد قنعوا من حطام دنيا	بطيب عين وجمع مال
فلا بد يدنون من حريم	ولا يخامون من عيال
لكن قـبـومى إذا دعـياهم	داع إلى الحـرب والنـزال
طاروا إليـه على متون	الجـيـاد بالذيل العـوال
فتأهـم عـاشق المعـالى	وكـلـهم للحـياة سـالى
جزاهم الله كل خير	فى كل وقتٍ وطل حـالى

* * *

«قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون» (٣)

ما بين العبد وبين النصر إلا أن يوطن نفسه على الصبر. أمروا بالدخول من الباب على عدوهم، وضمن لهم النصر عقيب دخولهم؛ فلو تلقوا أمر ربهم

(١) سورة المائدة الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٢٣.

بالسمع والإطاعة، لم يحوجهم إلى الصبر إلا ساعة .
فلا قرّت عيون الجبناء، ماذا فاتهم من النصر والعلاء، لو وطنوا نفوسهم
على صبر ساعة يوم اللقاء .

* * *

من عذيري من معشر جُبناءٍ ما وفوا بالعُهود يوم اللّقاء
إنما الملُك والغنيمة والأجر وقهر العدا وحسن الثناء
لفتّى صابراً العدو فوافي حين وخز الرّماح في الأحشاء
إن أردت الثّواب والملُك فاصبر ساعة الموت تحت خفق اللّواء

* * *

﴿ وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) في هذه الآية دليل على
أن من ولي وقت الزحف فليس له نصيب في التوكل ، وفيها دليل على أن من
لا توكل له فلا إيمان له . لأن المعنى : إن كنتم مؤمنين فتوكلوا ، وإن كنتم
متوكلين فاثبتوا . فمفهومها : إن لم تثبتوا فما أنتم متوكلون ، وإن لم تتوكلوا
فما أنتم مؤمنون . أي : لا يتم إيمانكم إلا بالتوكل ، ولا يصدق توكلكم إلا
بالثبات ، قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، جرى فألهم على
ألسنتهم حين قالوا : ﴿ إنا لن ندخلها أبداً ﴾ فلم يدخلوها لأن الله حرّمها
عليهم . وهذا جزاء كل من لا يتقبل النعم بالشكر ، أي يحال بينه وبينها بلون
سواد ، به آخر العهد منها .

* * *

الذنبُ لي فـيـمـا ابتليت به من راحية نُقِلَتْ إلى تعب
ورقاد عين عاد لي سهرأ ومواهب حَالَتْ إلى سلب
وفراقُ أحباب نعمت بهم وبقرهم في سالف الحقب
ما كنتُ أعرفُ قدر ما بذلوا حتى ابتليت بكف مستلب
هذا جزاء مقابلي نعمأ بدلت له إساءة الأدب
ما زال في لهو وفي لعب حتى دعا بالويل والحرب

* * *

﴿ فاذهب أنت وريك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ (١) هذا كلام قوم جاهلين بالحكمة في سنة الجهاد ، لأن الجهاد شرع للمؤمنين تمحيصاً للسيئات ، ورفعة في الدرجات ، فإذا كان المقاتل غيرك فكيف تحصل لك هذه الفوائد : في قوله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ (٢) فمن كان في إحراز هذه الخيرات طامعاً فليكن إلى جهاد نفسه وعدوه مسارعاً

* * *

إن كنت في نيل السعادة طامعاً فانهض إلي حمل السلاح مسارعاً
واركب جواد العزم واحمد حملة البطل الحلال حاسراً أو دارعاً
واصبر على مضض الجلاد مرامياً ومطاعناً ومسائفاً ومقارعاً
واصدق عدوك في لقائك ساعة لم تلق مثل الصدق شيئاً قاطعاً
واغش السيوف في نحر وجهك وقت ما يحمي الوغى والقي الرماح شوارعاً
لا تجزعن ولو قتلت فإنه لم يبلغ العليا من يك جازعاً
وترج إحدى الحسنين شهادة تحصنك أو نصراً لمجدك رافعاً

(١) سورة المائدة الآية ٢٤

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية ٤ - ٦ .

قل للذين آمنوا بزلهم
إذا أتياكم مناد من
قولوا سمعنا وأطعنا واحدا
من خالف الله فقد أسخطه
وجاهدوا أعداءكم فإنهم
إياكم والظلم فيما بينكم فقل
واخلصوا نياتكم فالإخلاص أقدر
ووطنوا النفس على الصبر ولو
فموتنا ولا نرى عدونا يس
كم استباحوا حرماً ممتنعاً
كم غربوا مستوطناً عن داره
كم أفقروا ذا ثروة من ماله
نستغفر الله ذنوباً سلطت
عسى الذى أعلى العدو فر

كونوا مع الايمان عاملينا
ريكم فلا تكونوا عنه معبري
ذرنا أن تصبحوا لله مسخطينا
فلا تكونن مسخطينا
قد أصبحوا لكم معاندينا
ما ينصر ظالمونا
بى ما به في الحرب تنصرون
قتلتم بالصبر أجمعونا
تأسر البنات والبنينا
كم هتكوا محجبا مصونا
وكم أخافوا بلداً أمينا
حتى غداً مستعطياً مسكينا
أعداءنا وطمعتهم فينا
قنا عليهم من بعدها يعلينا

اللهم . يا خير الغافرين اغفر لنا ذنوبنا ؛ اللهم . يا خير الراحمين
ارحمنا في كل شيء من نعمك علينا ؛ اللهم . يا خير الرازقين ارزقنا رضاك
عنا ولطفك بنا ؛ اللهم . يا خير الفاتحين افتح بيننا وبين القوم الظالمين ، ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين ؛ اللهم . يا خير الناصرين انصرنا على من عادانا ،
واردد لنا الكثرة عا بهم ، وكن لنا عليهم ظهيراً ، وامدد لنا بأموال وينين واجعلنا
أكثر نفيراً .

من كان مع الله بالإخلاص والصدق كان الله معه بالتأييد والنصر، ومن
اعتقد أن لا حول ولا قوة إلا بالله أنزل الله عليه السكينة والصبر، ومن علم أن
لا ناصر إلا الله لم يكله إلى أحد في شيء من الأمر.

وطنوا أنفسكم على الصبر والثبات فضل ساعة، وابدلوا في مصابرة العدو ما في وسعكم من الاستطاعة، واحذروا أن تقدموا على ربكم وأنتم لفرائضه مضيعون ، وفي أداء أمانته عندكم مفرطون ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

* * *

نقضُ العهودِ على الكرامِ حرامٌ
فإذا لقوا صدقوا العدوَّ وكيف
ولهم عيون لا تنام عن العدى
أصلوا أنفسهم نفيراً للملتقى
شهبوا الصوارم (٢) فى الوغى من
شربوا وأسقوا كأس حتف (٣) جردت
حام العدوَّ وحاد يوم لقائهم
ما زال إلا أن دين عدوهم
قد أيقنوا أن الفناء مصير دنيا
من كل شهم ماجد صلى الوغى
ركبوا رضا المولى وجنات العلى
ما زال يبذل نفسه فى الذب عن
حتى سقى الأقوام كأس حمائمهم
لقى الحمام ربا سعادة مسلم
نال الشهادة والسعادة وانثنى
ما كل من رام السعادة نالها
سبق القضاء بما هو كائن

قوم عليهم للوفاء ذمام
لهم أصول فى اللقاء كرام
من يطلب الأعداء كيف ينام
وعلى حياض منه خاموا
غمدها وبغيرها فات العدى ما ساموا
لهم العيدو فلاح منه عظام
وهم غداة الملتقى ما حاموا
كفر ودينهم هو الإسلام
هم ولو دامت لهم ما داموا
والوجه أبيض ما علاه قتام
فأنالهم من فضله ما رامو
دين البني كبأنه الضرغام
وسقاه كأس حمامه الأقرام
يلقباه فى ذات الإله حمام
والعرض أبيض ما عليه ملام
إن السعادة والشقاء أقسام
طوى الكتاب وجفت الأقلام

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧

(٢) «الصوارم» جمع صارم وهو السيف .

(٣) الحتف الهلاك .

اللهم.. بدوام غناك عن كل شيء سواك ، ارحم دوام افتقارنا إليك، ولا تجعل استغاثتنا بشيء دونك، وكما خلقتنا لعبادتك وفقنا لما له خلقتنا، وكما ضمنت لنا أرزقنا فاجعلنا بضمائك واثقين، وكما أنزلت علينا كتابك، وبعثت إلينا رسولك، فاجعلنا بكتابك عاملين، ولرسولك متابعين، ترى حضرننا مع من يحسن السماع، فلينتقل عما هو مستمر عليه من زمان الرضاع، من سوء العادة وفساد الطباع وأداء من أهدي إليه النصح قبله وانفتح به حق الانتفاع .

هل من أخ وجد أطارحه	ما لم أزل لغففيه من بعدي
ما زلت أكرم ما بليت به	حتى عجزت فقلت ما عندي
أنا من ملوك كان ملكهم	يعلم ملوك الصين والهند
كان العدو يخاف غائلتي	ويفر من ظلي على بعد
فقلت عن تحصين مملكتي	تباعد الأمراء والجند
فغزاني الأعداء فانتزعوا	منى البلاد وأخربوا مجدي

أمرني ربي بما فيه إصلاح شأني ونهاني عما فيه هواني وخسراني، فعصيت ربي وأطعت شيطاني، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابني ويدهاكم ما دهاني.

فَسَزْتُ فِي قَرِيبِهِمْ بِكُلِّ نَعِيمٍ لَا أُبَالِي طَوَارِقَ الْحَسَنَاتِ
فَسَقَانِي الْعَدُوَّ كَأْسَ اغْتِرَارٍ لَيْتَنِي مِتُّ مِنْ قَبْلِ مَا قَدْ سَقَانِي
غَرْنِي بِاسْتِمَالَةِ النَّفْسِ لِلشَّهْوَةِ حَتَّى بِحَبِّهَا أَغْرَانِي
شَدَّ وَسْطِي مِنْهُ بِحَبْلِ غُرُورٍ ثُمَّ فِي الرَّدْيِ دَلَانِي
وَالْحَسِيبِ الرَّقِيبِ يَنْظُرُ مَا أَصْنَعُ حِينَ حَسِيتُ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
مَدَدَتْ يَدِي إِلَى شَهْوَةِ طَارِقِ النَّفْسِ بِسِ التِّي قَبْلَ ذَلِكَ عَنْهَا نَهَانِي
الْمَلِكِ الْبَذِي كُنَيْتُ تَوَجَّتُ وَأَخْرَجْتَ مِنْ قَصِيرِ الْجَنَانِ
فَانْدَبُوا مَصْرَعِي وَنَوَحُوا عَلَيْهِ وَاحْذَرُوا بِأَنْ يَذْهَبَ مَا دَهَانِي

أَلَا رَجُلٌ كَرِيمَ الطَّبَاعِ، يَعِزُّ عِزْمَةَ الْبَطْلِ الشَّجَاعِ، يُوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى صَبْرِ
سَاعَةٍ، وَيُذِلُّ فِي غَسْلِ عَارِهِ بِأَخْذِ ثَأْرِهِ حَمِيدَ الْإِسْطَاعَةِ، وَيَكْفِ أَلْسِنَةَ الشَّامِتِينَ
بِهِ عَنْ هَذِهِ الشَّنَاعَةِ، فَلَقَدْ سَمِعَ بِمَصِيبَتِنَا مَعَ عَدُونَا سَامِعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى
قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا جِزَاءُ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمَعْصِيَةِ وَتَنَكَّبَ طَرِيقَ الطَّاعَةِ.

يَا وَيْحَ مَنْ نَزَلَ الْعَدُوُّ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْ نِزَاعَهُ
فَأَزَاحَهُ عَنْ أَرْضِهِ حَتَّى لَقِيَ أَخْلِي رِبَاعَهُ
وَسَبَّي الْحَرِيمَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الْفَضِيحَةَ مِنْهُ بَاعَهُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَصُونَةٍ كَالْبَدْرِ قَدْ هَتَكُوا أَقْنَاعَهُ
أَيْنَ الْحَمِيَّةِ وَالْأَبِيَّةِ وَالشُّهَامَةِ وَالشُّجَاعَةِ

كل قرية تتقرب بها إلى ربك هي قلعة من قلاع دينك، والعدو مجتهد في كل وقت وعلى كل حال في حصار قلاعك بالرجال والحيال، فكل طاعة يفسدها عليك فهي حصن من حصون دينك، انتزعه من بدنك، وأنت من استيلائه على حصونك تقول لا بأس عليّ ما دمت آكل وأشرب وأجى وأذهب، وهل البأس ألا تكون هارباً من عدوك في كل مهرب، قد ضيق عليك كل مذهب، وكدر كل مشرب؟ كلما ضربت معه رأساً كان عليك أظهر ولك أغلب.

* * *

شـرـقـوا و غـرـبـوا مـا	مـن المـمـوت مـهـرب
كـيـف يـنـجـو المـطـلـوب	بـالسـيـر والـلـه يـطـلـب
و يـمـوت تـحـت السـيـوف	كـرـامـمـاً أو تـغـلـبـوا
مـالـرأى بـقـاء غـيـر	أن تـسـتـعـدوا بـغـضـبـوا
إن هـذا الفـرار عـار	ولـه الرـب يـغـيـضـب
فـائـبـتـوا فـي صـفـوفـكـم	فـيـقـبـيـح أن تـهـرـبـوا
كـم جـدـيد قـد أـخـلـقـوا	كـم مـشـيـد قـد أـخـرـبـوا
والـعـدو المـخـذول يـد	نـو إلـيـنا و يـقـسـر
وأـسـبـبـا بـاغـدت يـنا	ح عـلـيـهـا و يـنـدب
كـم أـسـيـر لـديـهـم	وعـلـى الـوجـه يـضـرـب
كـان بـالأمـس سـالـبـاً	فـيـهـو الـيـوم يـسـلـب
لـهـف نـفـس عـلـى حـنـرا	ثـر تـسـبـي و تـنـهـب
يـا أسـود الـورى اغـضـبـوا	يـا جـنود الـوغي إـر كـبـوا
واغـسـلـوا العـار واطـلـبوا الـ	ثـار تـعلوا و تـغـلـبـوا

* * *

وَأَمَلُوا اللَّهَ إِنَّ آمَلَهُ لَا يَخِيبُ؛ اللَّهُمَّ آوِنَا إِلَيْكَ، وَدَلَّنَا عَلَيْكَ، وَاجْعَلْ
رَاحَتَنَا عِنْدَ لِقَائِكَ، وَرَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، وَضَاعِفْ صَلَوَاتِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

* * *

المجلس الثاني والعشرون أهل الإيمان واليقين والتقى

عباد الله . . تأهبوا للعرض على الملك الديان، واستبغضوا من هذه السنة^(١)، فما أدرك النار وستان. أيها العبد العاجز الفقير . . اطلب من باب الغنى القدير، تبتل لسؤاله، رتعرض لنواله، فلو أنالك قطرة من بحار أفضاله، لأصبحت مما لا يخطر خوف الفقر على باله.

ألا نَاهِضْ فِي خَيْلِهِ وَرَجَالِهِ لِحَرْبِ عَدُوٍّ قَدْ تَمَلَّكَ أَرْضَهُ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْعَدُوَّ سَبَّأَكُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ فِي الْعِزِّ وَالْمَجْدِ لَنَا فَأَخْرَجَكُمْ مِنْهَا الْعَدُوُّ بِكَيْدِهِ فَضُجُّوا إِلَى الْبَرِّ الرَّحِيمِ يَمْدُكُمْ وَعَوَّذُوا مِنَ الشَّيْطَانِ بِاللَّهِ إِنَّهُ	بِعِزْمَةِ لَيْثِ الْغَابِ يَوْمَ نَزَالِهِ بِإِذْلَالِهِ وَزَاهِ بَعْدَ دَلَالِهِ وَأَوْثَقَكُمْ فِي قَدِّهِ وَحَبَالِهِ جَوَارِ كَرِيمٍ غَافِرٍ بِنَوَالِهِ وَصَرَّيْتُمْ إِلَيَّ إِنْكَالَهُ وَنِكَالَهُ بِنَصِيرٍ عَلَيَّ الْخِذْلُولِ يَوْمَ قِتَالِهِ سَمِيعٍ عَلِيمٍ فَارْغَبُوا فِي سُؤَالِهِ
---	---

(١) السنة. هي النوم الخفيف أو أول النوم.

باب منه

أيها العبد المقهور المضيق، استعذ بالله السميع العليم، ولا تنس في ابتداء كل أمر: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فإن أنت لم تجد لبركة اسم الله أثراً ظاهراً في جميع الأمور، فاعلم أنك مقصر عند التسمية في الإخلاص والحضور.

ذكر اسم الله في ابتداء الأقوال والأفعال، أنسة من الوحشة وهداية من الضلال. وحمده تعالى فرض لازم لكل أحد على كل حال، لأنه أهل أن يحمد إن ابتلى وإن عافى وإن منع وإن أنال، عم بفضله النساء والرجال والكهول والأطفال، ولطف في قدره وقضائه بأهل أرضه وسمائه، فلم يخل من لطفه سافل ولا عال.

يا من لا تمتد الأيدي بالرغبة والمسألة إلا إليه، يا من لا يعول في كشف شدائد الدنيا والآخرة إلا عليه، يا من كل الرغائب لديه، والمواهب لديه، ليس لضرنا سواك كاشف، ولا على ضعفنا سواك عاطف: المعافى من عافيته، فعافنا من موجبات سخطك وعقابك. والمهدى من هديته، فاهدنا سبيل الواصلين إلى جنابك بروح الإيمان بالله: تحيا القلوب من موت غفلاتها، وينور مصباح اليقين مستضيء الأرواح في ظلماتها. وبالتداوى: يداوى بدواء التقوى فتخلص النفوس من آفاتها.

فمتى أردت أن تعرف عناية الله بعباده المؤمنين، وبماذا أنعم الله على أهل التقوى واليقين، فاتل أربع آيات من سورة البقرة (١)، لتعلم أن خيرة خلق الله من جميع العالمين: أهل الإيمان واليقين والتقوى، الذين ارتقوا من معارج النور كل مرتقى، وحصلوا على النعيم، وتخلصوا من طول البقاء في دار الشقاء.

(١) أي من أولها.

من خرج من دار الكفر إلى حظيرة الإيمان، فقد أخرج من الظلمات إلى النور، لأن الكافر جاحد كاند، والمؤمن معترف شكور، والشاكر بالمزيد موعود، الكاند على الباب مطرود، فطوبى لمؤمن وويل للكفور، وماذا عليه لو آمن بربه؟ فكيف وقد ختم على سمعه وقلبه من قوم لهم قلوب بها لا يفقهون، وإن تركوا بسوء حالهم فهم عن غيهم لا يرجعون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)، حال بينهم وبين الإيمان سر القدر ولله الحجة البالغة، فلو شاء لهداهم أجمعين فكيف يعذر من ما عذر. بالعدل عذب ربنا من عذب، وبالفصل غفر لمن غفر، تفضل على قوم فوجههم إلى الجنة، وعدل على قوم فعدل بهم إلى سقر.

فلو اجتهد أهل السماء والأرض لم يقدرُوا نفعهم، وكيف يعطيهم الخلق وقد حكم الخالق بمنعهم، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

إياك والنفاق فالمنافق لربه مخادع. ولا تطمع في الخلاص بغير إخلاص، فالطمع سراب خادع .

ربما نفع الرياء في الدنيا ولكنه في الآخرة ضار لانافع. أهل الإخلاص على طريق من سلكها فقد اهتدى، وأهل الضلال قوم لا يرجعون عن الضلال إلى الهدى، لا يحذرون مصارع السوء ولا يخافون عواقب الردى.

لقد ضرب الله للفريقين في كتابه الأمثال ولم يتركهم سدى: فأما أهل الحق فصبروا عليه - وأما أهل الباطل فطال عليهم المدى.

لأولى الأبصار تضرب الأمثال، وسماع من لا روح فيه محال .

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٧ .

لما خلق الله الخلق ادعوا محبته كلهم ، فأذا قهم من رحمته شيئاً من حظوظ النفوس ، فلم يثبت معه منهم شئ إلا قليل ، واشتغل الأكثرون بالنعمة عن المنعم ، ثم صب على الباقيين البلاء والمحنة ، فاشتغل الأكثرون بالبلاء عن المبلى ، ثم امتحن البقية الباقية بالعبادة الموصلة إلى الوصل فأقلهم من يمضى بذلك الحمد .

ليس للمخلوق من أن يكون خالقاً ، لأن العبودية لكل من سوى الله وصف لازم لا يجد فيه بداً .

فمن كان على عبادة الله عاكفاً لم يجعله الله لغيره عبداً ، ولا بغير بابه واقفاً . ومن تكبر عن عبادة مولاه ابتلاه بعبادة من سواه ، حتى فرعون الذى قال أنا ربكم الأعلى ، كان بعبادة غير الله مبتلى ، ولهذا قال الملأ من قوم فرعون : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويدرك والهتك (١) ، لما تكبر عن عبادة الحق ، وادعى أنه إله لجميع الخلق ، ابتلاه الله بعبادة الأصنام على وجه الالهانة والإرغام .

فاعبدوا الخالق معتقكم عن عبادة المخلوق ، وابتغوا عند الله الرزق فكل من سواه من فضله مروزق .

أيها العبد . إن كنت بربك مؤمناً فتحقق بالإيمان بالله ، وكن فى عبادته وإلى عبادته محسناً ، وتدبر أمثال القرآن ، فقد ضرب الله للناس فيه من كل مثل . إنما فائدة ضرب المثل : ظهور ما خفى من حسن أو قبيح فى وصف أو عمل

ضرب الله سبحانه وتعالى فى كتابه المثل « بالحمار » لعالم أفبل بلسانه على دراسة العلوم ثم أعرض بقلبه عنها ، و « بالكلب » لعالم أتاه آياته فانسلخ منها ، و « بالحجارة » لقساة القلوب ، و « بالأنعام » لمن همه فى المأكول والمشروب ، و « بالعنكبوت » فى ضعف من اشتد فى عبادة المخلوق مثله ،

(١) الآعراف الآية ١٢٧

و«بالذباب» فى عجز الأوثان عن استنقاذ ما سلبه بقمه أو علق برجله .

لو علم المخلوق قدر نعمة الخالق عليه، لو علم المرزوق بعض إحسان الرزاق إليه، ولو لم يكن إلا نطق لسانه وشفثيه وسمع أذنيه ونظر عينيه وبطش يديه وسعى رجليه إذا سجد لله سجدة شكر لم يرفع رأسه منها إلى يوم الوقوف بين يديه .

فكيف و أنتم عن ذكره وشكره غافلون؟ بل أكثركم لأمره مخالفون، يدعوكم إليه وأنتم فارّون، ويأمركم أن تؤمنوا به وأنتم فريق منكم بربهم كافرون ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (١)، غذاكم فى ظلمات الأحشاء كما يغذى الثمر فى الأغصان ثم أخرجكم من الظلمات إلى ضوء الفضاء وسعة الأوطان، ثم وعدكم أن ينقلكم من عتمة شقوة الدنيا إلى روح نعيم الجنان. كم أنتم بلفائه لا توقنون، ولنعمته لا تشكرون، ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾، كنتم أمواتاً فى أصلاب الآباء فأحياكم فى بطون الأمهات، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد هذا الممات لجزاء يوم الميقات، وهو للمتقين يوم العرض الأعظم، ولكنه على العصاة حسرات، ثم يرجعكم إليه ويبيحكم النظر إلى وجهه الكريم، ويذيقكم من رحمته لعلكم تشكرون، ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون، ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٢٨ .

نَعَمْ تَرَادَفَ إِثْرُهَا نَعَمْ هذا هو الإفـضـال و الكرام
غَمَرَتْ أَيْادِيهِ بِرِيقِهِ فَأَنَارَ مِنْهَا الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
أَتَرَى سَلَكْنَا بِرَحْمَتِهِ دَاراً يَدُومُ لِأَهْلِهَا النِّعَمُ

* * *

اللهم بلغنا برحمتك دار كرامتك يا أرحم الراحمين.

* * *

المجلس الثالث والعشرون

تفسير سورة القدر

الحمد لله . . الذى له مقاليد السموات والأرض ، ويده النفع والضر ،
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، إن أسرنا فهو
يعلم السر ، وإن جهرنا فهو يعلم الجهر ، وإن استرزقنا فهو يسط الرزق ، وإن
استنصرنا فهو ينزل النصر ، أرسل إلينا رسولا جبر منا كل كسر ، وأغنى منا كل
فقر ، وأنزل علينا كتابا شرح منا به كل صدر ، ورفع به منا كل قدر ، شرع لنا
فيه حج البيت الحرام ، وصيام شهر الصبر .

فسبحان من خص من شاء من خلقه بما شاء من فضله ، لا يعارض
معارض فى حكمه ، ولا يسأله سائل عن فعله ، جميع العالمين بتسخيره مذللون ،
ولتقديره مسخرون ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (١)

كيف السبيل إلى سعادة من	حكم القضاء بأنه يشقى
من كانت الأقدار تهبطه	هيئات يطمع أنه يرقى
كيف البقاء وقد جرى قلم	في اللوح أن الخلق لا يبقى
كل الذي سبق القضاء به	حتم الوقوع وكائن حقا
فاصبر لحكم الله وأرض به	ما قد قضى لا بد أن يلقي

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

بَابُ مِنْهُ

تبارك الذي جرت بالسوابق أقلامه ، ومضت في الخلائق أحكامه ،
وأوضح طريق الخير والشر ، أمره ونهيه وحلاله وحرامه .

أحمدته حمداً يتصل به إنعامه . وأشكره شكراً يفوق دوام السموات
والأرض روائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لو باشرت القلب المجلى
واستنار ظلامه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكمل الله بيعته دين الإسلام ، وأتم
بشرعه معالم الحلال والحرام ، فاستمر المدين كماله ، واستقر من الشرع تمامه ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة باقية ببقاء الدهر وبعد ما تفنى ليااليه
وأيامه ، خصوصاً على خليفته : الإمام أبي بكر الصديق الذي رجح موازين الأمة
ميزانه ، وسبق اسلامهم إسلامه . وعلى فروقه : الإمام عمر بن الخطاب الذي ما
زالت أيام الإسلام به زاهرة ، وشرائع الدين ظاهرة ، إلى أن فجعنا به حمامه . وعلى
ذي النورين : عثمان بن عفان ، الذي كتب القرآن ، وأرسله إلى أمصار الإسلام ،
فلا تصح الصلاة إلا بما احتوى عليه إمامه . وعلى أبي السبطين : الإمام علي
ابن أبي طالب ، الذي أفحم القائلين كلامه ، وهزم الضالين إقدامه . وعلى سائر
الآل والأصحاب ، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج السنة والكتاب حتى لا
يبقى أحد من حزب الله يوم المآب ، إلا تغمدته من العزيز الوهاب : صلاته
وتشريفه وإكرامه .

اللهم . . واهد ثواب ما نتلوه من كتابك العزيز إلى أمواتنا وأموات المسلمين^(١) .

اللهم . . نور بالقرآن ظلماتهم ، وضاعف بثواب القرآن حسناتهم ، وارحمنا

(١) راجع في وصول ثواب القرآن للميت كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي /
من تحقيقنا ط دار إحياء الكتب العربية

فيما بقي من أعمارنا، وإذا صرنا إلى ما صاروا إليه أكرم نزلنا يوم القدوم عليك، يا أكرم من تقدم الوفود عليه. افعل اللهم ما سألناك من الخير بنا وبسائر المسلمين، واحشرنا وإياهم في زمرة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا مجلس عقده قدرة العزيز الرحيم .

لله علينا باجتماعنا فيه خير كثير وفضل عظيم ، لأنه مجلس لذكر الله وذكر آلائه ، لم يحضره إن شاء الله إلا من هو ولى الله أو محب لأوليائه . فاجعلوا شكر نعمة الله عليكم فما يهديه من الهدى فى هذا المجلس إليكم ، أن تحضروا بالقلوب كما أنتم بالأبدان حاضرون ، وتكونوا عاملين بما أنتم له سامعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون .

* تفسير سورة القدر *

نستنزل رحمة الجليل ، بتفسير شيء من التنزيل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « بسم الله الرحمن الرحيم » « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر « (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا ، ثم كان الله ينزله على رسوله نجوماً بعضه فى إثر بعض ، فذلك قوله : « فلا أقسم بمواقع النجوم » (٢) وقيل : بل كان فى كل

(١) سورة القدر كلها .

(٢) راجع الموضوع فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٨ الطبعة الأولى مصر / بيروت - من تحقيقنا

سنة يستنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما يحتاج إليه الأمة في تلك السنة، فيكتبه السفارة في هذه الليلة . كما قال تعالى : «فيها يفرق كل أمر حكيم» .

وإنما سميت هذه الليلة ليلة القدر : لأن الله تعالى يقدر فيها أمر السنة إلى السنة الأخرى أحكام بلاده وعباده ، وكذلك عظم الله قدرها بقوله : «وما أدارك ما ليلة القدر» تعجباً لنبيه ﷺ من جلال قدرها . ثم نبه على شرفها وفضلها فقال : «ليلة القدر خير من ألف شهر» قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر .

ثم قال تعالى : «تنزل الملائكة والروح فيها» الروح : هو جبريل عليه السلام، يهبط جبريل والملائكة إلى أرض القدر بإذن ربهم . أي بأمره ينزلون، كما قال تعالى عن الملائكة : «وما ننزل إلا بأمر ربك» . قوله : «من كل أمر» أي ينزلون بكل أمر من الخير والبركة لصوم شهر رمضان .

وفي قوله : «سلامه» أمران : - أحدهما أنها ليلة سليمة من كل آفة وعاهة وبلاء وفتنة حتى مطلع الفجر ، أي إلى مطلع فجرها . - الثاني : أن الملائكة إذا مروا بمؤمن أو مؤمنة في الصلاة سلموا عليه من ربه يقولون : سلام عليك يا مؤمن تصيب كذا وكذا من الخير . يخبرونه بما سيلقى في سنته ، حتى يقولوا له : وأنت متزوج فلانة . ولا يسلمون على مدمن خمر ولا ساحر ولا كاهن ولا مصر على الزنا .

فظوبى لعبد وفق لموجبات الرحمة ، ورزق عزائم الغفران ، واستمر على فعل الخير إلى حين الخاتمة ومفارقة الشيطان .

اليوم : سوق الآخرة كاسد ، وسوق الدنيا في نفاق . فلهذا عمل الدنيا علينا سهل وعمل الآخرة شاق ، فإذا تجلّى من أمر الآخرة ما هو اليوم مستور عن الخلائق ، تمنينا أن أيام الحياة كانت كلها صياماً وقياماً ، ووددنا لم نعط

من الدنيا إلا ما كان لا بد أن يكون قواما .

فاستهينوا اليوم بركوب الأهوال ، في الحصول على الوصول إلي إحراز
الوصال ، قبل أن يفرط الأمر ، ويزجو البحر ، ويخرب القصر ، ويعمر القبر ،
ويكاد المقام أن يكون على جمرة ، وحسرة أحر من الجمرة ، ويسكر سكر ندامة
لا سكر خمرة .

* * *

لَهْفَ عُمري على انقضاء العمر	في ذنوبٍ أنقض الوزر ظهري
استهل الشهر الشريف فيمضي	من حياتي وما انتفعت بشهري
أيها الحائز الوصال هنيئا أنا	ماذقت غير طعم الهجر
ما مرادي إلا وصال حبيبي	ليلة الوصل منه ليلة قدر
من سفيرٍ إليه في كشف ضري	من شفيعي إليه في جبر كسري
لذذ السمع يا سميري بذكر	اسم حبيبي فذكره روح سرّي
قل وخذ مهجتي جزاك منّي	بسم الله يجلو هموم قلبي وصدري
قاسمه راحتي وروحي وأنسي	في حياتي وفي مماتي ونشري

* * *

اسم الحبيب الأول ، اسم من ليس على غيره يُعوّل . كل ما نحن فيه
من بعض ما خوّل ، ما سلا عن حبه إلا من قد استحوذ الشيطان على قلبه .

* * *

يامن عليه في الخطوب مَعَوَّلٌ وبه إليه تَشَفُّعِي وتوسُّلي
عذلوا عليك وفي الفؤاد صَبَّارٌ يلهمي المسامح عن كلام العُدُل
قالوا هَوَاهُ قاتلٌ فأجبتهم لا رأي لي في الحب إن لم أقتل
يامن يجب سوى الجواد لحسن البرِّ الرَّحِيمِ المنعم المتفضل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأزل

أما القلوب فموقوفة عليه ، وأما الأرواح فمرتاحة إليه ؛ وأوصلوا الصوم
عما سواه ، لتحرزوا منه الوصال ، ولا نرى ليلة العيد إلا ليلة الانتقال .
لا يزال وليّ الله من صومه عما ألهمى عن الله مؤثقا في القيود ، فإذا
مات استهل هلال العيد واستطلع طالع السعود .

ما العيد عندي سوى وصالٍ لو وفيتني روعة الصدود
إن نلتُ ممن أحب وصالاً فذلك اليوم يوم عيدي

الصائمون ثلاثة ، والمعيدون ثلاثة :

- صائم عن المفطرات المتناولة للبطن والفروج . ومعيد إذا أذن شهر صيامه بالخروج .
- صائم عن المحرمات المحظورة في الكتاب والسنة . ومعيد إن زحزح عن النار وأدخل الجنة .
- وصائم عن كل ما ألهاه عن مولاه . ومعيد إذا قدم عليه تلقاه برضاه وتحلى له حتى يراه .

فصم هذا الصوم بهذه النية ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نواه .

* * *

صمت دهرى عن كل شي سواكم	وجعلت التَّعْيِيدَ يومَ أراكم
ليس سؤلي سِوى رِضاكم	فمَنُّوا يا أَحِبَّتِي بِرِضاكم
لا نعيمَ إلا نعيمَ هَواكم	كما لا عذابَ إلا عذابَ قَلاكم
أنا مُسْتَشْفِعُ إليكم بِذَلي	وخيضُوعِي لِعِزِّكم وَغَلاكم
بكم وَقيدَ حلفت لا زلت في	السَّيرِ مُجَدًّا حَتَّى أَحلَّ حِماكم
ولو أَنِّي أَطعْتُ أَغْمَضْتُ عَيني	عن جَميعِ الوجودِ حَتَّى تَراكم
إن أَنلَ وَصَلُكم بِالْفَضلِ مِنكم	أو أَمَتُ في هَواكم فِداكم

* * *

من كان في الله مِماتَه ، كان بالله حَياتَه . ومن كان في الله هَلاكَه ، كان في الله نِجاتَه . فوجهوا الوجوه إليه ، واذبحوا النفوس عليه ، ولا تؤملوا راحة دون لِقائِه ، ولا تمدوا أيديكم إلى غَيرِ عِطائِه .

فكل من لا يجبره الله فهو كَسيرٌ ، وكل من لا يغنيه الله فهو فقيرٌ .
لا تنال الفضل إلا مِن جودِ مَنْ كل الورى مِن فَضلِ جوده سائلٌ ، إلى نَداءِ فقيرٍ .

كم له من عِتقاء صاروا من ملوك الآخرة ، بعدما كان في قبضة السعير
السيد أسير . يا فقر من لم يحصل على الغنى من فَضله ، ذاك الذي مات
عطشان وهو وسط غدِير .

اطلبوا حياة القلوب من موت الذنوب ، وأحيوا ما بقي من لِياليكم في
خدمة علام الغيوب . واغتنموا عمراً باقية لا يَبقى ، وماضيه لا يَؤوب ، يا من

قد شاب وهو بالذنوب مشوب ، يا غيبة احتوت على كل غيوب ، بادر ،
فالشمس قد تدلت للغروب ، والعمر كالثلج كلما جاءت يذوب .
غرس الله كرامة أوليائه ، ثم ختم عليها ، فلا أُذُن سمعت بها ولا عين
نظرت إليها . فإذا كان يوم الجزاء فضت تلك الختم ، وظهر السر المكتوم ،
فندم أهل التقصير حين لا ينفع الندم ، ونادى منادي الكرم : سيعلم أهل
الجمع اليوم ، من أولى بالكرم ، إنهم المتقون ، وما أدراك ما هم ؟ هم الذين
تركوا في مرضاة الله مشتهاهم ، وخالفوا في موافقة الحق هواهم . فلو قيل
لهم : تمنوا . لكان القرب مناهم . ولو قيل لهم : ترقوا لكان إلى الحضرة
مرتقاهم .
أولئك الذين أنعم الله عليهم وأرضاهم ، لأنه لم يفقدهم حيث أمرهم ،
ولم يرهم حيث نهاهم .
جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرةهم ، وبلغنا مناهم .

* * *

المجلس الرابع والعشرون

طلب الوصال

الحمد لله المستمر الدوام والبقاء ، وهو أهل الحمد والشكر والمدح والثناء
هو الرب الواحد وكل من سواه مربوب ، ليس لعاقل من دونه معبود ، ولا
لعارف غيره محبوب ، خلق الخلق ليربحوا عليه ، ثم شرع لهم ما يقربهم به
إليه ، ويحظيهم به لديه .

فالصلاة نورهم ، والصوم طهورهم ؛ فمن أقام الصلاة ، وأدام الصيام ،
فقد حصل له بربه الاتصال ، وتم عليه منه الإنعام ؛ ومن لا صلاة له ولا صيام
فهو أضل سبيلاً من بهيمة الأنعام ، نصبت له موائد الكرم ، فلم يجلس مع
الكرام الذين أخمصوا بطونهم من فضول الطعام ، وأصمتموا ألسنتهم عن
لاغيات الكلام ، وفرغوا قلوبهم للمناجاة في جنح الظلام ، فارتقوا إلى ذروة
الرزق ، وسقط غيرهم في مهول الحرام .

* * *

مَسْنِي الضَّرُّ مِنْ رَكُوبِ ذُنُوبٍ	أثْقَلْتَنِي بِالسَّوْرِ وَالْآثَامِ
كَمْ زَمَانٌ مَعْظَمٌ فِيهِ تَرْجَى	تَوْبَةٌ مِنْ رَكُوبِ ذَنْبٍ حَرَامِ
ثُمَّ يَمْضِي يَوْمِي وَشَهْرِي وَعَامِي	وَسَقَامِي كَمَا عَهَدْتَ سَقَامِي
خَادِمُ اللَّهِ لَا يَمَلُّ مِنَ الْخِدْمَةِ	حَتَّى يَسْقَى بِكَأْسِ الْحَمَامِي

* * *

يا من أفرح لهم الهجر قلبه ، قم إلى طلب الوصال .
ويا من قد أثقل الأوزار ظهره ، اطرَحْ عنك هذه الأثقال .
راجع المعهود ، وراع العهود ، واغسل بحلاوة الوصل مرارة الصدود .

أقبلَ الوصلَ حينَ ولَّى الصُّدود	فربيعُ الأفراحِ غَضُّ جديد
ورواقِ الإقبالِ والعزِّ والبهجة	والأنسِ فيـمـا وقننا ممدود
وقميصِ الهجرانِ والصدِّ والإعد	سراضِ والبينِ والقلَى مسقودود
قمُ فقيدُ أنجز لك يا مسكين	من تحت تلك الوعدود
كسادِ عودِ الوصالِ ينسى فعداد	ألماً فيه واخضر ذلك العودود
وانقضت دولة الشقاء والحزن	وأوفى سيرورنا السعدودود
إن توفي الأيادي وتوفي	بوعود البشري وترعى العهودود
احذر الطرد بعد ذا الصلح ما	فني كل وقت يصيـالـح المطرودود
تب إلى الله من ذنوبك في	وقتك هذا فالوقت وقت سعيدود
لا تعد الذنوب فالتكس (١) في	الإسقام بعد الإبراء منها شديدود

هذا وقت توبة المصرين ، وتشمير المعصرين ، وإقبال المعرضين ، وانتباه الغافلين .

فأذبيوا شحوم الشبع بنار الجوع ، واتشحوا بمشقة السهر راحة الهجوع ،
وقلّلوا حضور الأشواق اللعينة ، واعتزلوا الشواغل الملّية ، وأشركوا صلحاء
الفقراء في طعامكم ، وضمّوا الأرامل والآياتم إلى عيالكم ، وأطيبوا المطاعم ،
وصوّنوا الجوارح ، ونزّهوا النفوس ، وطهروا القلوب ، والزموا الطاعة ، وعانقوا
القناعة ، وأديموا العبادة ، وأكثروا الذكر ، وأقلّوا اللغو ، وأنزلوا أنفسكم بقية
(١) التكس والانتكاس : عودة المرض إلى المريض بعد شفائه منه وهو أخطر من المرض الأول .

العمر بمنزلة مريض بحمى ، أياماً قليلة رجاء عافية الدهر ، أو بمنزلة كسير
يحتمل مشقة الرباط ليحصل له العبر .

* * *

قد أطلتكم صدّي وطردّي وهجري	فمئني تجبرون بالوصل كسري
مسنّي الضرّ منذ هجرتم ومالي	غيركم من أرجوه يكشف ضري
كم بعبادٍ وجفوةٍ وصدودٍ قد	فنى في البعاد والهجر بعدي
طال عنكم بالبعد صومي فيمتي	تغرب شمس النأى ويحضر فطري
يوم عيدي إذا انقضى الهجر عني	أما ليلة الوصل فهي ليلة قدري
آه واقبح تفريطي في ساء	عتي ويومي وعامي وشهري
من مجير من الذنوب فقد	ألبس وجهي شيئاً وانقضّ ظهري
كلما تبت قد نقضت فما	أخوفني أن أزور قبوري بوزري
عند ربّ الخير الكثير	ولكني حرمت الخير لشري
ربّ جد لي برحمة تغسل العار	وتمحو وزري وتصلح أمري

* * *

من عرف الله بالرحمة رجاء ، ومن عرفه بالانتقام فحق له أن يخشاه ،
ومن عرفه بما هو أهله من كمال الجمال انشرح برحيق هواه عن رجائه وخوفه
حتى يلقاه .

* * *

أَصُومُ لَوَجْهِهِ عَسَمًا سِوَاهُ فَسَلَا إِفْطَارَ لِي حَسْتَى أَرَاهُ
وَأَحْسَمِي مَنِيَّةَ الدَّارَيْنِ قَلْبِي فَمَسَالِي فِيهِ إِلَّا رِضَاهُ
وَكُلُّ هَوًى يَمِيلُ إِلَيْهِ صَبَّ عَلَيَّ مَسْحُورٌ إِلَّا هَوَاهُ
أَوَالِي مِنْ يَوَالِيهِ بِجَهْدِ وَلَسْتُ بِخَاضِعٍ لِسُورِ عِلَاهُ
وَلَسْتُ بِطَالِبٍ لِسُورِ يَدَيْهِ وَلَسْتُ بِخَاضِعٍ لِسُورِ عِلَاهُ
أَرْجَى الْقُرْبِ مِنْهُ وَهُوَ مُعْطٍ يَدْلُغُ كَسْلَ ذِي أَمَلٍ مِنْهُ

الأوقات الشراف مواسم الأشراف ، يعرفون لها جلال قدرها ، ويرغبون
إلى الله في عظيم تزيد العامل نشور في العمل ، وتطلق العاقل من عقال
الكسل .

فأقيموا في هذه الأوقات المباركة دين الله حق الإقامة ، ولا تهتموا
بتحصيل الغنيمة إلا بعد احراز السلامة ، فإن فاعل الخير غائم ، وتارك الشر
سالم ، العاقل هو الذي تهمة سلامته من المعاطب ، قبل أن يهيمه تحصيل
المكاسب .

فردوا المظالم إلى المظلومين ، قبل أن تتصدقوا على الفقراء والمساكين .
واجعلوا عنايتكم بأوامر المفروضات والواجبات ، مقدمة على التطوع بالنوافل
والمستحبات . وصونوا بطونكم عن المكوس والغصوب ، قبل أن تصونوها عن
المأكول والمشروب . وامسكوا ألسنتكم عن الكلام القبيح ، وأطلقوها بالتهليل
والتسبيح . فإنما ينتفع المريض بشرب الدواء ، بعد الحمية من أسباب الداء .
فأما أهل التخليط على نفوسهم في أمر أبدانهم وأديانهم فتهيئات أن يقوم
ريحهم بخسرانهم .

أسس الدين بالتقوى يرتقي كل مرتقى
كلما قلت قد مضى زمن الصبر والشقا
مذ غبت عن مقلتي دمعها قطره أرقا
صومه مدّه الفراق أتى ساعة اللقـ

إنما ينفع الدواء إذا صادف التقا
عدت في سجلّ سوء حالي باليد مؤثقا
ارحموا مدنفاً يذوب عليكم تشوقاً
ساء عيده يوم يصبح العود بالوصل مورقا

العاصي لا يزداد بطول الحياة إلا مقتناً وطرداً ، وكل صلاة لا تنهى عن
الفحشاء والمنكر لا تزيد العبد من الله إلا بعداً .

ما عدل من خلقه الله ورزقه ثم صار لغير خالقه ورازقه عبداً ، ويوجب
بمخالفته مقتناً ، ويطمع أن ينال وداً ، ﴿ أطلع الغيب أمر اتخذه عند الرحمن
عهداً ﴾ (١) .

أكذب الرجاء رجاء أهل الإساءة ، وأسوأ الجزاء جزاء أهل المعصية ،
وأقت الخلق إلى الله عبد مسيء في عمله ، معجب بنفسه .

من صام وأفطر على الحرام فلا صام ولا أفطر ، ومن حج بنفقة من حرام
لم ينظر الله إليه ولا إلى حجه .

اجتهد أن تتوب قبل أن تموت ، فما أعسر خلاص من لقي الله مصراً
على ذنبه .

إذا لم يتيسر لك ترك جميع الذنوب فترك الكبائر والمظالم ، فإن الصلاة
والصيام والاستغفار تكفر ما سوى ذلك من المآثم .

إذا عاملت ربك بأمرين كفاك ما سواهما : الإسلام والتوبة . فإن أضفت
إليهما التمسك بالسنة فأنت من ملوك الجنة ، فإن رزقت مع ذلك الذكر
الكثير الخالص فأنت من ملوك أهل الحضرة .

نافسوا في اقتناء النفائس ، فإنما يجني أحدكم ماهو اليوم غارس . كم
من فارس اليوم وهو غداً راحل ، وكم من راحل اليوم وهو غداً فارس .

(١) سورة مريم الآية ٧٨

لا إله إلا الله ، شارع الشرع بحكمته .
 لا إله إلا الله ، مجازي العاملين بجنّته .
 لا إله إلا الله ، مخصص العارفين بحضرته .
 لا إله إلا الله ، غامر الخلق برحمته .
 الذين أسهروا له العيون ، وأخمصوا له البطون ، فهم طول دهرهم عما
 سواه صائمون ، وفي مسجد الخلوة عليه عاكفون .
 جعلوا مدة الحياة صومهم ، ليكون الموت عيدهم . وقنعوا أيام العاجلة
 بالخلق ، ليلبسوا في الآخرة جديدهم . فلما أنجزوا لله من أنفسهم وعوده ، أنجز
 لهم من نفسه وعوده . فأوى طريدهم ، وأدنى بعيدهم ، وعوضهم من شقائهم
 سعوده . إنهم قد جعلوا أنفسهم عبيده ، فجعل الولدان المخلدون عبيدهم .
 من كان عبداً فذاك مولاه الموالي ، ومن تولاه أضحى على الخليقة والي

* * *

وَلَيْ عَنْ الْكَوْنِ لَمَّا وَالَى الْجَنَابُ الْعَالِي يَا فَوْزَ عَبْدٍ لَهُ الرَّبُّ مُكْرِمٌ وَمُوَالِي
 قَدْ حَلَّ مِنْ قَرَبٍ مَوْلَاهُ بِسَامِيَاتِ الْمَعَالِي وَنَالَ مِنْ طَيْبٍ وَصَلَ الْحَبِيبُ كُلَّ مَنْأَلِي
 مُسْرِيلاً بِسَرَابِلِ الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ لَا يَخْطُرُ الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مِنْهُ بِيَالِ
 يَا حَسْرَتَا ضَاعَ عَمْرِي فَحَالَ بِالْبُعْدِ حَالِي كَيْمَ ذَا تَشُوفُ نَفْسِي بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 وَإِلَى مَتَى أَتَرْجَى بُلُوغَ أَمْرِ مُحَالِي لَا يَبْلُغُ الْمَجْدُ إِلَّا بِالشَّدِّ وَالتَّرْحَالِ
 وَالزَّهْدُ فِي دَارِ دُنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِزُوَالِي وَالصَّوْمُ حَتَّى يَكُونَ التَّعْيِيدُ يَوْمَ وَصَالِي

* * *

جميع الطاعات والعبادات التي يتقرب بها إلى الله المتقربون ، لها شريعة
 يرونها الناقلون . وحقيقة يفقهها العارفون . ولا شريعة ولا حقيقة إلا وهي فيما

جاءنا به عن الله المرسلون . فمن عمل بالظواهر المعتاد ، وأهمّل الباطن المراد ، فليس هو من أولي الألباب ؛ لأنه اشتغل بالقشر عن اللباب .

رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب ، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الظمّ والتعب ، فأمنوا إلى ظاهر الشريعة باطن الحقيقة ، واسلكوا مع السالكين إلى الله أحمد الطريقة ، وافطموا هذه النفوس عن سوء الرضاع ، فإنما شرعت لكم الطاعات لتقلّكم عن رديء الطباع .

إلى متى أكلاً وشرباً ونوماً ؟ فقد آن أن تذيبوا شحوم الراحة والشبع صلاة وصوماً ؛ فكل ما أنتم فيه عما قليل زائل ، ولو كان دائماً لا يزول فما هو بطائل ، ولا له حاصل .

أين أنتم عن مخاوف البر الرحيم في جنات النعيم؟ أين أنتم من لذة المناجاة إذا أرخى سدوله الليل البهيم؟ يالها لذة ما ذاقها إلا ذو فطن هضم ، وقلب سليم ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١) .

عبادتان مؤكدتان في عبادة الإسلام : إحداهما - الصلاة . والأخرى - الصيام . ومن أدام فعلهما غفرت له الإساءة ، وضمن له الإحسان ، وسلك في محجة الإيمان إلى دار الأمان .

إنما كان الصوم والصلاة موجبين لغفران الذنوب لما فيهما من تطهير النفوس وإصلاح القلوب ، فالصوم يجلو عن مرآة الباطن ، والصلاة يجلى فيها ما هو من الشر كامن .

فيا خيبة المحجوبين ماذا فاتهم من المشاهدة ؟ لأنهم رضوا أن يبيتوا ويطرونهم ملأى وعيونهم راقدة ، ليلهم أضغاث أحلام ، ونهارهم لغو الكلام وكسب الحطام ، فبهيات أن يذوقوا من حلاوة مناجاة الله ما ذاق أهل الصلاة والصيام .

* * *

(١) سورة فصلت الآية ٣٥ .

لو أدمتُم عِمّا سِواه الصِّيَامِ
وأَقِمْتُم فِي الصَّلَاةِ لَهُ فَطَوْرًا
لَوِجِدْتُم لِدَاذَةٍ لَمْ يَذُقْهَا مُسْتَلَذًا
حِمٌّ عَلَى مَا حَامُوا عَلَيْهِ عَسَى
دُمٌّ عَلَى السَّيْرِ مُدْنَفًا وَصَحِيحًا
قَمٌّ عَلَى الْبَابِ خَاضِعًا وَذَلِيلًا
أَمْ ذَاكَ الْحِمَى الْمَنِيعَ تَصِيرُ
صَمٌّ عَنِ الْغَبَائِرِ إِنْ تَمَّا
حَامٌ عَنِ ذَلِكَ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ
لَائِمِي كَفٍّ وَكَيْفَ أَصْفِي
أَنَا إِنْ هَمَّتْ فِي هَوَاهُ فَكَمْ

وَأَطَلْتُمْ جُنْحَ الظَّلَامِ الْقِيَامَا
رُكُوعًا سَجْدًا وَطَوْرًا قِيَامَا
إِلَّا الْمَلُوكَ الْكَرَامَا
تَكْتَبُ مِمَّنْ عَلَى الْمَكَارِمِ حَامَا
لَمْ يَصِلْ غَيْرُ مَنْ عَلَى السَّيْرِ دَامَا
لَمْ يَلْجُ غَيْرُ مَنْ عَلَى الْبَابِ رَامَا
فِي خَيْرٍ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامَا
ذَاقَ طَعْمَ الْعِيدِ مَنْ عَنْ غَيْرِ الْأَحِبَّةِ صَامَا
فَلَا مَا جَدَ إِلَّا الَّذِي عَنْ الْمَجْدِ حَامَا
وَفِي الْقَلْبِ مِنَ الْوَجْدِ مَا يَذُودُ الْمَلَامَا
مَنْ ذِي حِجِّي فِي هَوَاهُ هَامَا

* * *

لو درى المطرود مافاتِه ، ومن أين للمطرود أن يدري ، لذرف دموع
الأسف حتى تظل على الخدود تجري ، سرت الركاب إلى وصال الأحباب
وركابه لا تسري ، ما شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ومن الناس من يشري .

* * *

عِيلَ فِي حَبِّكَ صَبْرِي وَتَحَيَّرْتُ بِأَمْرِي
أَطْلُبُ الْوَصْلَ فَلَا أُعْطَى سَوَى صَدِّ وَهَجْرِي
مَسَّنِي الضَّرُّ وَفِي قَدْرِهِ حَتَّى كَشَفَ ضَرْيَ
لَيْلَةَ أَنْظُرَ فَيَهَا وَجْهَهُ لَيْلَةَ قَدْرِي
جَبْرُونِي بِوَصَالِ طَالِ بِالْهَجْرَانِ كَسْرِي

* * *

اللهم اجبر كسرنا ، واكشف ضرنا ، يا كريم يا رحيم .

مواظبة مهمة

موعظة فى انتظار الفرج

اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، أنت وحدك صاحب الأمر وإليك المنتهى

فمن ذا يرجو سواك ، أو يخشى لك الآخرة والأولى ، وبيدك مفاتيح الرحمة والهدى ، من حصل له منك الرضا فأولئك لهم الدرجات العلى ، ومن يحلل عليه غضبك فقد هوى ، فأمه هاوية لظى .

المعافي من عافيت ، والمبتلى من ابتليت ، والحكم ما حكمت ، والقضاء ما قضيت .

كل معبود سوى وجهك الكريم باطل ، وكل مُلكك الكبير زائل ، وكل ظل سوى ظلك الظليل قالص ، وكل فضل سوى فضلك العظيم ناقص .

سبحانك وبحمدك كما يتبغي لعز جلالك ورفيع مجدك ، سبحانك وبحمدك عدد نعمك ومدد رفدك ، بيدك البسط والقبض ، ولك مقاليد السموات والأرض . الرضا منك أهم الهمم ؛ والرضا عنك فرض الفرض .

اللهم فارزقنا الرضا منك ، ووفقنا للرضى عنك ، ولك الحمد على كل الأحوال وفي جميع الأحيان وبكل المستعان وأنت المستعان وعليك التكلان ، فمن أكرمته فهو المكرم ، ومن أهنته فهو المهان ، ومن خذلتَه فهو الخذول ، ومن أعنته فهو المعان . لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض ، الحنان المتأن . حنانيك يا حنان ، يا من يباهى لقاصده مما يخاف أمان ، وحالي أنت تعلمه ، وهل على الرب يخفى حالة ومكان .

* * *

إذا لم تَجِدْ لِي أَنْتَ مَنْ ذَا يَجُودُ لِي إذا لم تَحِطْ لِي أَنْتَ مَنْ ذَا يَحُولُ لِي
إذا لم تَحِطْ لِي أَنْتَ مَنْ ذَا يَحُولُ لِي أتَيْسَتْكَ أَشْكَو مِنْ عَدْوَانِهِمْ
حَسِبْتَهُمْ عَوْنِي فَلَمْ أَر قريني ونفسي ثم دنيائي والهوى
وقد كان عني الغش منهم معيباً إلى متى كم أنا بين العدى وإلى
عسى فرج من راحم بملايس فمن وفق الرحمن فهو موفق
وإذا لم تَعْنِي أَنْتَ كَيْفَ أَعَان إذا لم تَصْنِي أَنْتَ كَيْفَ أَصَان
على كل ما خَوَّلْتَنِيهِ أَخَان سوى أن على النائبات أَعَانُوا
ظننتم لما زامنين فششانوا فها قد بدا لي اليوم فهو عيان
متى أضام على المدى وأهان من الدين والتقوى من أدان
ومن يعن الرحمن فهو معان

واعلم أنه كأن لم تكن شدة إذا كان بعدها فرج ، وما أطيب حلاوة
التوسعة إذ يشتد الحرج ، لا تعرج في شدائدك على غير باب الله فما على غير
باب الله متفرج ، ولا تستغث بسوى العزيز الرحيم عند إحاطة الكرب العظيم ،
فهو المنجي من الهلاك والمنقذ من اللجج .

ما أعز جناب من احتسمى بجنايه ، وما أوثق أسباب من تمسك
بأسبابه ، ذاق طعم الذل من وقف على غير بابه ، وتاه في أودية الضلال من
استهدى بغير كتابه . الحمد على ما أنعم به من كتابه المستبين ، وصراطه
المستقيم ، ونسأله تمام نعمته في إقامة دينه المتين ، ومتابعة رسوله الكريم ، كان
صلى الله عليه وسلم .

بالرجوع إلى الله تعالى في كل حال ، لعلمه بأن الرجوع إلى غيره
ضلال ، وأن ليس من سواه إلا خيبة الآمال وفساد المال .

في غير وجودك خابت الآمال ورجا رحمة من سواك محال
وسلوك كل الطرق في طلب الغنى إلا طريقك حيرة وضلال
فإذا رضيت فكل نار جنة والمرحلو والصيود وصال
وإذا غضبت فكل نور ظلمة والريح خسر والنعميم وبال
هب لي رضاك فما أبالي بعده إن نلت أن لا أنال منال

* * *

أيها العبد المخلوق في كبد ، استعن بالله وعليه استند ، فنعم العون ونعم
المستند ، ولا تعتمد على أحد سواه ، فما في الوجود إلا إياه ، من عليه يعتمد .
واصمد في حوائجك إليه ، فهو الله الصمد ، كم فرج من كرب ،
وكم ثقف من واد وكم نظر إلى ذي شقوة فأسعده إلى الأبد .

* * *

يا من علاه الحزن والكد وامتد في مكروهه الأمد
وغدا إماماً في الشقاء فما في عظم بلائه أحد
أقصد لضررك باب مقتدر ما خاب وقد في بابه قصد
قل يا مفرج كل ضائقة وعليه دون الخلق يعتمد
يا من إذا ضاقت مذاهبنا فإليه في التفريج يسند
ها قد صمدت إليك ملتصا فرجى وأنت الواحد الصمد

* * *

إذا أردت أن تعرف بعض ما لله أهله من تفريج الكروب ، وإغاثة الملهوف
والمكروب ، وإغاثة الملهوف والمكروب ، فتذكر ما كنت فيه في ضائقة الأحشاء ،
إذ لا تبطش مع من يبطش ، ولا تمشي مع من يمشى مسجوناً في أضيق

السجون ، لا تشعر بما يكون وما لا يكون قد جمع بطنك ، وساقاك إلى
فخذيك ، وحررت بذقنك على ركبتيك، مربوطاً بالربط اللوازم، مقموطاً في
قمط المشائم، لا تعرف الليل من النهار ، ولا تفرق بين الغائب والحاضر
مكتوف اليد والرجل والسمع والبصر ، لا تستوحش لمن غاب ولا تستأنس من
حضر.

يخلق خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ليس لك إلى غير الله
ملجأ ، ولا من دون الله مستعان ، فبيناً أنت في تلك الضائقة والحرَج ، لا يقدر
أبواك ولا غيرهما على توسعة ولا فرج ، إذ أرسل الله إليك من ملائكته الألفاظ
من حل عنك تلك الروابط ، وقطع عنك ذلك الكتاف ، ثم دبرك وأنزلك من
لطفه بما لا تهتدي العقول إلى وصفه ، فإذا أنت في سعة الفضاء بعد ضيق
تلك الأحشاء محفوفاً مرحوماً بأنواع الأرزاق من الأجانب والأقرباء ، هذا يلقي
عليك ناعم الثياب ، وهذا يسقيك بارد الشراب ، مخدوماً محفوفاً مرحوماً
مكنوناً فيما اشتهدت نفسك من لبن لم يتغير طعمه ، بقدره الخالق دروره ، وعند
الرزاق علمه .

حتى إذا تمت نعمة الله عليك في تمام نشأتك ، وبلغت النهضة والمعرفة
لا بحولك ولا بقوتك ، تحملت من الهموم ، وعلقت لغير كرم الله آمالاً ، وتخيرت
في شئائك من ذا تعول ، ولا ترجع إلى صانعك فيما نابك ولا تهتدي إليه ،
كأنك كنت المدبر لنفسك في أطوار الأرحام والأصلا ب .

جدد إيمانك ، فقد ارتبت بضمان خالقك ، كذلك يضل الله منهو مسرف

مرتاب

اللهم . . اهدنا ، ولا تضلنا ، يا أرحم الراحمين .

* * *

في ذمّ الملاهي

الحمد لله الذي لم يجعل لعباده التّحاب في غير مرضاته ، تعجب الناس من دوام إقبالهم على الله وهم يرون الإعراض عنه عجباً ، أدبهم الله بمعالم دينه فأحسنوا في معاملته أدباً .

فإذا أردت الوصول إلى ما وصلوا بسلوكهم إليه ، فأقبل على ما أقبلوا عليه ، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، كيف يلهو من وراءه برزخ إلى الموت بناصيته معقود ، ثم بعد الموت ظلمات الضرائح وضيق اللحود ، ومن وراءه برزخ إلى الوقت المعلوم واليوم الموعود ، ثم إن نجاة ، فبعدكم ينجو ؟ والسحق في نار الخلود ، فاستعد لذلك كله استعداداً صادقاً لا زوراً ولا كذباً وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

هب أنك لهوت في زمن الشباب ، وعذرت في سهوك وأوقات غفلتك ، فما عذرك اليوم في اللهو ؟ قد زجرك الإسلام والشيب عن الغفلة والعطلة والخوض واللغو .

تب إلى الله واتخذ الطاعات قريباً ، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

طوبى لمن مسرّاضى ربّه رغباً	ومن مصارع أهل اللهو قد هربا
قد وطّن النّفس أن الله سائله	ففر منه إليه مهيبا هربا
وللتّقي مركب ينجو براكبه	فيا نجاة الذي مع أهله ركبا
وللهدى رفقة فاسعد بصحبته	فيا سعادة من أهل الهدى صحبا

لله دُرٌّ عِبَادُ قُرْبِهِ طَلِبُوا لم يطلبوا فضة منه ولا ذهباً
ساروا بعزم وتشمير وما اتخذوا في سِيرِ دنياهم لهوا ولا لعباً
الصُّدُقِ مركبهم والحقُّ مطلبهم لا زورَ مَازَجٍ دعوهم ولا كذباً
أقامه الذين هم لا رغب في الأجـ سر إن غيرهم في الأجر رغباً
كذلك الاسد لا تبتغي إذا وثبت إلا الفريسة ليست تبتغي السلباً

أهل العزة بالله والغفلة عن الله ، لا في ثوابه يرغبون ولا من عتابه
يرهبون ، فكيف يطمعون في معرفته وهم بما عنده جاهلون ولأوامره مخالفون ،
وإذا ذكروا لا يذكرن ، وإذا رأوا آية يستسخرون ، وكأين من آية في السموات
والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون .

أمروا بعبادة الخالق وخلقوا لمعرفته ، فلم يقبلوا منه ولا أقبلوا عليه . وندبوا
إلى الإنابة والإسلام فلم يسلموا له ولا أنابوا إليه ، ولولا جهلهم بما أعد الله
لأوليائه لم يطلبوا إراحتهم إلا عند لقائه ، ولم يجعلوا رغبتهم إلا فيما لديه فهم
عن إجابة داعي الحق متشاقلون ، وإلى اتباع خطوات الشيطان متسارعون ،
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

ما أجهل من أعرض عن سماع القرآن ، وأصغى إلى مزامير الشيطان ؛ ما
أغفل كل من هتف به داعي الكرامة أجاب داعي اللهو والهوان والخسران ؛ ما
أخسر من رفض بضاعة الطاعة واقتنى بضاعة العصيان ، فتقطع عن قوم هم بالله
متصلون ، متصل بـ "م عن الله منقطعون ﴿ صُرِّبَكُمْ عَنْهُمْ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)
﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ١٧١ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٣ .

من حَادَ عَنْكَ قَسْرَاهُ المجنون
وعسلاً مَثْوَاكَ الدُّنْيَى فكل من
أشكو إليك البعد فهو بَلِيَّتِي
كَانَ الْأَنَامُ يَرُونَ أَنِّي عِبَاقِلُ
لَمَّا خَنَتِ وَقَدْ هَجَرْتُمْ بَانَ لِي
قَوْمُ جَنُوبِهِمُ السُّلُوفُ وَمَعِشَرُ
وَالْعِيقِلُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْكَ جُنُونُ
لَمْ تَعْلَمْهُ التَّقْيُودِيُّ فَذَلِكَ الدُّنُونُ
مَنْ لَمْ تَقْرَبْهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
ظَنًّا وَكَمْ يَخْطِئُ الصِّبَوَابُ ظَنُونُ
وَلَهُمْ بِأَنِّي جَاهِلُ مَجْنُونُ
فِي الْحَبِّ هَامُ سَوَا وَالْجَنُونُ فَنُونُ

شتان بين قوم سلكوا طريق الغمِّ وقوم سلكوا طريق الرشاد ، لقد خاب
الرامي بهم الخطأ وفاز الرامي بهم السداد ، كم من فقر سن في قبره السدس ،
وكم من مطروح على شوك العتاد .

فارحموا هذه الأنفس المسكينة وأكرموها عن الدنيا المهينة ، ﴿ اعلموا أنما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ (١)

يَا أَيُّهَا السَّالِكُ طَرِيقَ الرِّدَى
قَدْ أَن تَنْحُو طَرِيقَ الْهَدَى
يَا سَادَةَ عَقْدَ ضَمِيرِي بِهِمْ لَا تَسْأَلُوا
مِمَّاذَا لَقِيَ عَبْدُكُمْ
الْجَفْنُ قَدْ طَلَّقَ لَذِذَ الْكَرَى
لَوْ نَالَ طَرَفِي مِنْكُمْ نَظْرَةً
قَدْ قَلَّ فِي دُنْيَا حَظِّي مِنَ الْوَصْلِ
إِنْ كُنْتُ فِي آخِرَتِي هَكَذَا
قَدْ اشْتَرَى الْغِيَّ وَبَاعَ الرُّشَادَ
وَتَقْتَفِي سِيرَةَ أَهْلِ السَّدَادِ
إِنَّهُمْ صَفْوَةُ كُلِّ الْعِبَادِ
مَنْ بَعْدَكُمْ مِنْ ضَرْبِ يَوْمِ الْبِعَادِ
وَالْجَنْبُ قَدْ فَارَقَ لَيْنَ الْمَهَادِ
كَانَتْ لِقَلْبِي هِيَ أَقْصَى الْمَرَادِ
تَرَى مَا الْحَالُ يَوْمَ الْمَعَادِ
يَا حَسْرَةَ الْقَلْبِ وَحُزْنَ الْفَوَادِ

(١) سورة الحديد الآية ٢٠

قد ثبت في العلم المحكوم له بالثبات أن العبد يموت على ما عليه عاش،
ويبعث على ما عليه مات. فمن هنا ينبغي للمحجوبين اليوم أن يقيموا ماتم
العويل خشية أن يقل نصيبهم من الآخرة من الوصل كما هو اليوم قليل ﴿سواء
محياتهم ومماتهم سواء ما يحكمون﴾ (١).

فيا فجعة قلوب المحجوبين اليوم ، ماذا فاتهم والله الملك الجليل وحصلوا
على الشقاء الطويل . هذا جزاء من سمع داعي الهدى فتصامم عن إجابة
الداعي ، هذا جزاء من سمع داعي الهدى فقصرت عن الوصول إلى الله
المساعي ، يالها حسرة ما أوجعها وحسرتة ما ألدعها .

أما اليوم فقلب المطرود عن الإحساس بألم الفراق محجوب ، ولكن في
غدى عذاب الجحيم له مباشر ، وعليه مصبوب . كان في ظل الحياة راقد
فأيقظته رقدة الموت ، وكان عن سماع النصح متصامم ، فأسمعه الصوت ، أطار
النوم من عينيه ، وأزال الشكر من رأسه ، صرعه يوم الوعيد ، ﴿لقد كنت في
غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٢).

<p>نال مني عدوكم ميا يريد وأنا اليوم مبعّد مطرود في حرز الله ركّع وسجود ب منه فهو الرحيم الودود هو في وجه عبداكم مردود ولّي زماني والعُدّ بي معقود تائب فيه بعدها لا أعود كلما عدت بعدها لا أعود أهل أن تبذلوا الندى وتجودوا</p>	<p>كم يعاد وجفوة وصدود كنت بالأمس في الجناب قريباً يا عباد الرحمن يا من هم فاشفعوا بالذي أنتم بالقريب اذكروني فاستفتحوا إليّ باباً حلّلوا عقدة الصدود فقد كلّ ما لا يرؤىكم أنا منه اغفروا لي يا سادتي وامنوا لي يا أهل الفقر الميّر وأنتم</p>
--	---

(١) سورة الجاثية الآية ٢١ .

(٢) سورة ق الآية ٢٢ .

قد رثي لحالي الحسود مما ألاقيه ويا ذل من رثاه الحسود
كل هذا من سوء حظي محسود ومن يعص شوقي معدود
ارحموني فليس غير المولي راحم يلتجئ إليه العبيد
كل عبد وإن تشرد حيناً فالى باب مالك يعود

* * *

موعظة في الزهد والقناعة

أيها الساكن في دار الفرقة والرحيل ، أيها الضاحك في مواطن البكاء والعيول ، لا تركز إلى دار الغرور ، فليس لعقل إليها ركون ولا عليها تعويل ، أما سمعت نعتها بالقلّة في محكم التنزيل : «قل متاع الدنيا قليل» (١) من وثق بعهودها لم يجد لها عهداً ، ومن علق بوعود لا تفي لها وعداً ، حقها في كتاب الله الذم فكيف توليها حمداً ، بينما محبوبها معها في وصال إذا أولته صداً وأردته بعداً ، أمدّها قصير ونكدها طويل ، «قل متاع الدنيا قليل» .

* * *

يا آلفَ دارَ البُكاءِ والعيول عمرٌ قصيرٌ وعناءٌ طويل
قد آن أن تزهد فيما بقي منها فإن اللَّبثَ فيها قليل
اقتنع بأدنى عيشها وانحرف عنها فما ظلّها من مقيل
عزيزها عمّا قليل ذليل صحيحها بعد يسير عليل
لا تصلح الدنيا لغير التقي والزهد والبر وفعل الجميل
فمن يردّها لسوى طاعة الله فقد ضلّ سواء السبيل

* * *

طوبى لمن توكل على الله واعتصم بحبله ، وإذا نزلت به حاجة لمن ينزلها بمخلوق مثله ، وإذا أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله وثق بضمان من كل الخير في خزائنه وكل النوال من عنده . فتوسلوا بشافع كرمه إلى شافع نعمه ، فلا خير إلا من عنده ، ولا عيش إلا في ظله ، «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله» (٢)

(١) سورة النساء الآية ٧٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨

عجبت لمن يؤمن بما في القرآن من ضمان ثم يهتم لرزقه ، ولم يؤمن بغنى الخالق وكرمه ثم يطلب حاجته من خلق الله .

هو الفاتق الراق لا راتق لفتقه ولا فاتق لرتقه ، وهو أهل كل خير فإذا أردتم الخير فاطلبوه من أهله ، ﴿ وإن خفتهم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ .

من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجأؤه خائب ، ومن حدث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب ، لا يغيب عن عمله غائب ، ولا يعزب عن علمه عازب .

فتوسلوا بطاعته إليه ، وتوكلوا في حوائجكم عليه ، وآملوا الراحة عند لقائه ، ووجهوا الرغبة إلى ما لديه ، واسألوه يعاملكم بإحسانه ، واستجيروه أن يأخذكم بعدله ، ﴿ وإن خفتهم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾

أُتْرَى أَفْوزُ بِوَصْلٍ مَنْ لَا فَوْزَ إِلَّا بِوَصْلِهِ
وَأَقْوَمُ سِيلَ فِي ظِلِّ الَّذِي طَابَ الْمَقِيلُ بِبُيُودِ ظِلِّهِ
يَا طَيْبَ عَيْشِ الْبَالِغِ ذَاكَ الْجَنَابِ وَطَيْبَ عَيْشِ أَهْلِهِ
مَنْ نَالَهُ نَالَ الْمَرَامَ وَمَنْ فَازَ بِالْمَطْلُوبِ كُلِّهِ

جناب الله أعلى مرتقى من أن يبلغه الراقى باستفراغ جهده ، وجنة الله أعلى قيمة من أن يملكها المشتري بثمن من عنده .

ما للعبد إلا رحمة مولاه وعنايته بعبده ، فانفض عنك قصد من سواه وتحقق بانفراد قصده ، وتوكل على الحى الذي لا يموت وسبح بحمده .

إياك والطمع فيما في أيدي المخلوقين فالمطامع قاطعة الأعناق ، وصن وجهك عن استرزاق المخلوقين وتوجه إلى الرازق ، أخلقت (١) مساءلة الخلق

(١) أى أبكت وقطعت .

وجوه السائلين فأين أنت عن الخلائق ، أسأل من خيريه ، واستعذ من شره ،
وتعرض لعطائه ورفده ، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده .
من رزقه الله الكفاف والعفاف فقد ألْبسه ثوب الشرف ، ومن ابتلاه
بالمسألة والإلحاف فقد أوقعه في مهواة التلف ، ومن جعل رزقه من كسبه
وعافاه من الإسراف فقد وفقه لسيرة السلف . فاسلك سبيل من تعقّف عن
السؤال ، وترفع عن أوساخ أيدي الرجال ، وارض عن الله في جميع الأحوال ،
وثق بالخالق في ضمانه وصدق الوفاء في وعده ، وتوكل على الحي الذي لا
يموت وسبح بحمده .

* * *

إذا أثقلتُك السيئات بحملها	وأوقعك الشيطان فيها بجهد
ولحّت عليك النفس في شهواتها	وصرت لها شبه الأسير نفده
وضاق عليك الرزق في كل مدخل	ولم تلق ذا رفد بجود رفده
وأمسيت ذا فقير ودين وغرية	وهم قلد أحباط بجنده
وأحضرت ذكر القبر والموت والبلى	بقلبك حتى ضقت صدراً برده
وفكرت في يوم الحساب وما احتوى	عليه من الهول الشديد وإده
وخفت من الخيرات التي من ثوى بها	فذاك من الخيرات آخر عهده
هنالك فارفع قصة الحال ثم قف	على باب مولى سامع صوت عبده
وقل يا كريم انظر إلى حال عاجز	فقير عمى لا يهتدى طرق رشده
خزائنه فيها المطالب كلها	توكل عليه ثم سبح بحمده

* * *

موعظة في اليقين

الحمد لله الذي من اتبع هواه فلا يضل ولا يشقى ، ومن آمن به وكفر بما سواه فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن لم يتخذ من دونه وكيلاً فهو المؤمن حقاً ، ومن لم يتحقق بالإيمان فقد سبق إلى كل الخيرات سبقاً .

كن مؤمناً بالله حقاً تسبق إلى الخيرات سبقاً
كم يدع بلسان الإيمان إقراراً ونطقاً
فإذا اختبرت يقينه لم تلق ذاك القول صدقاً

لو أيقن المخلوق أن له على الخالق رزقاً ، ما كان يعبد بعد خالقه لأجل الرزق خلقاً .

شهادة أن لا إله إلا الله توجب عليه أن لا نتخذ من دون الله وكيلاً ، ولكننا نقر بها إقراراً صحيحاً ، ونعتقد اعتقاداً عليلاً .

لولا سقم العقائد لبنت منا القواعد ؛ أما القول فقائم ، وأما العمل فقاعد ، وأما الهوى فمستيقظ ، وأما العقل فراقد .

إذا حضرنا مجالس الذكر فالقلب غائب ، والجسم شاهد . فأحضروا الأفهام قبل الأجسام ، واستعدوا لتدبر المعنى قبل سماع الكلام ، ولا ترضوا أن يكون حظكم من معرفة الله تلبسكم بظاهر الإسلام ، ولكن طالبوا أنفسكم بتحقيق دعواها ، وامنعوا معرفتها بالله في نزل مشتهاها ، فإن هي تركت من

خشية الله كلما كان نهاها ، وإلا فاتهمرا بضعف اليقين . فمن ضعفه قوى
 الشيطان على العاصين ، ومن ضعفه ثقلت الطاعة والعبادة على البطالين ، ومن
 ضعفه ساءت ظنون المرتابين . ولو قوي يقين المخلوق بأن الله إليه في كل وقت
 ناظر، وعليه في كل حال قادر ، لما خطرت مخالفة الخلق له في خاطر ، ولما
 قصر في طاعة العزيز القاهر ، في فعل ما هو به أمر ، وترك ما هو عنه زجر .
 فاستجبروا بالله من ضعف اليقين ، فإنها آفة الظاهر والباطن .

* * *

<p>بقلبي من الأشواق داءً مخامرٌ ولو صدقت دعوى اشتياقي وكم مدّعٍ للشوق يزعم أنه ولو كان في دعوى المحبة صادقاً وكم قائل آمنت بالله وحده إذا سمع القرآن لم يصغ سمعه ويسأل رزق الله من فضل خلقه ولو كان في الإيمان بالله موقناً فلا توتر بالقول مما تقوله</p>	<p>إلى غائب عن ناظري وهو حاضر لم يكن لجسمي بعد البعد إلا المقابر كئيب حزين دامع الطرف ساهر لزار حماهم والسوق شواهر وفي قلبه شرك خفي وظاهر كأن ليس في القرآن ناهٍ وأمر ويخضع في أبوابهم وهو صاغر لسدت بفضل الله منه المفاقر فكم مؤمن بالقول والفعل كافر</p>
---	--

* * *

ثلاثة من الناس عناؤهم طويل ، وحاصلهم قليل - المبتهل في الدعاء
 وغذاؤه خبيث .

- والدارس للعلوم وفهمه بليد .

- والمجتهد في الأعمال ويقينه ضعيف .

* مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاء بالحرام : كمثل الرامي بالسهم في هدف

من رخام .

* ومثل كثرة الدرس مع بلادة الفهم : كمثل الاستكثار من الطعام مع سوء الهضم .

* ومثل المجتهد في العمل مع ضعف اليقين : كمثل تطويل البناء على غير أسس ممكن .

إذا أحسست من نفسك بضعف اليقين ، فاستكثر من ثلاثة أشياء :

– أحدها : إجمالة الفكر في آيات الحق سبحانه في سمواته وأرضه وسائر خلقه .

– ثانيها : النظر في المصحف وعلوم أهل اليقين الذين صنفوا في تسليل الخلق إلى الخالق .

– ثالثها : مجالسة العلماء العاملين ، والصلحاء من أهل اليقين : الذين يفيدك النظر إليهم ، والإصغاء إلى كلامهم ، ورسوخ اليقين في قلبك

* * *

عليك بصحبة الأخيار حتى	تصير لهم محباً مستهما
وإن هجروك أو ولوك صــداً	فلا تزدد بهم إلا غراما
وصيأ لهم الطعام لكل روح	ومن يبقى إذا عدم الطعاما
عباد مكرمون لخير مولى	سقاهم من محبته مداما
وقد وقفوا نفوسهم عليه	وفي مرضاته هجروا المقاما
وأهلهم لخدمته فصفوا	ركوعاً أو سجوداً أو قياما
فلو أبصرتهم في الدهر يوماً	بعينك أو سمعت لهم كلاما
لصار القلب منك لهم رهيناً	بودك أن تكون لهم غلاما

* * *

موعظة في الاجتهاد في الأعمال

عبادا . . ابذلوا في طلب مرضاة مولاكم المهج ، واتبعوا الكتاب الذي أنزل واسلكوا المنهج الذي نهج ، وإن لحقتكم في عبادته شدة أو حرج ، فكم في جنته من فرج ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (١) .

أنفقوا في سبيله الأموال والأعمال، وجدوا في طلب قربه آناء الليل وأطراف النهار، واحذروا البعد عن قربهم فتمام شقوة الحبيب بعد الديار، وادخلوا في زمرة المشتاقين فيا سعادة من فيهم دخل، ويا شقاوة من منهم خرج، ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ إذا هتف الفراق فيا أيها الذين آمنوا قولوا : لييك ربنا وسعديك . فإذا سمعتموه يأمر وينهى فقولوا : سمعنا وأطعنا ، خذ بنواصينا إليك . وإذا ندبكم إلى اتباع سبيل من أناب الله إليه فقولوا : دل حيرتنا عليك . وإذا حالت دون الوصال بحار الأهوال : فافتحموا منها اللجج ، ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾

اجتهدوا في القرب من ملك	من وثوى بالقرب منه نجا
اقتلوا فيه النفوس أسا	وابذلوا الأرواح والمهججا
اركبوا الأخطار في طلب	القرب منه واقطعوا اللججا
ميا لكم من غيره فرج	فاطلبوا من عنده الفرجا
قطرة من لطف رحمته	تجعل المحزون مبتهججا

(١) سورة الحج الآية ٧٨ .

سبحان من زخرت بحار كرمه بجواهر هيئاته ، وهطلت سحائب نعمه
بمياه وصلاته . فتعرضوا لنفحات رحمته ، وشمروا في طلب مرضاته ، واتقوا
الله حق تقاته ، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ ، كيف
تعملون شكر الله وكنتم فقراء فأغناكم ، كيف تقصرون في إجابة الله وهو
الذي إلى جنته دعاكم .

يا قومنا أجيئوا داعي الله ، وسارعوا إلى جنة كعرض أرضه وسمواته ،
واتقوا الله حق تقاته ، الموت عما قليل بساحتكم نازل ، ومن نزل بساحته
الموت فهو لكل ما هو فيه له مفارق وعنه زائل .

فتنبهوا من الغفلة ، فما تحسن الغفلة بعاقل ، واستعدوا للموت ،
واستعيذوا من وحشة القبر ، واتقوا الله حق تقاته .

لأدرَ درّه البين ماذا لقي محبكم من حرّ لوعاته
لله قوم طلقوا عيشتهم في طلب الله ومرضاته
ما همهم غير اتصال بمن قد قتلوا الأرواح في ذاته
لم يعبدوا الله لينجوا من النار ولا يحفظوا بجناته
منهم منه رضاه فما زاد فمن أفضال عاداته

المنافسة في القرب من الله طريق أهل المعرفة بالله ، فاسلكوا طريق
العارفين ، فإن عجزتم عن سلوك أهل العرفان فاقتدوا بسنة الخائفين . واحكموا
صنعة مركب التقوى ، فبين أيديكم بحر لا ينجي فيه إلا سباحة السباحين .
وكونوا على وجل من هجوم الأجل ، ولا تطغكم الدنيا ولا يلهكم
الأمَل ، واستعدوا لله بتقواه وإصلاح العمل ، واحذروا حسرة النادمين ، وصفقة

(١) أي لا كثر خيره .

الخاسرين، «أَنْ تقول نفس يا حسرتا علي ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن
الساخرين» (١).

* * *

نسيتُ الذُّنْبَ لما طال عهدٌ وقد سطرته أيدي الكاتبينا
وأحصى الحافِظُال عليك ما قد عملت على تضاعيف السنين
ستحصد ما زرعت وسوف تجزى إذا جزى الحبيبُ العاملينا
ستجني ما غرست وسوف تلقى فعيالك يوم نشر العالمينا
فمنقلب برضوانٍ وفوز ومنقلب بصفقة خاسرينا

* * *

يا من تُعدّ عليه الأنفاس عدداً ، لا يستطيع لماضيها رداً ، ولا تجد من
تناهيهها بداً ، تغدو إذا نزل بك الموت أن تستنصر عليه جنداً ، ويوشك أن يرميك
بحجر يهدم الآجال هدماً ، ويهدّ أسوار الأعمار هداً .

* * *

للموت مُرادَةٌ تهْدُ قِـواعِدُ الأعمار هداً
وحسامُهُ عَضْبٌ يَقْدُ متون كل الخلق قـداً
الخلد ليس بدارنا فاطلب بدار الخلد خلداً
وأمهد لنفسك في ضريب حـك من فعـالِ الخير مهـداً

* * *

العمر يمر مرّ السحاب ، ما مرّ منه لا يعود ، وما بقى للذهاب والمهلة
تخدع خدع السراب ، والذهاب ليس له إياب ، والموعود يوم الحساب .

(١) سورة الزمر الآية ٥٦ .

تجهّز فقد حذا الحادي بالركاب ، وتهيأ للسكنى تحت التراب . أما الزيت
فقد نفذ ، وأما الشمع فقد ذاب ، وأما الدنيا فقد تباعدت ، وأما الآخرة ففي
اقتراب كيف البقاء وقد ولدت والموت مني في اقتراب ، حتى تمرّ به سفينة
عمره مرّ السحاب ، ما مرّ منه لا يعود ، وما تبقى للذهاب .

قد آن لي أن أستعد لمصرعي تحت التراب ، وأجودّ العمل الذي أنجوه به
يوم الحساب .

أترى . . بأى يوم أوفي يوم تقريرى كتابي ؟ إن كان باليمنى : فيا طوبى
ويا حسن المآب . أو كان باليسرى : فيا ويل ما ألاقى من عذابي .

يا رب . . لا تعضل يوم مسألتي جوابي ، واحفظ لساني عن أن يتسول
بغير مقبول الصواب .

ثلاثة من الخلق لا تثبت لهم يوم القيامة حجة ، ولا تقبل منهم معذرة :
المتحجج بالقدر ، يقال له : لم يقدر الله عليك إلا ما اقتضت حكمته
فيك ، والمدعي الجهل بالله وبشرعه : يقال له قد تعرف إليك بنفسه يوم ميثاقه ،
وقد ولدت على الفطرة ، وقد جاءك من الأنبياء ما فيه مزدجر ، والمعتذر
باستحواز الشيطان بالذكر ، فشغلت عن ذكر الرحمن حتي قيض لك الشيطان
فصدك عن سبيل الهدى ، وأعنت على النفس بالعقل ، فأبيت إلا الميل إليه
معها حتى أسلمك إلى الهوى ، وأتيح لك من حلال الدنيا ما فيه عن حرامها
غنى ، فما قنعت بذلك الغنى ، فالويل لمن لا يلقيه الله حجته ، ويقبل معذرتة ،
ويعود بقوّته على ضعفه ، ويعامله بفضله ولطفه .

اللهم فعاملنا في الدنيا والآخرة بلطفك وفضلك . . واحملنا على حكم
إحسانك لا على حكم عدلك . . إنك على حكم عدلك إنك جواد كريم .

موعظة فيما يقال فى الأوقات

يقال فى الأوقات الشراف: تبارك الله وسبحانه، ما أجل الله وما أعظم شأنه، من بعض آياته خلق الزمان والمكان، مخلوقات خير كل إنسان، وما وقف حكيم لها على حقيقة، ولا قام لباحث عليها برهان. فتعالى الله سبحانه، ما أظهر برهانه، وما أقهر سلطانه، خير العقول والفطن فيما ظهر من أمره وما بطن، لو لم يكن فيما أوجد الله من بدائع آياته إلا هذا الزمان وتصرف أوقاته، فأجبلوا هذه الأفكار فى مرور هذا الليل والنهار! واعتبروا بما فيهما، ففيهما لأولى الأبصار اعتبار.

جبر كسري عليكم يهون في زول الشقاء وينفرج الهم قد أطلتم طردى وبعدي وصدّي مسنّي الضر وانقضي العمر جلد راحل وضيم مقيم كل من لا ترضي عنده ولو فاجبروني فالقلب مني كسير أنا مسكينكم وفي بابكم	معنى ذاك قبل ميوتي يكون ويمضي الفناء وتعض الديون والذى حل بي لكم مستبين وامتد سقامي مالى عليه معين ونحــول باد ودا دفين حاز الأمانى فذلك المغبون ودمع عيني من العيون غبون ما زال يجبر ويرحم المسكين
---	--

اللهم ارحم افتقارنا، واجبر انكسارنا، ونور أسماعنا وأبصارنا، واجعل خضوعنا لك، واقبالنا عليك، وثقتنا بك، ورغبتنا فيك، ولا تلجئنا فى مطالب خيرات الدنيا والآخرة إلى أحد إلا إليك يا أرحم الراحمين.

موعظة فى التقوى

سبحان من أكرم عباده المتقين بالتقوى، فكل كرامة لا تؤسس على التقوى ليس لها ثبات ولا جدوى.

ما برح أهل خشية الله وتقواه يتركون شهواتهم من نفوسهم من خشية الله، ويؤثرونه بطاعته على من سواه، حتى أورثهم جواره، وبوأهم جنة المأوى، ومن جاور الله فى جنته فقد بلغ أورثه الخير الكثير، والمملك الكبير، والغاية القصوى، والعاقبة للتقوى.

من عزم على قطع بحر الهلاك إلى ساحل السلامة فليركب مركب المتقين. ومن أراد الفوز والفلاح، والحصول بعد سلامة رأس المال على أكرم الأرباح، فليستبضع بضاعة المتقين. ومن أحب أن يكون الله وليه، فليوسل بوسيلة المتقين، فجميع مطالب أهل الدنيا حاصلة بغير طلب لأهل التقوى، والآخرة عند ربك للمتقين.

ارتقى طلاب العلى فى طلبها كل مرتقى وما بلغوا درجة أهل التقى، وارتقى طلاب النجاة كل المرتقى وما تحصنوا بحصن أهل التقى. شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، بتناول الرزق قسم لهم مولاهم، وتفردوا فى الآخرة بالنعيم والبقاء، والآخرة خير لمن اتقى.

أترى أفارق ذا العناء وذا الشقاء بوصال سكان المصلى والتقيا
وأحل بالمرقي الذي ما فوقه لمريد غايات المعالي مرتقا
بجوار أهل الدين والإحسا ن والبر والعبادة والتقيا
يا ويح نفس ذوقوها هجرهم بعد التواصل كيف أمكنها البقا
النوم من بعد الترحل فاقد والدفع من يوم التفرق مارقا
يرقُّوا لمن رقت له أعداؤه يقضي الزمان تجمرا وتحرقا
قد آن من رِق النوى والبين والـ هجر المبرح والفكر أن يعتقا
أخذ الفراق نصيبه فهل لي بعد ما أخذ النصيب من اللقا
يا نفس إن رقت التواصل فاتقي مافاز بالمحبوب غير من اتقي

* * *

للمتقين فى تقواهم أربع مراتب، يلزمها أربع نتائج:
* المرتبة الأولى: تقوى الكفر. ونتيجتها: تحریم الخلود فى النار.
* المرتبة الثانية: تقوى المعاصى. ونتيجتها: الخلاص من العقاب.
* المرتبة الثالثة: تقوى فضول الدنيا. ونتيجتها: خفة الحساب.
* المرتبة الرابعة: تقوى كل شاغل يشغل عن الله، ولو كان من الغوافل المكسبة
لثواب الله. ونتيجتها: وفر النصيب من النظر إلى الله عز وجل.

* * *

نهاية مقصودى وأقصى منأى أن يراني أهل للوصال حبيب
إذا نالنى منه الوصال ودام لي فلا نالني ممن سواه نصيب

* * *

احذروا التقصير فى الطلب، ونافسوا فى معالى الرتب؛ وغالبوا من عاقلكم
عن الله، فإنما الدولة لمن غلب؛ واحذروا التقصير فى الطلب، لا تفتكم أعلى
الرتب.

* * *

شمروا فى السير واجتهدوا فى اكتساب البر والقرب
وأطلبوا الله الكبير بما فى قوى الإمكان من طلب
لا تخلوا النفس ترغب فى نفسة منه ولا ذهب
همة الليث الغضنفر فى قبضة المسلوب لا السلب
وكذا العشاق ليس لهم غير مسرى الحبيب من إرب

* * *

إذا سئلت عن أكثف الخليفة بالآ؟ فقل: هو محب بسهم البعاد ورمى.
وإذا قيل لك: من أسوأ البرية حالا؟ فقل: مخلوق إلى غير جناب الخالق
مرتضى. ومتى أردت أن تعرف المعافاة من جميع البلوى؟ فهو الذى إلى سند
التقوى مستند، وبحمى التقوى محتمى.

* * *

حظيت بنور الإيمان من قلم التوحيد لا بالمداد والقلم
من لا يرى ما رأيت يوم بدى جمالك للعيون فهو عمى
ما عذر من لا يحب خالقه وهو أقام الوجود من عدم
وهو الذى عمّ بالعطاء إلى أن عمر العالمين بالنعيم
ذو المن والطول والتفضل ولا إحسان والموهبات والكرم

الساعي إلى غير باب الله متعثر القدم، والشاكر لغير نعم الله مسلوب النعم، واللاجيء إلى غير حرم الله مباح الحرم. كل ركن سوى ركن الله منهدم، وكل حصن سوى حصن الله ينثلم.

من خاف فليلجأ إلى حرم التقى فهو الحرم المتقون، هم الملوك وغيرهم لهم خدم، حاذوا الرضا من فضل مالكمهم وفازوا بالنعم، شهد النبي بأن تقوى ذي الجلال هي الكرم.

للتقوى اشتقاق يردّها إلى أصلها، وحدّ يكشف عن حقيقتها، وعلامات تعرف بها، وأقسام تنقسم إليها، وأحكام يقضى بها عليها، ونتائج معجلة، وأخرى مؤجلة، وغاية إليها المنتهى، وجزاء ينفرد به المولى.

** فأما اشتقاق التقوى: فهي من الوقاية وهو الستر، فكما أن الوقاية لما يلقي عليها سائر فكذلك التقوى تستر المتقّى من مكاره الدنيا والآخرة.

** وأما حد التقوى: فهي الإنحجاب عن الله بمراضيه.

** والتحرز: مخاوف العبد بالدخول فيما أمره الله بالدخول.

** وأما علامات التقوى: فاجتناب المحرمات والمكروهات والمصارعة إلى الواجبات والمستحبات.

** وأما أقسامها فثلاثة:

- تقوى الموجبات للعقاب.

- تقوى الموفقات للحساب.

- تقوى المانعات للشواب.

* أما الموجبات للعقاب: فهي الأمور الشيطانية. وهي: الكفر والبدعة، والمعصية.

* والموفقات للحساب: هي الأمور النفسانية. وهي: متابعة الهوى فى نيل المشتهى من فضول حظوظ الدنيا.

* وموانع الشواب: إما تشبیط الشيطان، أو كسل النفس، أو فساد الرأى، أو قلة

العلم.

** أما أحكام التقوى: فحكمان:

- وجوب استحباب التقوى.

- وأداء الفرائض.

* والتقوى المستعجلة: التنزه عن المكروه، والتطوع بالمسنون.

** وأما نتائجها العادلة: فالسلامة من شر الشيطان والنفس.

** وأما أمورها الآجلة: فالنجاة من العذاب، والحلال من الحساب، والفوز بالجنة، والوصول إلى الحضرة.

** أما غايتها: فاستقرار الدخول في الصالحين.

** وأما الجزاء الذي ينفرد به الله تعالى: فالنظر إلى رب العالمين.

* * *

من كان يطمع أن يفوز بقرب ربِّ العالمينا

ومنحه نظراً إليه إذا أباح الناظرينا

ويعدُّ من أهل الصَّلاح إذا يعدُّ الصالحونا

ويجَارُّ من سوء النِّيات ومن عذاب الخاطئينا

فعليه بالتَّقوى ففي التَّقوى مرادُ الطَّالِبينا

ما فاز بالخيرات في الدَّارين غير المتَّقينا

يا ربِّ فارزُقنا مقام المتَّقينا

واغفر لنا يا ربِّ ولجميع المُسْلِمينا

* * *

موعظة فى أشياء من نظام الدين

الحمد لله الذى جعل الكتاب والسنة محتويين على الهدى والنصائح فمن سلك سبيلهما فقد سلك إلى الفلاح الطريق الواضح، ومن عري من ملابستهما فقد انتصب لأعين الناظرين في المقام الفاضح، ولا ح عليه من شواهد الشقوة لائح.

لقد احتوت علوم الكتاب والسنة على إيضاح معالم الهدى، ومن سلك طريق الهدى فقد أمن من عواقب الردى.

*** أربع نصائح مستخرجة من أصول نبصوص الكتاب والسنة، من عمل بها فقد سلم من سخط الله والنار، وحصل على رضوان الله والجنة وهي: التقى . والورع . والزهد . والعبادة.

وهذه الأربع نظام الدين، من أقامها محيت عنه الشقوة، وكتبت له السعادة.

* فاتق الله باجتناب المحرمات تكن من التوابين.

* وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين، ومن مات وتطهر فقد صار من أحباب الله، والله محب التوابين والمتطهرين.

* وأما الزهد فهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة فى الدنيا، وبه تتخلص من الحساب الطويل.

* وأما العبادة فهي: إقبالك على خدمة المولى، وبها تحصل الثواب الجزيل وتدخل على الملك الجليل.

هل إلى وادي التُّقَى مِنْ سَبِيلٍ فهو قصدي ونهاية سُؤلي
منذُ فـارقتُ رُؤياه لم يَطِبْ لي من بعدها من مَقِيلٍ
كنتُ فيها قائم الجاه عَالِي القدر في خـدمية مولى جَلِيلٍ
فَتَبَدَّلْتُ بعدها بعزِّي ذَلَالًا فأرحموا غربة عبد ذَلِيلٍ
فَأَدْنُوا فِي القرب منكم قَلِيلًا ما قليل منكم بقليل
طال في دار البعاد عَنائي من مجيري من عناء طويل
ليس نومي بعدكم بحلال ليس صبري عنكم بجميل
رُوحوا بالبعد عنكم كـرِيتي برِّدوا بالقرب منكم غَلِيلِي
ذَكَرَكُمْ حَادَى رِكَابِي إِلَيْكُمْ وسَنَّاكُمْ فِي السَّيْرِ دَلِيلِي
كَانَ تَعْوِيلِي عَلَيْكُمْ فَلَمَّا نبتم لم يبق غير العويل

* * *

الواجب على كل موهوب ومسلوب أن لا يزال في اللجأ إلى الله
والاستغاثة على قدم الدعوى، أما الموهوب فيزداد ولا يسلب، أما المسلوب قليلاً
يدوم.

ولكى توهب، لا تذهب عن باب مولاك، فما للعبد عن ياب مولاه
مذهب، لا تركب غير سفينة الكتاب والسنة، فما لطالب السلامة بسواهما
مركب.

لا تشرب من غير حوض الشرع، فليس في القيامة غير حوض الشرع
مشرب.

لا تستعذب غير طعم الإيمان، فما عذبٌ سواه إلا وهو منه أعذب
كل المطالب وإن طال المدى تسلب، إلا الهدى والتقى فاجعلهما المطلب
بالهدى استقام السالكون على الطريق؛ وبالتقى يخلص المتورطون من حلق
القبر؛ وبالورع سمت للمتقين تقواهم، وبالزهادة تخلصوا من شواغل دنياهم

لعبادة مولا هم.

فمن زهد وتورّع واتقى، فقد ارتقى من مقاعد الصدق كل مرتقى.
فأما التقوى فذكرها كثير في القرآن لفظاً ومعنى.
وأما الورع والزهد فمدحهما والأمر بهما كثير لا باللفظ لكن بالمعنى.
فكل ما في القرآن من ذم الدنيا فهو مدح للزهد، وكل ما فيه من الأمر
بالتثبت والتيقن فهو أمر بالورع.

فليتجنب المؤمن العاقل البصير القليل من مشتبهات الأمور، والقليل
والكثير من الحرام. وليعلم أن بين يديه حساباً دقيقاً وحساباً طويلاً، ﴿إِن السَّمْعَ
والبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (١).

* * *

تُمْسِي وَيُصْبِحُ عَنِ الطَّاعَاتِ مَعْمُولاً لَا تَسْتَطِيعُ عَنِ السُّوءَاتِ تَحْوِيلًا
كَمْ ذَا تَجَازَفَ مَنْطُوقاً وَمَفْعُولاً وَكُلُّ ذَا عَنْهُ الْعَبْدُ مَسْئُولًا

* * *

كم من سلك طريقاً يظنه واعراً، وكم من شرب صافياً يحسبه حلواً فإن
مرّاً؛ بينا هو شارب خمرأ، وساكن قصرأ؛ إذ صار الخمر جمرأ، والقصر قبرأ
﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَبْنَاهَا
عَذَاباً نَكِرًا﴾ فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً (٢).

وكلما يرى من أهوال يوم القيامة ما لأحد مطمع منه في السلامة إلا من
أتى الله بقلب سليم، إذا أدركته مراحم العزيز الرحيم.

فأحكموا من اليوم صنع مركب المسير، فبين أيديكم بحر عميق، مسافة
قطع ذلك اليوم العسير. واجعلوا التقى والورع مساميره، وصدق العزيمة

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الطلاق الآية ٨.

وإخلاص النية شراعه وملاحه، والخوف المزعج، والشوق المقلق مقاديفه ورياحه.
فما دامت الريح لكم طيبة فاغتنموا إلى الله المسير، وإن جاءتكم ريح عاصف
فاستعينوا باللطيف الخبير، فنعم المغيث ونعم المجير.

غير أن يرحم اللطيف الخبير	ما الضعيفي من الخطوب مجير
أو أكن عاجزاً فأنت قدير	إن أكن جاهلاً فأنت عظيم
وما سواك مجير	قد أطاحت المخاوف من كل النواحي
مجير بغوئه يستجير	ليس للعبد غير مولاه في الكرب
يا غنيّ ارزقني فأني فقير	يا قويّ ارحمني فأني ضعيف
يا بك يجير المكسور	كسرت قلبي الذنوب وفي
مستضام مستضعف مقهور	أنا أشكو إلى معاليك أني
وأنا اليوم مبعّد مهجور	كنت عن حضرة الوصال قريباً
ومالي سواك مجير	مسنّي الضرّ من قريني ومن نفسي
أنت نعم المولى ونعم النصير	ربّ هبّ علينا منك نصراً

ما انتصر المحارب في مواطن حربه بمثل التغوث بمراحم ربه وتصحيح
العزيمة على التوبة من ذنبه. والمتغوث بالرب محتاج إلى صدق التوجه واللجوء،
والتائب من الذنب مفتقر إلى صحبة أهل الورع والتقوى. وإنما يتمكن من
الورع من هو زاهد في الدنيا، لأن حبها لا يدعك تتورع مما فيه شبهة، إذا كان
تناوله شهوة. فتدرّع بدرع الزهد في الشهوات، واثق ربك بترك المحرمات وأداء
المفترضات، وتحبب إليه بما أطعت من فعل المستحبات، فحينئذ نوفيك على
أبوابه، ونقربك من جانبه، ويدخلك في جملة أحبائه، فإن سألته أعطاك، وإن

دعوته لباك، وإن استنصرته على عدوك نصرك، وإن اعتذرت إليه من تقصيرك عذرک، وكان سمعك الذي تسمع به، وبصرک الذي تبصر به، آخذ بيدك كلما عثرت، مغنياً لفاقتك كلما افتقرت، إن أسأت عاملک بالغفران، وإن أحسنت ضاعف لك الإحسان. هذه معاملة الله لأهل التقى والورع، فهل أنت ممن إذا وعظ أصغى واستمع؟ وبما فهم من الحكمة والموعظة انتفع؟ أم أنت ممن همه النوم والشبع؟ إذا جاءه النهار رعى ورتع، وإذا جاءه الليل التف واضطجع .

* * *

منذ صبح الضوء قد سطعا	ووميض الموت قد لمعا
ما لجسمي لا يذوبُ أسى	ما لطرفي بعدهم هجعا
ما لقلبي حين أسمعه	سائق الإظعان (١) ما انصدعا
كيان حقِّي أن ترى كبدي	يوم ساروا إثرهم قطععا
أخبروهم أن عبيدهم	حدّه للبين قد ضرعا
كان لي مجد بقربهم مذ	بانوا عن ناظري اتضععا
كان لي شمل فشتته	صارخ التفريق حين نعى
يا لها صرخة ملأت	كل قلب ذاقها وجععا
اهبطوا منها نقف فرحاً	بعدها للصب ما رجععا
ما بقي غير البكاء إلى	أن يعود الشمل مجتمعا

* * *

يا عبّاد القريب المجيب، أقدرُوا قدر فراق الحبيب. كنتم في نعيم حين كنتم في جواره ثم صرتم في شقاء.
ضجّوا تحت سياط الهجر، وعجّوا وألحّوا في طلب الوجل ولجّوا، صلوا

(١) هو السير في السفر .

وصوموا وتصدّقوا حجّوا، واحذروا أن تبعثوا في جملة الهالكين، فأقل الناس من ينجو.

بعث للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فلم يبق للجنة إلى عشر عُشرنا، ولعلمهم المتقون الورعون، الذين للقرآن مستمعون، وبما سمعوا منه منتفعون، إذا اتضع غيرهم في وهاد المعصية فهم إلى ذوى الطاعة مرتفعون، وإذا تفرق غيرهم في شعاب الضلال فهم إلى شعب الهدى مجتمعون.

* * *

لله قوم تواصلوا بالصبر في طلب العلي	على الورع والتقوى والزهد مجتمعون
يتلى القرآن عليهم فيحضرهم قلوبهم	مصغون نحو التالى إليه مستمعون
يسارعون إلى ما فيه الرضا من ربهم	ويقبلون النصائح والكلام يعون
لم يعلموا ليقولوا بل يعلمون ليعلموا	فهم لصدق النية بالعلم منتفعون
سموا إلى المجد لما دعاهم داعي الهدى	فهم مدى الدهر فيه راقون مرتفعون
إذا دعوا للدنيا تمنعوا وترفعوا	لكنهم للعلي ذي الجلال منصعون
يالهف روعي عليهم ياشوق قلبي إليهم	حازوا وصال المولى ونحن منقطعون

* * *

اللهم .. لا تقطع بنا دون الاتصال بك ولا تصرفنا عن توجّه أهل التوحيد إليك وأدخلنا في أهل التقوى والورع والزهد والعبادات. واجعل موتنا من كل شرّ راحة، وحياتنا من كل خير زيادة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه أجمعين.
وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كلّ وسائر الصالحين.
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل .
آخره والله أعلم .

تم هذا الكتاب المبارك
بمعون الله
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الفهرس

٣	مقدمة
٦	المجلس الأول : نعم الله تستوجب شكره
١٩	المجلس الثانى : أربع أعمال مهلكة صاحبها
٢٨	المجلس الثالث : من فضائل القرآن الكريم
٤٠	المجلس الرابع : دعاء له تعالى
٤٥	المجلس الخامس : حكمة الله تعالى
٥٠	المجلس السادس : سبحان الله العظيم
٥٥	المجلس السابع : فى التفسير وفضائل القرآن وفضل حملته
٦٢	المجلس الثامن : متابعة المؤمنين الرسول ﷺ
٦٨	المجلس التاسع : تسبيح وحمد وثناء له تعالى
٧٨	المجلس العاشر : غوائل الشيطان وشره
٨٣	المجلس الحادى عشر : ذكر الموت
٨٩	المجلس الثانى عشر : الميثاق الغليظ
٩١	المجلس الثالث عشر : هول يوم الوعيد
١٠٠	المجلس الرابع عشر : تقوى الله
١٠٦	المجلس الخامس عشر : جزاء التائبين
١١٢	المجلس السادس عشر : صلاة القاعد وفضل صلاة القائم
١٢١	المجلس السابع عشر : كلام السلف الأعلام

المجلس الثامن عشر : تفسير آية	١٣٠
المجلس التاسع عشر : تفسير آية من سورة التوبة	١٤٧
المجلس العشرون : الإسراء معناه وأسراره	١٥٩
المجلس الحادى والعشرون : فى وأهميته الجهاد	١٦٨
المجلس الثانى والعشرون : أهل الإيمان واليقين والتقوى	١٨٣
المجلس الثالث والعشرون : تفسير سورة القدر	١٨٩
المجلس الرابع والعشرون : طلب الوصال	١٩٧
مواظع مهمة	٢٠٥
الفهرس	٢٣٩



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com